مختصر

فضائل المدينة المنورة

الطبعة الخامسة

١٤٣٠هـ

المدرسة المدنية
(١٤)

مختصر فضائل المدينة المنورة

الأستاذ الدكتور
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزّامي
أُستاذ الحديث وعُلُومِهِ، بجامعة طَيبة
بالمدينةِ المنوَّرة



مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، القائلِ في مُحكم التنزيل ؛ لنبيه وصفيه الأمين صلوات الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[1] والقائلِ عن أصحاب نبيِّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مِن أهلِ المدينةِ ، رضي الله تعالى عنهم : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2] ولساكني المدينة ومَن حولها : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[3].

والصلاةُ والسلامُ الأتمَّان الأكملان على الحبيب المحبوب ، المنَزَّه عن النقائصِ والعيوب ، الذي اختاره الله تعالى من جميع خلقه ليكون خيرَ رسله ، وأفضلَ مخلوقاته ، فأنزل عليه أفضلَ كتبه ، وبعثه في خير دينٍ أنزل على خلقه ،... صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه وأتباعه ، القائِلِ : «أُمِرْتُ بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ؛ وهي المدينة ،...». متفق عليه[4].

---

(١) سورة الإسراء (٨٠).

(٢) سورة الحشر (٩).

(٣) سورة التوبة (١٢٠).

(٤) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب فضل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب =

وبعد .

فهذا كتابي : (مختصر فضائل المدينة المنورة) أقدمه في طبعته الجديدة ـ وهي الثالثة ـ بعد أن أَجريت عليه بعضَ التعديلات ، وذلك لأن الطبعة الأولى كانت حسب المحاضرة التي أُلقيت ليلة الأربعاء ، السادس عشر من شهر ربيع الأول ، سنة تسع وأربعمائة بعد الألف ، من الهجرة النبوية الشريفة ، وهي قبل الانتهاء من كتابة الأصل ، لذا جاءت مختصرةً جداً ، ولا يوجد فيها بعض الفقرات .

إن الحديثَ عن المدينة المنورة الطَّيِّبَةِ يحلو بقدر محبة المتكلِّم عنها لها ، كما يحلو بقدر محبة السامع لها أيضاً ،... ذلك لأنها بلد الحبيب المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، التي اختارها الله عز وجل لتكون له : تربةً ، ومهاجَراً ، ومضجعاً ، وعاصمةً ، وجعل فيها من الفضائل والمآثر ما لا يوجد ـ مجتمعاً ـ في غيرها ، سوى مكة ؛ حيث تشاركها في كثير من الفضائل والمآثر ، واختصها تعالى من سائر المدن والبلدان ، لتكون المدخَل الصدق ، كما اختار أهلَها ليكونوا أنصارَ الله تعالى وأنصارَ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبَوَّأَهم الدارَ والإيمانَ ، وذخر الله تعالى لهم ما لم يُعطه غيرهم .

وفضّل فيها أماكنَ وخصّها بخصائص انفردت بها عن غيرها ، إذ خص من جبالِها ، وأوديتِها ، وتربتِها ، وثمارِها ، وآبارها ، وبقيعِها ، ومسجدِها بل مساجد فيها ،... بالمنزلة الرفيعة ، والمكانة العالية ،...

= الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٨).

فصارت مأرِزَ الإيمان ومستقرَّه مرّ الزمان .

لذا لا أستطيع أن أتحدث عن المدينة كلها ، ولن أستوعب فضلَ كلِّ جزءٍ فيها ، وساكنيها ، وحسبي أن أذكر في هذه الرسالة خلاصةَ ما ذكرتُه في كتابي : (فضائل المدينة المنورة) حيث اخترت منه أهم الفقرات ، وذكرت تحتها بعض النصوص التي ذكرتُها فيها ، من غير شرح ولا استطراد ولا تعليق إلا نادراً ، ولم أتعرض للقضايا الفقهية ، ولا الخلافات المذهبية إلا نادراً ، كما لم أتعرض في هذه الرسالة أيضاً إلى ما ذُكر في الأصل مما يتعلق بغزوتي أُحُد والخندق ، ولكن ذكرتُ بعضَ ما جرى فيهما من آيات ، كما لم أتعرض لمناقشة الحنفية رحمهم الله فيما يتعلق بتحريم المدينة ، كما لم أتعرض لكثير من الاستنباطات التي ذكرتُها عند ذكري للأحاديث الشريفة في مواضيع متعددة ، إنما أشرت إلى بعض تلك الاستنباطات ، وخلاصة دلالة الحديث لا غير .

كما أني لَخَّصْتُ كلامَ كثير من الأئمة رحمهم الله تعالى ، لذا فمن رغب معرفة كلامهم كاملاً فليرجع إلى الأصل .

والتعديلاتُ التي أجريتُها على الطبعة السابقة ؛ منها ما هو متعلق بالشكل ، ومنها ما هو متعلق بالمضمون .

أما التعديلات التي في الشكل ؛ فقد جعلت هذا الكتاب كأصله في أربعة أبواب .

وأما التعديلات التي في المضمون ؛ فقد حصلت الأمورُ التاليةُ :

١ـ إضافة بعض النصوص الجديدة على سابقتها .

٢ـ إضافة بعض الفقرات والموضوعات التي لم تُذكر في الطبعة الأولى .

٣ـ زيادة في العزو والتخريج ـ من غير تعليق ،... والحرص على الصحيح أو الحسن من الحديث ، وإن كنتُ قد اجتهدت أن أذكر ما في الصحيحين ـ ولو تكرر الحديث ـ وأترك ما ليس فيهما إلا نادراً ، ما لم يكن الباب خلواً من غيرها .

٤ـ الإشارة إلى وجود روايات للحديث عن صحابة آخرين ، عقب الباب أو الحديث ـ وإن كان ذلك ليس دائماً ـ وقد ذكرتُ تلك الروايات في الأصل .

٥ـ ذكر بعض التعليقات على الأحاديث وإن كانت مختصرة .

٦ـ لم أذكر شيئاً من العزو للنقول من مصادرها ـ غالباً ـ ما عدا الأحاديث فقط ، وذكرت بعض الأماكن ، وأحلت إلى الأصل .

٧ـ لخصت في هذه الرسالة ما ذكرته في الأصل ، لذا مَن رغب الاستيعابَ فليرجع إلى الأصل .

وقد جعلت هذه الرسالة كالأصل في تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

أما التمهيد ؛ فهو : فضائل المدينة المنورة على الإجمال .

والباب الأول : في تحريم المدينة وبركتها ومكانتها .

والباب الثاني : في ساكني المدينة وما يتعلق بهم .

والباب الثالث : في مساجد المدينة وما يتصل بها .

والباب الرابع : في أرض المدينة ، وما يتصل بها (ثمارها ، آبارها ، جبالها ، أوديتها ، بقيعها).

الخاتمة ، أحسن الله تعالى ختامنا جميعاً .

ونظراً لإلحاح كثير من الأخوة على إعادة طبع هذه الرسالة ؛ فقد أعدت فيها النظر ، وقارنتها مع الأصل ، وكل ما غفلت عنه في الطبعة الأولى ذكرتُه هنا ، لذا جاءت أكبر منها بأكثر من خمسة أمثال النسخة السابقة ، وقد جعلتها كسابقتها من السهولة واليسر إن شاء الله تعالى ، حيث جعلتُ النصوصَ هي التي تعبِّرُ عن نفسها ، لتكون قريبة المنال ، سهلة الاستفادة ، إن شاء الله تعالى ، تعطي صورةً مصغَّرةً عن فضل هذه المدينة المباركة الطَّيِّبة . من باب ما لا يدرك كلُّه لا يترك جُلُّه[1].

لذا أسأل الله تعالى أن ينفع بها قارئها وسامعها ، كما نفع بأصلها وسابقتها . وأسأل الله تعالى أن يجعل ثوابي منها رضاه ، والحشرَ مع مصطفاه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إنه سميع قريب مجيب .

كما أسأله تعالى أن يغفر لي ولوالِدَي ، ولوالِد والِدَي ، ولأهلي وزوجي ، وأولادي ، وأحفادي ، ومشايخي ، ومَن يلوذ بي ، ويحفظني في ديني ونفسي ، ويرزقنا جميعاً الصدقَ في القول ، والإخلاص في العمل ، ويحفظنا ظاهراً

(١) لقد جعلتُ هذه الرسالة مختصراً للأصل المكتوب ، عن المدينة المنورة ، (فضائل المدينة المنورة) وهو مطبوع عدةَ طبعات ، وهو في ثلاث مجلدات ، لذا فكل ما جاء فيها هنا فهو عنها ، كما أفردتُ كتاباً عن مكة المكرمة ، ولخصته كذلك بمثل هذا ، وهو مطبوع كهذا ، كما جمعت ما اتفقا فيه أو تقابلا ؛ في رسالة مستقِلَّة ، وهي مطبوعة بعنوان (مكانة الحرمين الشريفين).

لذا أحببت التنويه ؛ حتى لا يقال لِمَ أفردتَ المدينة دون مكة ؟ والله تعالى هو المعين والمتفضِّل .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإخلاص إلى يوم الدين أجمعين .

وباطناً ، ويشفي مريضنا ، ويجمعنا في مستقر رحمته بصحبة نبيه وحبيبه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه الطيبين وأهل بيته المطهَّرين ، والصالحين من عباده المكرمين ، من العلماء العاملين ، وأولياء الله الصالحين ، وسقانا من يده الشريفة شربةً هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً ، ويجعل مثوانا الأخير في بلد نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والحشرَ منه ، مع أهله ، ويرفع البلاء عن جميع المسلمين ،... ويرزقنا حُسن الختام ، من غير ابتلاء ولا محِنة ، إنه نِعم المولى ، ونعم النصير ، وهو الجواد الكريم .

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة ، رجب الفرد ، ١٤٢١هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

تمهيد

فضائل المدينة المنورة على الإجمال

لقد جعل الله تعالى لكلِّ نبيٍّ حَرَماً يأوي إليه ، وخصّه بما يتناسب ومكانةَ ذلك النبي عنده ،... وقد جعل الله سبحانه تعالى لنبيه وحبيبه وصفيِّه سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ حَرَماً ، وجعله حَرماً آمِناً ، جعلها الله تعالى مدخلَ صدق ، وبدأ بها لأهميتها ،... تأكل القرى ، وفيها من البركة أضعافَ ما جعل في مكة ، هي سيدةُ البلدان ، ودارُ الهجرة ، ودارُ الإيمان ، ومأرزُه ، يئس الشيطان أن يُعبدَ فيها ، حرسها الله عز وجل بالملائكة الكرام ،... وحفظها من الزلازل والطاعون والدجال ، ولا يدخلها رُعبُه ، تنفي عن نفسها الخبثَ ، وتنفي شرارَها في كل وقت ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد والذهب والفضة ، وينصع طيبها ، فلِطِيبها من الرائحة ما لا يوجد في غيرها ، ولجدرانها من الطيب ما لا يوجد في غيرها .

ـ **مدينة** رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل هجرته إليها ، وأُخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم من قِبل جبريل عليهما الصلاة والسلام ليلةَ الإسراء ؛ أنها المهاجَر ،... فكانت المهاجَرَ ، والمسكنَ ، والمضْجِع ، والعاصمة ، والقاصمة ،...

ـ **مدينة** فتحت قلبها وذراعيها لاستقباله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وصحبه المهاجرين الكرام رضي الله عنهم ، فشمخت على سائر البلدان بذلك ، حيث عرفنا أنها تربتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم التي منها خُلِق ، وصاروا جميعاً أهلَها .

ـ **مدينة** حبّبها الله تعالى إلى المؤمنين ، كحبِّهم مكة ، بل أشد ، وبارك ـ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فيها ، وفي صاعها ومُدِّها ، وثمرها ،... ورغّب في المجاورة فيها ، وحث على الموت فيها ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم الشهيدُ ، والشافِعُ لمن صبر على لأوائها وشِدَّتها ، ولمن مات فيها ، ومَن تركها رغبةً عنها ؛ أبدلها الله جلت قدرته خيراً منه ، ومن مات فيها : بُعث يوم القيامة من الآمنين .

ـ **مدينة** أضاءت يومَ دخول الحبيب المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها ، فسبَّحت بيده حصباؤُها ، واشتاقت إليه منابرُها واهتزت تحته ـ طرباً ـ جبالُها ، ونبعت من بين أصابعه مياهُها ، ونما وتكاثر بين يديه طعامُها ، وأشبع العددَ الكثيرَ القليلُ من لبنها ، وتفتَّتَتْ من ضربةِ فأسهِ الصخرةُ في خندقها ، وحَنَّت وبكت بين يديه جِمالُها ، وشهدت له بالرسالة ذئابُها ، وسبَّح بين يديه طعامُها ،... وأضاءت لأصحابه رضي الله تعالى عنهم العصا في الليلة الظلماء حتى مشوا في ضوئها ، وعاد جبريلُ عليه السلام مريضَها ،...

ـ **مدينة** تعطَّر جوُّها بنفَسِه الطاهر صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، واختلط أثيرُها بنبرات صوته الشجي ، ولثمت أرضُها جبهتَه الكريمةَ في سجوده ، وباطنَ كفيه صلى الله عليه وآله وسلَّم في صلاته ، وجنبَه الطاهرَ في نومه ، وباطنَ قدميه في مشيه ، وتروَّت ذراتُها بدموعه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسعدت جدرانُها وحيطانها بالنظر إلى وجهه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجبالُها بصعوده عليها ، وبساتينُها بدخوله إليها ، وبيوتُها

بصلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحجرُها بجلوسه فيها ، وشوارعُها بمروره فيها ، وحاراتُها بتفقد أحوالها .

ـ **مدينة** أحبَّه صلى الله عليه وآله وسلَّم أهلُها ، فأحبهم ، فجعل الحياة حياتَهم ، والموتَ موتَهم ، من أخافهم ؛ أخافه الله جلت قدرته ، لأنه أخاف رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن آذاهم ، أو أرادهم بسوء أذابه الله عز وجل في النار ؛ كما يذوب الملحُ في الماء ، وكما يذوب الرصاصُ في النار ، وعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً .

ـ **مدينة** سمى الله تعالى أهلَها بالأنصار ، ولم يسمِّهم الناس ، جعل آيةَ الإيمان حبَّهم ، وآيةَ النفاق بغضَهم ، من أحبهم أحبه الله عز وجل ، ومن أبغضهم أبغضه الله عز وجل ، هم موالي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، ليس لهم مولى إلا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، هم أحبُّ الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولولا الهجرةُ لتمنى صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يكون منهم ، ولو سلك الناس وادياً أو شِعباً ؛ لسلك صلى الله عليه وآله وسلَّم واديَهم أو شِعبَهم ، هم موضعُ سِرِّه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأمانته ، وبطانته وخاصته ، أهلُ إيثار وخيرية ، وأمانة وعفة ، وحنو وصبر ، نالوا الدعاء الكثير لهم ولذرِّيّاتهم ومواليهم ،... غلبت عليهم محبة الآخرة ، فكانوا حريصين عليها كحرص الناس على الدنيا ،... فأوصى صلى الله عليه وآله وسلَّم بهم خيراً ، حتى اشتهرت وصايتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم بهم ، فلم يُعرف قوم بمثل ما لهم من الشهداء في الدنيا ، والعزة في الآخرة ، رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل .

ـ **مدينة** تنَزَّل الوحيُ فيها بالتشريع ، والأمان ، والجهاد ، وبيان الحلال والحرام ، وخالص الدين وصفاء الإيمان ،... وعلَّم صلى الله عليه وآله وسلَّم دينَ الله عز وجل ، فلم يَدَع صلى الله عليه وآله وسلَّم طائراً يطير ، أو وحشاً يسير ،... إلا وعند المسلمين عنه خبرٌ ، حتى ضرب الدِّينُ بكاهله ، وارتفع صوته ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، وقضى على جذور الشرك والوثنية .

ـ **مدينة** جعل الله تعالى لها من الأسماء ما لم يجعله لغيرها ، فأضافها إليه تعالى ، وأضافها إلى رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فهي طَيْبةٌ ، وطابةٌ ، وهي البحرةُ ، والبُحيرةُ ، وهي الدرعُ الحصينةُ ، وقبةُ الإسلام ، ودارُ السنة ، والإيمان ، ودارُ السلامة ، ودارُ الهجرة ، وهي الدار ، والقرية ،...إلخ.

ـ **مدينة** تشرَّفت وأهلُها باستقبالهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ يوم وصل إليهم فقالوا : (طلع البدر علينا) كما تشرَّفوا بعيشه صلى الله عليه وآله وسلَّم بينهم ، ومرقدِه فيهم ،... ويتشرف الناس بعد ذلك بزيارتها ، والتواجدِ فيها ، والعيش فيها ، كما تحنو القلوب ، وتهوى الأفئدة البعيدة إليها .

ـ **مدينة** سعد أهلها به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقدَّموا الغالي قبل الرخيص ، والنفسَ والولدَ والمالَ ، طواعيةً لله عز وجل ، ورغبة لما عنده ، ومحبة برسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكانوا سعداء أبراراً ، فصاروا أنصارَ الله تعالى ، وأنصارَ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل .

ـ **مدينة** استأذنت الملائكةُ ربَّها عز وجل في السلام على رسوله المصطفى

الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وظهرت الآيات تتلى على يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم بيناتٍ ظاهراتٍ ،... والمعجزاتُ الخارقاتُ واضحاتٍ باهراتٍ ،... فسعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم برؤيتها ، وأقام الله تعالى الحجةَ على الخلق بها .

ـ **مدينة** اختارها الله تعالى لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم سَكَناً ، ومهاجَراً ، ومضجعاً ، وجعل أهلَها له صلى الله عليه وآله وسلَّم أنصاراً وأعواناً ،... فعضتهم الحروب ؛ فصبروا ، ووجدوا الأَثَرَةَ بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم فصبروا ، فكان موعدهم الحوض يوم القيامة ، ليأخذ لهم صلوات الله عليه وآله وسلَّم حقّهم ، لأنهم جيرانه صلى الله عليه وآله وسلَّم فلزم إكرامُهم .

ـ **مدينة** أحبّت وأهلُها رسولَ الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، فأحبها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ودعا بتحبيبها ، أفدى أهلُها رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ففداهم ، وأشهد الله تعالى على حبِّهم ، فلا يزال الخير فيها ، والفضلُ فيها ،... جعل الهجرةَ إليها ـ قبل الفتح ـ واجبةً ، ثم المجاورة فيها بعد ذلك مطلوبة .

ـ **مدينةٌ** عصمها الله عز وجل من الشيطان ، وطهَّرها من الشرك والارتداد ، تُشد إلى مسجدها الرحالُ ،... وتُضاعَف فيها الأعمالُ ، والصلاةُ عند بعض سواري مسجدها متحراة ،... كما أن الصلاةَ في بعض مساجدها تعدل عمرةً كاملةً ، كما جعل الدعاءَ فيها مُستجاباً .

ـ **مدينة** أحبها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحبَّبها الله عز

وجل إلى الناس ، فإذا رآها صلى الله عليه وآله وسلَّم : أسرع للوصول إليها ، دعا لها صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ بمثل ما دعا إبراهيمُ عليه السلام لمكة وأضعافِه معه ، بل أزيد وأكثر ،... وجعل الله تعالى القلوبَ تهوي إليها ، ورزَقَها من ثمرات الأرض ، وجعل طعامَ الواحد فيها يكفي الاثنين ، وطعامَ الاثنين يكفي الأربعة ،... ونفى عنها الحُمَّى القاتلةَ إلى الجُحْفة ، ولا يُضرب على سوقها خراجٌ ، وحث صلى الله عليه وآله وسلَّم على الجَلَب إليها ، ونهى عن الاحتكار فيها .

ـ **مدينة** تنفي الذنوبَ والآثام والرجال ، وأهلُها أولُ من يُبعث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه رضي الله عنهما ، وأولُ مَن يحشر معه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأولُ من يَشفع لهم ، ويُبعث من بقيعها الألوف وجوهُهم كالقمر ليلة البدر ؛ يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذاب ، وحرَّم دخولَ الكفار عليها ، وأمر صلى الله عليه وآله وسلَّم ألا يبقى في المدينة إلا الإسلام ، وجعل عالِمَها أعلمَ من عالم غيرها ، وجيشُها الخارج منها في آخر الزمان : خيارُ أهل الأرض ، وجعل فيها الخيريةَ إلى يوم القيامة ،... وترتجف عند اقتراب الدجال ؛ ليخرج منها أشرارُها ، ويخرج منها الرجلُ الصالحُ ، وهو خير الناس أو من خيرهم ، ليقتله الدجالُ ، ثم يحييه الله عز وجل ، ولن يُسلَّطَ الدجالُ عليه ، ولا على غيره بعد ذلك ، وهو أعظمُ الناس شهادةً عند الله عز وجل ،...

ـ **مدينة** آخى فيها رسولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، وجمع شملَهم ، ووحَّد كلمتَهم ،... فصاروا أهلَها ، أخوةً متحابين في الله عز وجل ، وبهما فُتحت مكة .

ـ **مدينة** كان أهلها رضي الله تعالى عنهم حريصين على رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أحرص من العين على النظر ، والأذنِ على السمع ، والظمآنِ على الماء ،... حتى بادلَهم صلى الله عليه وآله وسلَّم الحب بمثله ، بل بأزيد ، فأحب رجالَهم وأطفالَهم ونساءَهم وأرضَهم وجبالهم وأوديتهم ومدينتهم ،... بل جعل آيةَ الإيمان حبَّهم . لذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم يوم فتح مكة : «...إني عبدُ الله ورسوله ، هاجرتُ إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم ، والممات مماتكم»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم يوم حنين ـ بعد أن وزع الغنائم على المؤلفة قلوبهم ، ومسلمة الفتح ـ : «...أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟»[2].

ـ **مدينة** يغضب الله عز وجل على الجيش الذي يغزوها في آخر الزمان ، فيخسف به الأرض .

ـ **مدينةٌ** اختار الله عز وجل موضعَ مسجدها ، فعيَّن جبريلُ عليه السلام قبلتَها ، فأُسِّسَ على التقوى من أول يوم ، وجعله الله عز وجل آخرَ مساجد الأنبياء عليهم السلام ، وهو أول مسجدٍ لعامة المسلمين في هذه الأمة ،... وضاعف أجر الصلاة فيه ، من صلى فيه عدداً معيناً حماه الله تعالى من النار والعذاب والنفاق ، ومن جاءه معلِّماً أو متعلِّماً فهو كالمجاهد في سبيل الله ،... ومن يأته مِن بيته قاصداً تُكفَّر سيئاتُه ، وتُزاد حسناتُه ،

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب فتح مكة ، رقم (٨٤ ، ٨٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٩).

وتُرفع درجاتُه ، وشُرع الابتداءُ به لمن قدم من سفر ، لذا حذَّر من رفع الصوت فيه .

ـ **مدينةٌ** حنَّ جذعُها حزناً لفراقه صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وشوقاً إليه ، وارتجف المنبرُ خشيةً ورهبةً من قراءته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو واقف عليه ، لا يُجتهد في محرابها ، وكثيرٌ من مساجدها حظيت بصلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ،... واستجاب الله تعالى دعاءَه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها . لذا يندب الصلاة والدعاء فيها للاتباع .

ـ **مدينة** جعل الله تعالى جبلَها أُحُداً من الجنة ، أحب رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأحبَّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كذلك ،... وشمَّ بعضُ شهدائها رائحةَ الجنة قبل استشهاده ، ومنهم مَن ظلَّلته الملائكةُ بعد استشهاده ، ومنهم من خاطبه الله تعالى كفاحاً ، ومنهم مَن غسَّلته الملائكةُ ، ومنهم من مشى بعرجته في الجنة برِجْل صحيحة ، وشهد لهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبقيت أجسادهم طرية بعد كشف قبورهم بزمن بعيد رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

ـ **مدينة** تفتتت الكُدية [الصخرة] في خندقها ، من ضربةِ فأسهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم خندقها ، وقد أشبع صلى الله عليه وآله وسلَّم ألفَ رجل من أهل الخندق من شاةٍ صغيرةٍ لجابرٍ رضي الله عنه ، كما أشبع أكثرَ منهم من كفِّ تمرٍ يومَ خندقها .

ـ **مدينة** هزم الله عز وجل الأحزابَ يوم الخندق ؛ بجند لا تُرى ، فانقلب الميزان ،... فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «الآن نغزوهم ولا

يغزوننا»[1]، واهتز عرشُ الرحمن لموت سَعْدها رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، فحملته الملائكةُ ، وفُتحت له أبوابُ السماء .

ـ **مدينة** واديها العقيقُ مبارك ، وبُطْحانُها على ترعة من ترع الجنة وكثير من آبارها مباركة ، وبعضها من الجنة ،... ومَن له أصل فيها فليمسك به ، ومَن ليس له أصل فليتخذ أصلاً ،... هي أقلُّ أرض الله تعالى مطراً ، ومع هذا تشرب مِن مياه أمطار أرضٍ بعيدة ، كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم باتساعها ، وسعةِ رزقها ، وفضل زيارتها ، هي باقية إلى قيام الساعة ، وآخر من يحشر راعيان من مزينة يصلانها ، لذا فمن غاب عنها أُشرب قلبُه جفوة .

ـ **مدينة** استحب بعضُ العلماء عدمَ الركوب فيها ؛ لمن قدر على ذلك ، كما استُحب الغُسلُ لدخولها ، والخروجُ منها من طريق ، والعودُ إليها من طريق آخر ، ولبسُ أحسن الثياب فيها ، ودخولُها ماشياً لمن قدر عليه ، والدخولُ إليها نهاراً ، ومن نذر إتيانَ مسجدها أو الصلاةَ فيه لزمه ذلك ،... ويستحب كثرة الصلاة والسلام على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، والدعوةُ بالموت فيها .

ـ **مدينة** جعلها الله تعالى مظهرَ الدِّين ،... ففَتحت البلادَ ، واعتلى بها الشأن ، ومنها انتشر الإسلام ، وارتفع منارُه ، ومنها شعَّ نورُه على أرجاء المعمورة ، حوت صحابةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله تعالى عنهم ، فلا تزال عامرةً إلى النفخ في الصور ، وهي آخر قرى الإسلام خراباً ،...

---

(١) رواه البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق ، من حديث سليمان بن صُرَد رضي الله عنه .

ضمّت بين جنباتها خيرَ الخلق صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وخِيرةَ هذه الأمة رضي الله تعالى عنهم ، وكثيراً من أخيارها .

ـ **مدينة** جعل الله تعالى ترابَها شفاءً ، وعجوتَها من الجنة ، وتمرَها حرزاً من السم والسحر ،... وروضتها من الجنة ، ومنبرها في الجنة ، وقوائمَ منبرها رواتبَ في الجنة ، لذا ضُوعفت العقوبة على من حلف عنده كاذباً ، أو رفع صوتَه عنده عالياً ، ومن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً ؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً ، ومن عاب تربتَها استحق التعزير .

ـ **مدينة** جعلها الله تعالى حَرَماً آمناً ، فحرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الصيدَ فيها ، وقَطْعَ شجرِها ، لقطتُها حرام ، لا يُختلى خَلاها ، ولا يُنَفَّرُ صيدُها ، ولا يصطاد فيها ، ولا تُلْتقطُ لقطتُها ، لا يُحمل فيها سلاحٌ ، ولا يُهراق فيها دمٌ ، حرّمها الله تعالى على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولم يحرِّمها الناس ،... لذا يحرم نقلُ ترابها وأحجارها إلى خارجها ، وجعلَ ميقاتَها أبعدَ المواقيت زيادة في ثواب المُحْرِم منها .

ـ **مدينة** فُرض فيها الجهادُ ، فانطلقت جحافل المسلمين في السرايا والغزوات ، تحمل النور والرحمة ، والهداية والبرهان ،... وتفتح البلدان والأمصار ، وتدك عُروش الكفر ، وصروح الطغيان ،... وتقضي على الشرك والوثنية ، بفصيح النطق ، وبينات الآيات والعرفان ،... فتوِّجت بفتح مكة وتطهير البيت فيها ، ثم تابعت مسيرتها بفتح سائر الأمصار ، حتى تطهرت الجزيرة كلها ـ ولله الحمد والمنة ـ من عبادة الأوثان ، وتكسرت فيها الأصنام ،... ويئس أن يُعبد فيها الشيطان ، ودان العباد فيها للملِك

الديَّان ، حتى صارت مكةُ تابعةً لها ، لأنها العاصمة .

ـ **مدينة** انبعثت منها البعوث ؛ تحمل الرسائل إلى العرب والعجم ، من سيد الخلق صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، يدعوهم فيها إلى الإيمان والإسلام ، فجاءته الوفود تحمل إسلامَ أقوامها ، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً ، فمن أسلم فقد فاز ونجا وسعد ، ومن جحد وعاند من أهل الجزيرة دخله صاغراً ، أو قُتل بسيف الإسلام كافراً ، أو دَفَع الجزيةَ إن كان من خارجها ، فكانت أيامُها مغيِّرةً لمعالم التاريخ .

ـ **مدينة** رجع المهاجرون والأنصار رضي الله تعالى عنهم به صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة المنورة بعد الحج ، فحرسوه بعيونهم ، ورمقوه بقلوبهم ، وفَدَوه بأرواحهم ، وقدَّموا أغلى ماعندهم ،... وفي نهاية المطاف ضمته أقدسُ بقعة في الوجود عندهم ، فهل بعد هذا الحرص من حرص ؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وهل بعد هذه الكرامة من كرامة ؟ وهل بعد هذا الإيثار من إيثار ؟ وهل بعد هذا العطاء من عطاء ؟ لا ثم لا .

فاتضح أن تربتَه صلوات الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه الكريمين رضي الله تعالى عنهما من تربتها ، وتربتَها مِن تربته صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فكانت مضجعَهم مدى الدهر ، لأن منها أصل خَلْقهم ، ففضلت بذلك على سائر الأرض وما فيها ، فنالت بذلك : الشرفَ والمنزلةَ والرِّفْعةَ والمكانةَ ،... والله تعالى أعلم .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

☆☆☆☆☆

الباب الأول

تحريم المدينة ، وبركتها ، ومكانتها
وفيه سبعة مباحث

- المبحث الأول : تحريم المدينة .
- المبحث الثاني : حدود الحرم .
- المبحث الثالث : مظاهر التحريم .
- المبحث الرابع : أسماؤها .
- المبحث الخامس : اختيار الله تعالى لها لتكون مهاجَراً لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .
- المبحث السادس : تطهيرها من الشرك ، وأرز الإيمان إليها .
- المبحث السابع : الدعاء لها .

الباب الأول

تحريم المدينة ، وبركتها ، ومكانتها

لقد جعل الله تعالى لكل نبيٍّ من أنبيائه عليهم السلام حَرَماً يأوي إليه ، وخصَّه جلت قدرته بما يتناسب ومكانة ذلك النبي عنده ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى المدينةَ المنورةَ حَرَماً لنبيه وصفيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجعله تعالى حَرَماً آمناً ، وأظهر تحريمَه على لسان صفيِّه وحبيبه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجعل جل شأنه لهذا التحريم مظاهر متعددة ، وجعل تعالى لهذه المدينة من الأسماء ما لا يوجد لغيرها من المدن ، وأكرمها جل شأنه بدعاء رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ومباركتِه فيها : بأضعاف مضاعفة لما حصل لمكة المكرمة ، فضلاً عن غيرها من المدن ، وخصَّها سبحانه وتعالى بخصائص كثيرة ،...

لكن لا يُمكن استيعاب ذلك في هذا المختصر . لذا فإني سأقتصر بإذن الله تعالى على ذكر بعض الفقرات ، وبعض النصوص الشريفة تحت كلِّ فقرة ، لتكون من باب التقريب ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، ففيه غنيةٌ إن شاء الله تعالى ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

☆☆☆☆☆

المبحث الأول
تحريم المدينة المنورة

لقد جعلت هذا الموضوع ضمن فقرات ؛ ليسهل حفظه وضبطه ، راجياً منه عز وجل قبوله ، والاستعانة فيه وفي غيره ، إنه جواد كريم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم .

١ـ هي حرم :

لقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم في بيان كون المدينة المنورة المباركة حَرَماً ، حيث رواه العشرات من الصحابة الكرام رضي الله عنهم . لكني سأقتصر على ذكر ثلاثة منها :

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : ما عندنا شيء إلا كتابُ الله ، وهذه الصحيفة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا ، مَنْ أحدث فيها حَدَثاً ؛ أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صَرفٌ ولا عدل ،...». الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينةُ حَرَمٌ من كذا إلى كذا ، لا يُقطع شجرُها ، ولا يُحدَث فيها حَدَثٌ ، من أحدث فيها حدثاً ؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حرم المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... رقم (٤٦٧).

أجمعين». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «المدينةُ حَرَمٌ ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحدِثاً ؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه يوم القيامة عدلٌ ولا صَرفٌ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

٢ـ حرَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد أعلن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم تحريمَ المدينة المنورة ، وأظهر ذلك التحريمَ في مواطن متعددة وأزمنة مختلفة ، ليُعرف ويُحفظ ، أقتصر على ذكر بعض النصوص الشريفة :

فعن نافع بن جُبَير رحمه الله تعالى ، أن مروان بنَ الحكم خطب الناسَ ، فذكر مكةَ وأهلَها وحرمتَها ، ولم يذكر المدينةَ وأهلَها وحرمتَها فناداه رافعُ بن خَديج ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال : ما لي أسمعُك ذكرتَ مكةَ وأهلها وحرمتَها ، ولم تذكر المدينةَ وأهلَها وحرمتَها ، وقد حرَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما بين لابَتَيْها ، وذلك عندنا في أَديمٍ خَوْلاني ، إن شئت أَقْرَأْتُكَه . قال : فسكت مروان ، ثم قال : قد سمعتُ بعضَ ذلك . رواه مسلم[3].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦٢ ـ ٤٦٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لابتي المدينة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦٩ ـ ٤٧٢).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٧).

عليه وآله وسلَّم : «إني أحرِّمُ ما بين لابَتَي المدينة ؛ أن يُقطع عِضاهُها ، أو يُقتل صيدُها». رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما بين لابَتَي المدينة ،...». الحديث ، متفق عليه[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...إني أحرم ما بين لابَتَيْها ،...». الحديث ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

وعن عاصم رحمه الله تعالى قال : قلت لأنس : أحرَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة ؟ قال : «نعم ، هي حرام ، ما بين كذا إلى كذا ، لا يُقطع شجرُها ، مَنْ أَحدث فيها حَدَثاً ؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،...». الحديث ، متفق عليه[4]، وله روايات أخرى ، يأتي ذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

٣- حرمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة :

لقد تواترت الأحاديثُ النبويةُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٩).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الخدمة في الغزو ، وباب من غزا بصبي للخدمة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦٢).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب إثم من آوى مُحْدِثاً . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦٣ ـ ٤٦٤).

في تحريمه المدينة المنورة ، لكني أقتصر على ذكر بعض النصوص الشريفة .

فعن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، ودعا لأهلها ، وإني حرَّمتُ المدينةَ ، كما حرَّم إبراهيمُ مكة ، وإني دعوتُ في صاعِها ومُدِّها ؛ بمِثْلَي ما دعا به إبراهيمُ لأهل مكة». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني أُحرِّمُ ما بين لابَتَيْها» (يريد المدينة). رواه مسلم[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني حرَّمتُ المدينةَ ما بين لابَتَيْها ، لا يُقطع عِضاهُها ، ولا يُصاد صيدُها». رواه مسلم[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ فجعلها حَرَماً ، وإني حرَّمتُ المدينةَ حراماً ما بَين مَأْزِمَيْها ، أن لا يُهراقَ فيها دم ، ولا يُحمل فيها سلاحٌ لقتال ،...». رواه مسلم[4].

وفي رواية له[5] عنه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ومُدِّه . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٤).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٦).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٨).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥).

(٥) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٨).

عليه وآله وسلَّم يقول : «إني حرَّمتُ ما بين لابَتَي المدينةِ ، كما حرَّم إبراهيم مكة».

وعن علي رضي الله عنه قال : ما عهدَ إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً خاصةً دون الناس ، إلا شيءٌ سمعته منه ؛ فهو في صحيفةٍ ؛ في قراب سيفي ،... وإذا فيها : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني أحرِّمُ المدينةَ ، حرامٌ ما بين حرَّتَيْها ،...». الحديث ، رواه أحمد وأبو داود والبيهقي بسند صحيح ، وحسَّن الحافظ سنده[1]، وأصله في الصحيحين .

فهذه النصوصُ الشريفةُ صريحةٌ في كون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي حرَّم المدينة ، كما حرَّم إبراهيم عليه السلام مكة . وسيأتي وجه الجمع بين هذه الأحاديث وبين الأحاديث الأخرى التي تدل على أن المحرِّمَ لها إنما هو الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

٤ـ هي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد جعل الله تعالى لكل نبي من أنبيائه عليهم السلام حرماً يأوي إليه ، وجعل المدينةَ المنورةَ حرماً لرسوله وحبيبه وصفيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لكل نبيٍّ حَرَمٌ ، وحَرَمي المدينةُ ، اللهم إني أُحَرِّمها بحُرَمِك ، أن لا يُؤْوى فيها محدِثٌ ، ولا يُختلى خَلاها ، ولا يُعضد شوكها ، ولا تُؤخذ

---

(١) مسند أحمد (١ : ١١٩) وسنن أبي داود : كتاب المناسك : باب في تحريم المدينة ، رقم (٢٠٣٥) والسنن الكبرى (٥ : ٢٠١) ودلائل النبوة (٧ : ٢٢٨).

وانظر فتح الباري (١٢ : ٢٦١).

لقطتُها إلا لمنشد ،...». الحديث ، رواه أحمد والطبري وأبو نعيم وابن الجعد بسند حسن[1].

وقد ورد من حديث علي وأنس رضي الله عنهما أيضاً .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أنه وجد غلماناً قد ألجؤوا ثعلباً إلى زاوية فطردهم عنه . قال مالكٌ رحمه الله تعالى : ما أعلم إلا أنه قال : أفي حَرم رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يُصنع هذا ؟ رواه الإمام مالك والطحاوي ـ من طريقه ـ والطبراني في الكبير والبيهقي . وإسناد مالك صحيح[2].

٥ـ الذي حرمها هو الله تعالى :

إن الذي حرَّم المدينة إنما هو الله عز وجل ، ولم يحرِّمها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم من عنده ، ولكن الله جلت قدرته أظهر ذلك التحريمَ على لسان رسوله الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، كما هو الحال في مكة ، حيث حرَّمها الله سبحانه وتعالى يوم خلق السمٰوات والأرض ، وأظهر ذلك التحريمَ على لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام ، فالمدينةُ هي إسلاميةُ التحريم والمنزلة والمكانة ،...إلخ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال :

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣١٨) ومسند علي بن الجعد (٢ : ١١٧٩) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠١) وفيض القدير (٥ : ٢٣٨) وشرح العزيزي (٣ : ٢٠٤) وكنز العمال بأرقام (٣٤٨٠٠ ، ٣٤٨٣١ ، ٣٤٨٦٤ ، ٣٤٨٧١ ، ٣٤٨٧٤).

(٢) الموطأ (٢ : ٨٩٠ رقم ١٢) وشرح معاني الآثار (٤ : ١٩٢) والمعجم الكبير (٤ : ١٣٧) والسنن الكبرى (٥ : ١٩٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٤).

«حُرِّم ما بين لابَتَي المدينةِ على لساني ،...». الحديث ، رواه البخاري[1].

وعنه رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن الله حرَّم على لساني مابين لابَتَي المدينة...». الحديث ، رواه أحمد وابن أبي شيبة والإسماعيلي والطبراني بنفس سند البخاري[2].

وورد نحوه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وعن عاصم الأحول رحمه الله تعالى قال : سألت أنسَ بن مالك : أَحَرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة ؟ قال : «نعم ، هي حرام ، حرَّمها الله ورسوله ، لا يُختلى خَلاها ، فمن يعمل بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». رواه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي ، وأصله في صحيح مسلم[3].

وقد ورد نحوه من حديث غيرهم من الصحابة أيضاً .

ففي هذه الأحاديث الشريفة : بيانُ أن الذي حرَّم المدينةَ إنما هو الله تعالى ، والنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم هو المظهِرُ لذلك التحريم ، والله تعالى أعلم .

٦ـ المدينة حرم آمن :

لقد جعل الله تعالى المدينةَ المنورةَ حرماً آمناً ، يطمئن أهلُه ، كما جعل

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حرم المدينة .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٨٦ ، ٣٧٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ١٩٩) والمعجم الأوسط (٢ : ٤٣٨) وتاريخ بغداد (٤ : ١١٢) (٧ : ١٩٦) وفتح الباري (٤ : ٨٤).

(٣) مسند أحمد (٣ : ١٩٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٢٠٠) ومسند أبي يعلى (٧ : ٩١) والسنن الكبرى (٥ : ١٩٧) وقد رواه بإسناد مسلم ، وقد مرّ ذكره قبل قليل .

تعالى مكةَ المكرمةَ ، لذا هي حرم آمن ،... لا يجوز إخافةُ أهلها وساكنيها وقاطنيها ؛ من إنسان أو حيوان ،... ولا إذعارُهم .

فعن سهل بن حُنيف رضي الله تعالى عنه قال : أهوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيده إلى المدينة ، فقال : «إنها حرم آمن». رواه مسلم[1].

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إنها حرام آمن ، إنها حرام آمن». رواه أحمد ، وابن أبي شيبة ، والطبراني برجال الصحيح[2].

وقد ورد مثله من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

وفي هذا دليل لمذهب الجمهور على تحريم المدينة ، وتحريم صيدها وشجرها ،...إلخ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

٧ـ حرمتها كحرمة مكة :

إن حرمةَ المدينة كحرمة مكة تماماً ، لأن تحريمها جاء بنفس اللفظ الذي جاء فيه تحريم مكة ، ثم بالمماثلة بين المدينتين في التحريم .

إضافة إلى المماثلة في جزئيات التحريم (صيد ، قتال ، شجر ،...) إضافة إلى ذكر أمورٍ لم تُذكر في الحرم المكي ، كتحريم الإحداث ، وإيواءِ المُحدِث ،... إضافةً إلى أنها هي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو أكرمُ الخلق على ربه عز وجل ، وأن الله جل شأنه أظهر تَحريمَها على لسانه صلى

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٩).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٤٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ١٩٨ ـ ١٩٩) والمعجم الكبير (٦ : ١١١ ، ١١٢) والسنن الكبرى (٥ : ١٩٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٣).

الله عليه وآله وسلَّم ، كما أظهر الله سبحانه وتعالى تَحريمَ مكة على لسان خليله إبراهيم عليه السلام ، وقد تواترت الأحاديثُ في ذلك ، أقتصر على ذكر بعضها .

فعن عبد الله بن زيد المازني رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، ودعا لأهلها وإني حرَّمتُ المدينةَ ؛ كما حرَّم إبراهيمُ مكة ، وإني دعوت في صاعها ومُدِّها بمثلَيْ ما دعا به إبراهيم لأهل مكة». متفق عليه ، واللفظ لمسلم وقد سبق ذكره .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني حرَّمتُ المدينةَ ما بين لابَتَيْها ؛ لا يُقطع عِضاهُها ، ولا يُصاد صيدُها». رواه مسلم ، وقد سبق ذكره أيضاً .

زاد أحمد بإسناد حسن[1]: «وهي كمكة حرام ؛ ما بين حرَّتيها وحماها».

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لأبي طلحة : «التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر ،...». الحديث بطوله ، وفي آخره قال : فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينة ؛ نظر إلى أُحُدٍ فقال : «هذا جبلٌ يُحبنا ونُحبه» ثم نظر إلى المدينة ؛ فقال : «اللهم إني أحرِّم ما بين لابَتَيْها ؛ بمثل ما حرَّم إبراهيم مكة ، اللهم بارك لهم في مُدِّهم وصاعهم». متفق عليه[2].

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٩٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠١ـ٣٠٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من غزا بصبي للخدمة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٦٢ ، ٤٦٣).

فهذا دليل صريح على التماثل في التحريم ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «إني حرَّمتُ ما بين لابَتَي المدينة ؛ كما حرَّم إبراهيم مكة ،...». الحديث ، رواه مسلم[1]، وله روايات أخرى .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «اللهم إن إبراهيمَ خليلُك وعبدُك ونبيُّك ، دعاك لأهل مكة ،...». الحديث ، وفي آخره : «اللهم إني قد حرَّمتُ ما بين لابَتَيْها ، كما حرَّمتَ على لسان إبراهيم الحرم ،...». الحديث ، رواه أحمد والجنَدي وسعيد بن منصور والروياني برجال الصحيح[2].

إلى غير ذلك من النصوص ، حيث وردت عن : عليٍّ وأبي هريرة وابن عباس ،... وغيرهم رضي الله عنهم . وكلها تدل دلالةً صريحةً على التماثل في التحريم بين مكة والمدينة ، والله تعالى أعلم .

٨ـ متى صارت المدينة حراماً :

يعني : هل صارت المدينة حَرَمَاً آمناً بقول النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ودعائه ، أم كانت حَرَمَاً آمناً قبل ذلك ؟

في هذه المسألة قولان :

الأول : كانت حلالاً قبل دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم لها ،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٨).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٠٩) وفضائل المدينة للجندي (١٨ ـ ١٩) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٤) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٤).

وإنما صارت حراماً بدعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما هو الحال في تحريم مكة ، حيث كانت حلالاً كسائر البلاد ؛ قبل دعوة إبراهيم عليه السلام ، وإنما صارت حراماً بدعوة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام[1] .

ويدل لهذا القول ما جاء في الأحاديث الشريفة التي ذكرتُها في الفقرتين (٢ وَ ٣) أمثال قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني أحرِّم ما بين لابَتَيْها» «إني حرَّمتُ المدينة ،...». كما في أحاديث رافع ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن زيد ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، وأبي سعيد ، وعلي ،... رضي الله عنهم .

الثاني : كانت المدينة حَرَاماً قبل دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتأخر التكليفُ به حتى أظهره الله عز وجل على لسان نبيه وصفيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي هذا دليلُ كمالِها ، حيث ادَّخر الله تعالى ذلك ، حتى جعله على لسان أشرف المرسلين صلوات الله عليه وآله وسلم ، كما هو الحال في مكة ، حيث كان تحريمُها قديماً ؛ منذ خلق الله عز وجل السمٰوات والأرض ، ولكن الله تعالى أظهره على لسان خليله إبراهيم عليه السلام .

فالله عز وجل هو المحرِّمُ لهما ، وإنما أُضيف تحريمُ المدينة المنورة إلى النبيِّ المصطفى الكريمِ صلى الله عليه وآله وسلَّم لأنه ظهر على يديه ، ولم يُعرف إلا في زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما أُضيف تحريم مكة إلى إبراهيم عليه السلام ، لأنه لم يُعرف إلا في زمانه ، ولم يظهر إلا على يديه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر : الأحكام السلطانية للماوردي (١٦٥) والمجموع (٧ : ٣٩٨ـ٣٩٩).

ومما يدل على أن المحرِّم لمكة المكرمة هو الله تعالى ؛ وليس إبراهيم عليه السلام :

قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن مكة حرَّمها الله [زاد في رواية ابن عباس : يوم خلق السمٰوات والأرض] ولم يُحرِّمْها الناس». متفق عليهما[1]، من حديث أبي شُريح وابن عباس رضي الله عنهم .

ويشهد لذلك بالنسبة للمدينة المنورة ما ذكرتُه تحت فقرة (٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه : «حُرِّم ما بين لابَتَي المدينة على لساني». رواه البخاري ، وفي الرواية الثانية : «إن الله حرَّم على لساني ما بين لابَتَي المدينة» ومن حديث أنس رضي الله عنه ، ولفظه «حرَّمها الله ورسوله». كما مر حديث أبي قتادة رضي الله عنه في فقرة (٧) «اللهم إني قد حرَّمتُ ما بين لابَتَيْها ، كما حرَّمتَ على لسان إبراهيم الحرم».

ولهذا نظير في كتاب الله تعالى . حيث قال الله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾[2] حيث أضاف التَّوَفِّيَ إليه جل شأنه ، بينما قال في آية أخرى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[3] حيث أضاف التَّوَفِّيَ إلى المَلَك الذي يقبض الأرواح ، وقال جل شأنه في آية ثالثة : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[4] حيث

(١) صحيح البخاري : كتاب جزاء الصيد : باب لايُعضد شجر الحرم ، وباب لايحل القتال بمكة ، وكتاب الجزية : باب إثم الغادر للبر والفاجر ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها ،... رقم (٤٤٥ ، ٤٤٦).

(٢) سورة الزمر (٤٢).

(٣) سورة السجدة (١١).

(٤) سورة النحل (٢٨ ، ٣٢).

أضاف التَّوَفي إليهم .

علماً بأن المُتَوَفِّي ـ في الحقيقة ـ : هو الله سبحانه وتعالى . وإنما أضيف إلى غيره لأنه يَظهر على أيديهم ، والله تعالى أعلم .

٩ـ متى ظهر تحريم المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم :

يعني في أي سنة ظهر هذا التحريم ؟

الذي جزم به الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله تعالى[١] أن تحريم المدينة المنورة كان في السنة السابعة من الهجرة ، بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من غزوة خيبر ، مستدلاً بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال لأبي طلحة : «التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني ؛ حتى أخرج إلى خيبر». فخرج بي أبو طلحة مُردفي ـ وأنا غلام راهقت الحُلُم ـ فكنتُ أخدم رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا نزل ،... ثم ذكر فتح خيبر ، وبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بصفية رضي الله عنها ، والوليمة على ذلك ـ ثم قال : ثم خرجنا إلى المدينة ،... فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينة ، نظر إلى أُحُدٍ ، فقال : «هذا جبلٌ يحبنا ونحبه». ثم نظر إلى المدينة فقال : «اللهم إني أُحرِّم ما بين لابَتَيْها بمثل ما حرَّم إبراهيمُ مكةَ ، اللهم بارك لهم في مُدِّهم وصاعهم». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[٢].

---

(١) انظر : فتح الباري (٤ : ٨٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من غزا بصبي للخدمة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٦٢ ، ٤٦٣).

وغزوة خير كانت في السنة السابعة من الهجرة في قول أغلب أهل المغازي ، في آخر شهر الله المحرم وأوائل شهر صفر ، إلا ما حكاه ابن التين عن ابن الحصار رحمه الله أنها في آخر السنة السادسة ، وهو منقول عن الإمام مالك رحمه الله ، وبه جزم ابن حزم ، والجمعُ بين القولين سهل ميسور[1] والحمد لله تعالى .

قلت : لكن الذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أن ذلك كان قبل غزوة خيبر بقليل ، يعني في غزوة عسفان المعروفة ببني لحيان ، ثم تكرر ذلك التحريم مرات متعددة حتى يُعلم وينتشر .

ويدل على ذلك : الجمعُ بين حديثي أبي سعيد الخدري وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما .

فعن أبي سعيد ـ مولى المَهْري ـ أنه أصابهم بالمدينة جَهد وشدة ، وأنه أتى أبا سعيد الخدري ؛ فقال له : إني كثير العيال ، وقد أصابتنا شدةٌ ، فأردتُ أن أنقلَ عيالي إلى بعض الريف .

فقال أبو سعيد : لا تفعل ، الزم المدينةَ ، فإنا خرجنا مع نبي الله صلى الله عليه وآله وسلَّم (أظن أنه قال): حتى قدمنا عسفان ، فأقام بها ليالي ، فقال الناس : والله ما نحن هٰهنا في شيء ، وإن عيالَنا لخُلُوف ، ما نأمن عليهم . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : «ما هذا

(١) وذلك باعتبار بدء التاريخ ، هل ينظر من ساعة وصول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة ، أم من أول التأريخ وهو بدء المحرم . فمن قال من وصول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يعني من (١٢) ربيع الأول ، ومن قال من بدء التأريخ يعني من (١ محرم).

الذي بلغني من حديثكم ؟ (ما أدري كيف قال) والذي أحلف به ـ أو والذي نفسي بيده ـ لقد هممتُ ـ أو إن شئتم ـ (لا أدري أيتهما قال) لآمرن بناقتي تُرحل ، ثم لا أحل لها عقدةً ؛ حتى أقدم المدينة . وقال : اللهم إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، فجعلها حرماً ، وإني حرمتُ المدينة حراماً ما بين مأزميها . أن لا يُهراق فيها دم ، ولا يُحمل فيها سلاح لقتال ،... والذي نفسي بيده ما من المدينة شِعب ولا نَقْب : إلا عليه ملكان يحرسانها ؛ حتى تقدموا إليها» ثم قال للناس : «ارتحلوا» فارتحلنا ، فأقبلنا إلى المدينة ، فوالذي نحلف به ـ أو يحلف به ـ (الشك من حمَّاد) ما وضعنا رحالَنا حين دخلنا المدينة ؛ حتى أغار علينا بنو عبد الله بن غطفان ، وما يهيجهم قبل ذلك شيء . رواه مسلم[1].

وإغارةُ بني عبد الله بن غطفان ـ بقيادة عُيينة بن حصن الفزاري ، على لقاح النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم التي كانت بالغابة ، فاستاقوها ، وقتلوا راعيها ـ وهو رجل من غِفار ـ كانت بعد ليال من قدوم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم والمسلمين المدينة ، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في طلبهم ، حتى بلغوا إلى ذي قَرَد ، فسميت هذه الغزوة بغزوة ذي قَرَد ، وبين العودة منها وبين غزوة خيبر : ثلاثةُ أيام ، كما في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

فعنه رضي الله تعالى عنه ـ في قصة حكايته لغزوة ذي قَرَد ، وفي آخره ـ قال : فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال ؛ حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥).

صلى الله عليه وآله وسلَّم . الحديث . رواه مسلم[1] .

ففي حديث أبي سعيد رضي الله عنه دلالةٌ على أن التحريم وقع بعد عودتهم من عُسفان ، والتي تسمى بغزوة بني لحيان ، ثم خرجوا بعدها إلى غزوة ذي قَرَد ، ثم خرجوا بعدها إلى خيبر .

بينما الحديث الذي استدل به الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله تعالى كان بدءُ التحريم بعد عودتهم من خيبر .

ولا تعارض في نظري ، لأن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم صار يكرِّرُ ذلك ، ويعلنه في أوقات مختلفة ، حتى يُعلم وينتشر ويُحفظ ، لكن أقدم ما وقفت عليه هو ما كان في حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، وذلك بعد عودتهم من عُسفان ـ وهي قبل غزوة خيبر ـ ثم تكرر ذكرُ ذلك بعد شهور ، فوقع بعد عودتهم من غزوة خيبر ، كما ورد في حديث أنس رضي الله عنه ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب غزوة ذي قرد ، رقم (١٣٢) .

المبحث الثاني

حدود الحرم المدني

إن الأحاديث التي جاءت في تحريم المدينة متواترةٌ كما قلت ، ولم ترد الأحاديث المبيِّنة لحدوده غيرَ مقيَّدةٍ ، بل جاءت مقيِّدةً حدودَ الحرم النبوي الشريف من جهاته الأربع ، لكنها جاءت على ثلاثة أضرب :

الأول : بلفظ (اللابَتَيْن) وهو من الشرق إلى الغرب .

والثاني : بلفظ (من عَيْرٍ إلى ثور) وهو من الشمال إلى الجنوب .

والثالث : بلفظ (الجبلين ، المأْزمين ، من كذا إلى كذا ، من عَيْر أو عائر إلى كذا ،...). كما ورد بعضها في بيان الحِمى أيضاً ، لذا سأذكر بيان الجهات الأربع ، ثم أذكر ما ورد في الحِمى ، إن شاء الله تعالى .

أولاً : تحديد الحرم من الشرق إلى الغرب (ما بين لابَتَيْها):

لقد تواترت الأحاديث عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في تحديد الحرم الشريف من الجهتين الشرقية إلى الغربية ، وجاءت تلك الأحاديث بلفظ (اللابَتَيْن).

واللابتان ـ تثنية لابَة ـ هما الحرَّتان . تثنية الحرَّة : حجارة سوداء منتشرة . والحرَّتان معروفتان في المدينة إلى اليوم ، يقال لهما : الحرَّة الشرقية ، والحرَّة الغربية ، وإن كان السكن قد بدأ يزحف إلى أطرافهما مما يلي المدينة . وأذكر هنا بعض النصوص النبوية الشريفة ، لصعوبة استيعابها ، وقد مرَّ ذكرها من قبل :

فعن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني أُحرِّم ما بين لابَتَيْها» . ـ يريد المدينة ـ رواه مسلم .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني حرَّمتُ المدينةَ ما بين لابَتَيْها ، لا يُقطع عِضاهُها ، ولا يُصاد صيدُها» . رواه مسلم .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم «إني أُحرِّمُ ما بين لابَتَي المدينة ؛ أن يُقطع عِضاهُها ، أو يُقتَل صيدُها» . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حرَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما بين لابَتَي المدينة .

قال أبو هريرة : فلو وجدتُ الظِّباءَ تَرتَعُ ما بين لابَتَيْها ما ذعرتُها . متفق عليه .

وعنه رضي الله عنه ، أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم قال : «حُرِّم ما بين لابَتَي المدينة على لساني» . رواه البخاري .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم إني أحرِّم ما بين لابَتَيْها ؛ بمثل ما حرَّم إبراهيم مكة ،...» . متفق عليه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «إني حرَّمتُ ما بين لابَتَي المدينةِ ، كما حرَّم إبراهيمُ

مكةَ». رواه مسلم .

وقد سبق ذكرُ هذه الأحاديث في الفقرات السابقة (٢ ، ٣ ، ٥).

فالمراد باللاّبَتَيْن : الحرتان الشرقية ، والغربية ، ويوضح هذا حديثُ علي رضي الله عنه ، وقد سبق ذكره ، ولفظه :

فعنه رضي الله تعالى عنه قال : ما عهدَ إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً خاصةً دون الناس ، إلا شيءٌ سمعته منه ؛ فهو في صحيفةٍ في قراب سيفي ،... وإذا فيها : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني أحرِّمُ المدينةَ ، حرامٌ ما بين حَرَّتَيْها ، وحِماها كله ، لا يُختلى خَلاها ، ولا يُنَفَّرُ صيدُها ،...». الحديث بطوله . رواه أحمد وأبو داود والبيهقي بسند صحيح ، وحسّن الحافظ سنده ، وأصله في الصحيحين .

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة منهم : زيدُ بن ثابت ، وعبادةُ ابن الصامت ، وكعبُ بن مالك ، وعبدُ الرحمن بنُ عوف ، وأبو الحسن المازني ، وأبو قتادة ،... وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

ثانياً : تحديد الحرم من الشمال إلى الجنوب (من عَيْرٍ إلى ثور):

وكما حدَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حدودَ الحرم مِن الشرق إلى الغرب ، فإنه كذلك حدَّده من **الشمال إلى الجنوب** .

فعن إبراهيم التيمي ، عن أبيه رحمه الله قال : خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتابَ الله وهذه الصحيفة ـ [قال : وصحيفةٌ معلَّقَةٌ في قراب سيفه] ـ فقد كذب . فيها أسنان الإبل ، وأشياءُ من الجراحات ، وفيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم :

«المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ ، فمن أحدث فيها حَدَثاً ، أو آوى مُحْدِثاً ؛ فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين ، لا يَقبلُ الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ،...». متفق عليه واللفظ لمسلم[1].

وقد جاء في غير هذه الرواية عند البخاري[2] أيضاً بلفظ : «من عَير إلى كذا» و «من عائر إلى كذا».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثور ، فمن أَحْدث فيها حَدَثاً ، أو آوى مُحدِثاً ؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين». رواه البيهقي بسند صحيح[3]، وعزاه للصحيحين .

قلت : لكن ليس فيهما ذكر «ما بين عَير إلى ثور»، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : في غير ما ذكر ، لكنها تعود إلى أحد القسمين السابقين :

لقد جاءت الروايات فيه غير محددة ، مثل «من كذا إلى كذا» أو «ما بين جبليها» أو «ما بين مأزميها» أو تحديد أحد طرفيها دون الآخر «من عائر إلى كذا» أو «من عَير إلى كذا» وتلك الروايات هي :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الفرائض : باب إثم من تبرأ من مواليه . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٦٧) وكتاب العتق : باب تحريم تولي العتيق غير مواليه ، رقم (٢٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حرم المدينة ، وكتاب الجزية والموادعة : باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة ، وباب إثم من عاهد ثم غدر ، وكتاب الاعتصام : باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع .

(٣) السنن الكبرى (٥ : ١٩٦).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «المدينة حَرَمٌ من كذا إلى كذا ، لا يُقطع شجرُها ،...». الحديث بطوله ، متفق عليه .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم إني أُحَرِّم ما بين جَبليها بمثل ما حرَّم إبراهيم مكة». متفق عليه .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، فجعلها حَرَماً ، وإني حرَّمتُ المدينةَ حَراماً ما بين مَأْزِمَيْها ، أن لا يُهراقَ فيها دم ،...». الحديث ، رواه مسلم .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينة حَرَمٌ ما بين عائر الى كذا ، من أحدث فيها حدثاً ، أو آوى مُحدِثاً ؛ فعليه لعنةُ الله ،...». لفظ البخاري .

وفي رواية له أيضاً عنه رضي الله تعالى عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينة حَرَمٌ ما بين عَير إلى كذا...».

هكذا جاء في رواية البخاري في الموضعين ، وقد سبق ذكر مكان العزو لهاتين الروايتين قبل قليل .

وأما الرواية الثالثة عند البخاري ـ وهي عند مسلم أيضاً ـ فلفظها «ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْر» وقد مر ذكرها قبل قليل ، كما سبق ذكر هذه الروايات من قبل .

والجمع بين هذه الروايات فهو كالتالي :

أما قوله «من كذا إلى كذا» كما في رواية أنس رضي الله عنه الأولى ، فقد

جاءت مبهمة ، يفسِّرها حديثُ علي رضي الله عنه ، لذكر «مِن» وَ «إلى» يعني «مِن عَيْرٍ إلى ثور»، والله تعالى أعلم .

وأما قوله : «ما بين جبليها» كما في رواية أنس رضي الله عنه الثانية ؛ فيفسره أيضاً حديثُ علي رضي الله عنه «من عَير إلى ثور».

كما يمكن أن تحمل على الحرتين ، على قول من قال : يوجد في الحرتين جبل . لكن لم أره فيهما ، والله تعالى أعلم .

وأما قوله : «ما بين مأزميها» كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه ؛ وهما تثنية مأزم . وهو الجبل ، كما قال الإمام النووي[1] رحمه الله تعالى ، وقيل : المضيق بين الجبلين ونحوه ، والأول : هو الصواب هنا ، ومعناه ما بين جبليها ، كما سبق في حديث أنس وغيره رضي الله عنهم ، والله تعالى أعلم.اهـ.

فيكون ذكر الجبلين والمأزمين : غير متعارض مع حديث «عَير وثور». لأن كلاً من عَير وثور جبل ، ويطلق عليه مأزم أيضاً ، والله تعالى أعلم .

وأما قوله : «من عائر إلى كذا» وَ «مابين عَير إلى كذا» كما في روايتَيْ علي رضي الله عنه ، فهذا من تصرف الرواة ، كما سيأتي في الفقرة التالية ، إن شاء الله تعالى . حيث ذُكر أحد الطرفين ؛ وهو (عَيْر) وأهمل الثاني ، وهو (ثَور).

وبهذا تكون حدود الحرم للمدينة ؛ من جهة الشمال إلى الجنوب إنما هو من عَيْر إلى ثور ، والله تعالى أعلم .

ولكن يشكل على ذلك : ما جاء في حديث عبد الله بن سلام رضي الله

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (٩ : ١٤٧).

عنه ، وفيه قوله : «ما بين كذا وأُحد [وعند الطبراني : ما بين عَير وأُحد حرام] حرَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ما كنتُ لأقطعَ به شجرةً ، ولا أقتلَ طائراً». رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات[1].

والجواب عنه : أنه عبَّر عن ثور بأُحد ، لأنه خلفه مباشرة ، والله تعالى أعلم .

اعتراض على ذكر عَير وثور :

لقد اعترض بعضُ العلماء الأفاضل القدماء رحمهم الله تعالى على ذكر كلمة (ثور) كما اعترض بعضهم على ذكر كلمة (عَير) وذلك لأنهما : جبلان معروفان في مكة ، ولم يعرفوهما ـ أو أحدَهما ـ في المدينة ، ولهذا وهَّموا الروايةَ في ذلك ، وحملوا ذلك على :

١ـ توهيم الرواية ، ذكره مصعب الزبيري ، والمازري ، والقاضي عياض ، وأبو عُبيد ، والحازمي رحمهم الله تعالى .

٢ـ حمله على المجاز ، ويكون المعنى : حرم من المدينة قدر ما بين عَير وثور من مكة .

٣ـ على تقدير مضاف ، ويكون المعنى : حرَّم المدينةَ تحريماً مثل تحريم ما بين عَير وثور بمكة . كما ذكره ابنُ الأثير وابنُ قدامة رحمهما الله تعالى .

ولا يصح أن يُعتقد : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حرَّم ما بين عَيْر ـ الجبل الذي في المدينة ـ وثَور ـ الجبل الذي بمكة ـ فإن ذلك مباح بالإجماع .

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٤٥٠ ـ ٤٥١) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٣).

وقد ذكرتُ أماكنَ العزو لهذه الأقوال وغيرها في الأصل ، فارجع إليه إن أردت الزيادة .

ولا أدري كيف وقع هؤلاء الأئمة الأعلام رحمهم الله تعالى بهذا الوهم ، ولعله صدر عن بعض المتقدمين ، كأبي عُبيد ، ومصعب ، ثم توارد عليه الباقون ، إما تقليداً لمن سبق ، أو من غير بحث ، أو من بعد سؤال من يجهل ذلك ، والله تعالى أعلم .

والجواب على هذا الاعتراض من وجوه :

١ـ إن جهل المرء بالشيء لا يغير الحقيقة ، كما لا يكون حجةً على من يعرف ، بل من عَرف حجةٌ على من لم يعرف ، كما هو معلوم .

٢ـ إن كثيراً من الأماكن تتشابه أسماؤها ، بل لها نفس الأسماء ، وهي في أماكن متباعدة ، مثل : طرابلس في بلاد الشام ، وطرابلس في ليبيا ، والبصرة في جنوب العراق ، والبصرة في شمال أفريقيا ، ودومة في بلاد الشام قرب دمشق ، ودومة في شمال الجزيرة العربية (الجوف) وقارا في بلاد الشام بين دمشق وحمص ، وقارا في شمال الجزيرة العربية (عند الجوف) بل الجوف قريتان ؛ واحدة في شمال الجزيرة ، وأخرى في جنوبها ، وهكذا .

فإذا اتفق الاسم على مكانين ـ من بلدين أو جبلين ،...إلخ ـ ننفي وجود أحدهما ؟ لا .

٣ـ إن كثيراً من الأماكن تتغير أسماؤها إلى أسماء أخرى جديدة ، ولاعتبارات مختلفة ، فقد تغيرت في زماننا هذا الذي نعيش فيه : أسماءُ مدارس ، وشوارع ، ومدن ، وجامعات ، ودول ،...

ومن نظر في (المغانم المطابة لمعالم طابة) للفيروز أبادي ، وَ (آثار المدينة المنورة) لعبد القدوس الأنصاري ،... وَ (المدينة بين الماضي والحاضر) لإبراهيم العياشي رحمهم الله تعالى ؛ رأى الشيء الكثير .

٤ـ إن كثيراً من الأماكن ، من جبال ، وسهول ،... وهضاب ، وأماكن ،... قد نسيها الناس ، فلم يعودوا يعرفونها ،... وإن كانت أسماؤها موجودةً في الكتب ، وهذا أمر واسع .

فمن يعرف ـ بالتحديد ـ سقيفةَ بني ساعدة ، ومن يعرف (قُزح) وهو مشعر من مشاعر الله تعالى يتعلق به منسك من المناسك ، وأين من يعرف (المحصَّب) وأين من يعرف (فَدَك).

بل إن كثيراً من المعالم التي كانت موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولها ذِكرٌ في كثير من المصادر ، ويتناقل الناس أسماءها على الألسن ، لا أحد يعرف أماكنها ـ إلا ما ندر ـ وعلى التخمين ، لا التحقيق والتعيين .

ولقد سألت كثيراً من أهل الفضل والمثقفين عن أماكن في المدينة مما ورد ذكرُها في كتب السيرة النبوية ، فلم يعرف أحد منهم ذلك ، فما بالكم بمن هم بعدهم ؟

٥ـ وجود هذا الجبل قائماً إلى يومنا هذا ، وقد رأيته قبل نحو من خمس وثلاثين سنة ، وتأكدت منه حسب الأوصاف التي وردت عند المحَدِّثين والمؤرخين والعلماء رحمهم الله تعالى ، ثم ذهبت إليه ، وسألت عدداً ممن لهم الخبرة في ذلك فأكدوا لي ذلك أيضاً .

٦ـ تتبع كثير من العلماء رحمهم الله تعالى عن وجود هذا الجبل وسؤالهم للأعراب عنه ،... وتأكيدهم لهم عن وجوده ، وتعيينه لهم ، ومشاهدتهم له ، أمثال الحافظ أبي محمد عبد السلام البصري ، والمحب الإمام الطبري ، والعلامة شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلي ، والعلامة عفيف الدين عبد السلام بن محمد مزروع الحنبلي المجاور ، والعلامة أبي بكر بن الحسين المراغي ،... والإمام جمال الدين محمد المطري ، والإمام ابن النجار ، والإمام محمد الأقشهري ، والإمام السمهودي ، والعباسي ، وكثيرين غيرهم ، رحمهم الله تعالى . حيث شاهدوه ، وسألوا عنه الأعرابَ الذين أخبروهم عن آبائهم وأجدادهم عنه .

أما الذين ذكروه من غير رؤية فكثير أيضاً ، أمثال الإمام البيهقي والزمخشري ، والحافظ ابن حجر ، وابن حجر المكي ، والرملي ، وابن تيمية ، في آخرين يطول ذكرهم ، رحمهم الله تعالى .

٧ـ صحة الحديث وثبوته ، وشهرته ، وتعدد طرقه ،... بأسانيد غاية في الصحة ، وقد ذكرت أسانيدَه وطرقَه في الأصل .

يضاف إلى ذلك : أن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم قد قال هذا الحديث في المدينة ، وسمعه العدد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

كما أن علياً رضي الله عنه ممن سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكان حريصاً عليه جداً ، حتى جعله في قرابة سيفه .

ولم يسمعه من علي رضي الله عنه شخصٌ واحدٌ ، بل سمعه منه الكثير ،

لأنه رضي الله عنه قاله على المنبر ، وكلهم ـ أو جُلّهم ـ ثقات .

إضافة إلى وروده من غير طريقه أيضاً .

لذا فإنَّ تَطَرُّقَ الشَّكِّ إلى مثل هذه الرواية ـ مع صحتها ، وقوتها وموافقتها للواقع ، ولنقول الأئمة الحفاظ الأثبات ، والعارفين بمواقع الأرض ،... لا لشيء إلا لكون مَن أنكره جهل المكان ، أو سأل من لم يعرفه ، أو التبس عليه الاسم بجبل مكة ،... ـ بعيد جداً ، وأبعد منه من استمر يذكر ذلك إلى يومنا هذا ، مع أنه كان الأولى به أن يكل العلم لمن يعلم ، والله تعالى أعلم .

الحِمى (أو الحرم الزائد):

كما حدَّد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم حدودَ الحرم بالمدينة المنورة ، وماهيتَه ، ومعالِمَه ونواحيه ، وحدودَه طولاً وعرضاً ،... حدَّد كذلك الحِمى حوله ، باثني عشر ميلاً من كل جهاته .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حرَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما بين لابَتَي المدينة ـ (قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباءَ ترتع مابين لابَتَيْها ما ذعرتُها) ـ وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حمى . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وقوله : وجعلَ اثني عشر... أي النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، يعني : جعل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم حِمى حول المدينة بعرض اثني عشر ميلاً . فقوله : (جعل) معطوفةٌ على حرَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب ما بين لابَتَي المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٧٢).

وقد وردت عدةُ روايات في هذا المعنى عن عدد من الصحابة ، كجابر ، وعدي بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن عوف ، وكعب بن مالك رضي الله عنهم بلفظ «بريداً من كل ناحية» أو «بريداً في بريد» وإن كان لا يخلو كلٌّ واحد منها من مقال ، لكن تعدد الروايات والطرق...: ترتقي بها إلى مرتبة الحسن إن شاء الله . ويدلُّ على أصلها حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه السابق .

والبريد : أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال . فيكون المجموع : اثني عشر ميلاً ، والله تعالى أعلم .

آراء الفقهاء في ذلك :

لقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذا القدر الزائد على ما جاء في التحديد السابق وهو (من عَير إلى ثور) شمالاً وجنوباً ، ومن (بين اللاّبَتَين) شرقاً وغرباً ؛ على قولين :

الأول : مذهب الجمهور ، حيث ذهبوا إلى النصوص المتواترة ، وهو أن الحرَمَ الذي يحرم فيه الصيدُ ، وقطعُ الشجر ، وحملُ السلاح ، وإراقةُ الدماء ،... هو ما كان بين اللابَتَين شرقاً وغرباً ، ومن عَير إلى ثور شمالاً وجنوباً فقط . استدلالاً بالنصوص السابقة المتواترة لقوتها ، ولعدم التفريق بين الصيد وقطع الشجر من حيث التحريم أيضاً .

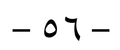
الثاني : وهو مذهب الإمام مالك ـ وهو قول عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى ـ حيث فرَّق بين حَرَم الصيد ، وحَرَم الشجر .

فحَرَمُ الصيد عنده : هو ما بين اللابَتَين ، ومن عَير إلى ثور ـ وهذا هو

الحرمُ عند الجمهور ـ وأما حَرَمُ الشجر : ـ وهو ما زاد به على مذهب الجمهور ـ وهو الحِمى الذي ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فيكون الإمام مالك رحمه الله تعالى : قد زاد على ما ذهب إليه الجمهور ، بالحمى الزائد ، وهو ما كان خارج الحرم عند الجمهور ، وهو الوارد في حديث أبي هريرة ومَن معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، والله تعالى أعلم .





المبحث الثالث
مظاهر التحريم في الحرم المدني

لتحريم المدينة المنورة مظاهرُ متعدِّدةٌ متنوعةٌ ، لكني سأقتصر على ذكر بعضها ؛ مع ذكر بعض الأدلة على ذلك ، ومن تلك المظاهر :

تحريم الصيد :

ومِن مظاهر تحريم المدينة المنورة ؛ تحريمُ الصيد فيها . وقد جاء الحديث متواتراً عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث رواه أكثرُ من عشرة من الصحابة رضي الله عنهم ، لكني أقتصر على ذكر بعضها :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني أُحرِّم ما بين لابَتَي المدينة ؛ أن يُقطعَ عِضاهُها أو يُقتلَ صيدُها». رواه مسلم[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني حرَّمتُ المدينةَ ما بين لابَتَيْها ، لا يُقطع عِضاهُها ، ولا يصاد صيدها». رواه مسلم[2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «إني حرَّمتُ ما بين لابَتَي المدينةِ ، كما حرَّم إبراهيمُ مكةَ».

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٥٩).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٨).

قال عبد الرحمن بن أبي سعيد : ثم كان أبو سعيد يأخد ـ [وفي رواية يجد] ـ أحدَنا في يده الطيرُ ؛ فيفكّه من يده ، ثم يرسله . رواه مسلم[1].

والنصوص في ذلك كثيرة ، والحمد لله تعالى .

تحريم تنفير الصيد :

ومِن مظاهر التحريم فيها أيضاً : تحريمُ تنفير الصيد فيها .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : ما عهد إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً خاصةً دون الناس ، إلا شيء سمعتُه منه ، فهو في صحيفةٍ ؛ في قراب سيفي ،... الحديث بطوله ، وفيها : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني أُحرِّمُ المدينةَ ، حَرامٌ ما بين حَرَّتَيْها ، وحِماها كلّه ، لا يُختلى خَلاها ، ولا يُنَفَّرُ صيدُها ، ولا تُلْتقطُ لقطتُها ، إلا لمن أشار بها ، ولا تُقطع منها شجرةٌ ، إلا أن يَعلف رجلٌ بعيرَه ، ولا يُحملُ فيها السلاح لقتال». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي ، وحسن الحافظ إسنادَه ، وأصله في الصحيحين ، وقد سبق ذكره .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما بين لابَتَي المدينة .

قال أبو هريرة : فلو وجدتُ الظّباءَ ترتعُ ما بين لابَتَيْها ماذعرتُها . متفق عليه[2].

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لابَتَي المدينة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧١ ـ ٤٧٢).

وفي رواية ابن الجارود وابن خزيمة والطحاوي[1] عنه رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حَرَّم مابين لابَتَي المدينة، لا يُعضد شجرُها، ولا يُنَفَّرُ صيدُها، والله تعالى أعلم.

تحريم قطع الشجر وقلعه:

ومِن مظاهر تحريم المدينة المنورة: النهيُ عن قطع الشجر، وقلعِه، وحشِّه، وقد تواتر الحديث في ذلك أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم.

لقد سبق ذكر حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم: «...وإني حرَّمتُ المدينةَ ما بين لابَتَيْها؛ لا يُقطع عِضاهُها، ولا يصادُ صيدها». رواه مسلم.

كما مرَّ حديثُ سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «إني أُحرِّم ما بين لابَتَي المدينة؛ أن يُقطعَ عِضاهُها، أو يُقتل صيدها». رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها،...». متفق عليه، واللفظ للبخاري[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ في قصة بدء تحرم المدينة، وقد سبق ذكره ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «...اللهم إن إبراهيمَ

---

(١) المنتقى (١٨٢ رقم ٥١١) وشرح معاني الآثار (٤ : ١٩٣) وإتحاف المهرة (١٤ : ٦٧٥) وعزاه لابن خزيمة في كتاب الحج من صحيحه، والمطبوع منه ناقص.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة: باب لابَتَي المدينة. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٦٢ ـ ٤٦٤).

حَرَّم مكةَ ، فجعلها حَرَماً ، وإني حرَّمتُ المدينةَ حراماً ما بين مأزِمَيْها ، أن لا يُهراق فيها دم ، ولا يُحمل فيها سلاح لقتال ، ولا يخبط فيها شجرةٌ إلا لعلف ،...». الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

والعضاه : كل شجر فيه شوك ، واحده : عضاهة ، وعُضيهة .

والمراد بالشجر الذي يحرم قطعه هو الذي لا دخل للإنسان فيه ، ولم يستنبتْه ، وإنما ينبت بنفسه ، أما ما ينبته الإنسان فإنه يجوز قطعُه ، وقلعُه ، ولا دخل له في هذه القضية ، والله تعالى أعلم .

تحريم قطع الحشيش والشوك :

ومن مظاهر تحريم المدينة أيضاً ؛ تحريمُ قطع الحشيش والعشب ، إلا لعلف الدابة فقط . والنصوص كثيرة في ذلك أيضاً .

وقد مر حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...لا يُختلى خَلاها ،...». وأصله في الصحيحين .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ وقد سئل أحرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة ؟ فقال : «نعم هي حرام ، لا يُختلى خَلاها ، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب إثم مَن آوى مُحدثاً . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦٤).

عليه وآله وسلَّم : «لكل نبيٍّ حَرَمٌ ، وحرمي المدينةُ ، اللهم إني أُحرِّمُها بحُرَمك ، أن لا يُأوى فيها محدِثٌ ، ولا يُختلى خَلاها ، ولا يُعضد شوكُها ، ولا تُؤخذ لقطتها إلا لمنشد...». رواه أحمد والطبري وأبو نعيم وابن الجعد بسند حسن[1].

والمراد بـ (خلاها) يعني : شوكها ، وقيل : الحشيش .

فالتحريم الموجود في المدينة هو نفس الموجود في مكة «لا يُعضد شجرها» «لا يُقطع عضاهها» «لا يُختلى خلاها» «ولا تُقطع منها شجرة إلا...» فهي نفس العبارات التي وردت في مكة ، وأقتصر على ذكر حديث واحد منها ، للتنبيه :

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم فتح مكة : «لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استُنْفِرْتُم فانفروا ، فإن هذا بلدٌ حرَّمه الله ، لا يُعضد شوكُه ، ولا يُنفَّر صيدُه ، ولا يَلتقط لقطتَه إلا مَنْ عرَّفها ، ولا يُختلى خَلاها» قال العباس : يا رسول الله ؛ إلا الإذخر ، فإنه لقينهم وبيوتهم . قال : قال : «إلا الإذخر». متفق عليه[2].

وسيأتي بيان ما يباح من الشجر للعلف وسَوق الجملِ إن شاء الله تعالى في الفقرة التالية .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣٨١) ومسند علي بن الجعد (٢ : ١١٧٩) وحسنه الهيثميُّ في مجمع الزوائد (٣ : ٣٠١) والسيوطيُّ في الجامع الصغير ، والمناويُّ في فيض القدير (٥ : ٢٣٨) والعزيزيُّ في شرحه (٣ : ٢٠٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب فضل الحرم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ... ، رقم (٤٤٥).

ما يباح في قطع الشجر :

كما استثنى النبي المصطفى الكريمُ الرحيمُ بأمته صلى الله عليه وآله وسلَّم (الإذخرَ) من تحريم الشجر في الحرم المكي ، عندما سأله العباس رضي الله تعالى عنه ذلك ؛ كذلك استثنى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في الحرم المدني ما يَعلفُ به الإنسانُ دوابَّه ، وما يُساق به الجملُ . على أن يكون ذلك بالهش الرقيق من غير خبط .

وقد مر حديثُ أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...ولا يُخبط فيها شجرة إلا لعلف ،...». رواه مسلم .

كما مرَّ حديثُ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...ولا تُقطع منها شجرةٌ إلا أن يعلف رجلٌ بعيره».

وعن عدي بن زيد رضي الله عنه ،... الحديث ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...لا يُخبط شجرُه ، ولا يُعضد ، إلا ما يُساق به الجمل». رواه أبو داود ، وله شواهد هو بها حسن[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «لا يُخبط ولا يُعضد حِمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولكن يُهش هشَّاً رفيقاً». رواه أبو داود ـ واللفظ له ـ والطبراني في

(١) سنن أبي داود : كتاب المناسك : باب في تحريم المدينة ، رقم (٢٠٣٦).

وانظر : تحفة الأشراف (٧ : ٢٨٥) لبيان المتابع له ، ومصنف عبد الرزاق (٩ : ٢٦١) وفضائل المدينة للجَنَدي (٤٧).

الأوسط، والبيهقي، وابن حبان[1]. وحسنه الهيثمي، وشاهده ما سبق.

عقوبة الصائد وقاطع الشجر:

لما كانت المدينةُ حَرَماً، وحرم فيها قطع الشجر والصيد، لذا فإن الصائد أو قاطع الشجر يعاقب. وعقابه هو سَلَبُه.

فعن عامر بن سعد رحمه الله تعالى، أن سعداً [هو ابن أبي وقاص رضي الله عنه] ركب إلى قصره بالعقيق، فوجد عبداً يقطع شجراً - أو يخبطُهُ - فسلبه، فلما رجع سعد، جاءه أهلُ العبد فكلموه أن يرد على غلامهم - أو عليهم - ما أخذ من غلامهم، فقال: معاذ الله أن أرد شيئاً نفَّلنيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، وأبى أن يَردَّ عليهم. رواه مسلم[2].

زاد في رواية أحمد وأبي داود وابن خزيمة والطحاوي والدورقي - وصححه الإمامُ النووي[3] وفيه، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حرَّم هذا الحرمَ، وقال: «من رأيتموه يصيد فيه شيئاً فله سَلَبُه» فلا أردُّ عليكم طعمةً أطعمنيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم،... الحديث.

---

(1) سنن أبي داود: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٠٣٩) والسنن الكبرى (٥ : ٢٠٠) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦٧ - ٦٨) والمعجم الأوسط (٤ : ١٢٤) ومجمع البحرين (٣ : ٢٧٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٢ - ٣٠٣) وانظر: نيل الأوطار (٥ : ١٠١).

(2) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة، رقم (٤٦١).

(3) مسند أحمد (١ : ١٧٠) وسنن أبي داود: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٠٣٧) ومسند سعد للدورقي (٢٠٣ رقم ١٢٢) وشرح معاني الآثار (٤ : ١٩١) ومسند أبي يعلى (٢ : ١٣٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ١٩٩ - ٢٠٠) وإتحاف المهرة (٥ : ١٠٨) والمجموع (٧ : ٤٠٥) وانظر: مصنف عبد الرزاق (٩ : ٢٦٢ - ٢٦٣) المستدرك (١ : ٤٨٦ - ٤٨٧).

آراء الفقهاء في ذلك :

لكن اختلف الفقهاء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة على قولين :

١ـ الجمهور ، قالوا : هو آثم ، وتلزمه التوبةُ والاستغفار ، لكن لا جزاء عليه .

٢ـ عليه الجزاء . وقد اختلفوا على قولين :

آ ـ كجزاء الحرم المكي .

ب ـ سَلَبُه ، وهو المختار ، لثبوت الحديث فيه ، وعمل الصحابة رضي الله عنهم على وفقه ، ولم يثبت له دافع . كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى . وهو المختار عند السادة الشافعية والحنابلة ، وهو الأشبه بمذهب المالكية ، وهو قول الظاهرية أيضاً .

والذين ذهبوا إلى التأثيم : إما لأن المدينةَ عندهم أشدُّ حُرْمَةً من مكة . فيكون الصيد فيها كاليمين الغموس الذي لاكفارة فيه . لالخِفَّةِ الحرمة فيه ، كما هو مذهب المالكية . أو قياساً على الشجر في الحرم المكي ، والله تعالى أعلم .

تحريم حمل السلاح وإراقة الدماء فيها :

ومِن مظاهر تحريم المدينة أيضاً : تحريمُ حمل السلاح لإراقة الدماء ، لأن إراقة دماء المسلمين حرام ، ففي الحرمين أشد حرمةً من غيرهما .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم إن إبراهيمَ حَرَّمَ مكةَ ، فجعلها حَرَماً ، وإني حرَّمتُ المدينةَ حَراماً ما بين مأزِمَيْها . أن لا يُهراق فيها دم ، ولا يُحمل فيها سلاحٌ لقتال». رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً ، خاصة دون الناس ، إلا شيء سمعته منه ، فهو في صحيفة في قراب سيفي ،... الحديث ، وفيه ـ : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني أحرِّم المدينةَ ،... ولا تقطع منها شجرةٌ إلا أن يعلف رجلٌ بعيرَه ، ولا يُحمل فيها السلاح لقتال». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وحسّن الحافظ سنده . وأصله في الصحيحين . وقد سبق ذكره .

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «لا يحل لأحد يحمل فيها السلاحَ لقتال». يعني المدينة ، رواه أحمد بسند حسن[1]، وأصله في الصحيح . وله شواهد .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «المدينة حرام من كذا إلى كذا ،... ـ الحديث ، وفيه ـ ولا يحمل فيها سلاح لقتال». رواه مسلم ، وقد مر ذكره بدون هذه اللفظة ، وبها رواه أحمد وابن زنجويه[2].

لكن **لو بغى فيها أناس** ـ لا سمح الله ـ سواء كانوا من أهلها ، أو من غيرها ؛ هل يقاتَلون ؟

١ـ قال الجمهور : يقاتَلون . لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التي لا يجوز إضاعتها بحال ، وحفظُها في الحرم أولى ، ولأن الحرم لا يعيذ عاصياً . لكن إن أمكن إرجاعهم بدون قتال فهو الأولى ، ولا يستعمل الأشدُّ إذا

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٤٧ ، ٣٩٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢٤٢) والأموال (٢ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣ رقم ٧٢٠).

أفاد الأخفُّ ، والله تعالى أعلم .

٢ـ وذهب بعض العلماء إلى المنع ، وقالوا : يُضيَّقُ عليهم ؛ حتى يخرجوا إلى الحل أو يفيؤوا إلى الطاعة قياساً على الحرم في مكة ، والله تعالى أعلم .

تحريم التقاط اللقطة :

ومِن مظاهر تحريم المدينة : تحريمُ التقاط لقطتها ، إلا لمن يُعرِّفها مدى الدهر .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لكل نبي حَرَم ، وحَرمي المدينةُ ، اللهم إني أحرمها بحُرمك ، أن لا يُأْوى فيها مُحْدَثٌ ، ولا يُختلى خَلاها ، ولا يُعضد شوكها ، ولا تُؤخذ لقطتُها إلا لمنشد». رواه أحمد وابن الجعد وأبو نعيم والطبري . وحسنه الهيثمي والسيوطي والمناوي والعزيزي ، وقد سبق ذكره .

وعن علي رضي الله عنه قال : ما عهد إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً ؛ خاصةً دون الناس ،... ـ الحديث ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، وإني أحرم المدينة ،... لا يُختلى خَلاها ، ولا يُنَفَّرُ صيدُها ، ولا تُلْتقطُ لقطتُها إلا لمن أشار بها». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وحسن الحافظ سنده . وأصله في الصحيحين . وقد مر ذكره قبل قليل .

الآراء الفقهية في ذلك :

لقد اختلف الفقهاء رحمهم الله تعالى في أخذ لُقطة الحرم المدني ، كاختلافهم في لُقطة الحرم المكي ؛ على قولين :

١ـ فالذين رأوا مساواة لُقطة الحرم ولُقطة الحل ـ سواء في مكة أو المدينة ـ قالوا : يُعرفها سَنةً ، ثم يتملكها . وإن كان بعضُ من ذهب إلى تحريم لقطة الحرم المكي ذهب إلى جواز التقاط لُقطة الحرم المدني ؛ على سبيل التمليك بعد تعريفها سَنةً ، وحملوا ظواهر النصوص السابقة على المبالغة في التعريف ، كما هو الحال في لُقطة الحرم المكي .

٢ـ أما الجمهور ؛ فقد ذهبوا إلى التفريق بين لُقطتي الحرم والحل ، فلُقطةُ الحرم لا تُلتقط للتمليك ، بل للتعريف بها على التأبيد . وهذا ما يقتضيه الدليل «إلا لمنشد» وَ «إلا لمن أشار بها». والنصّان صريحان في النهي عن امتلاك لُقطة الحرم المدني ، والله تعالى أعلم .

النهي عن قتل الحيّات بالمدينة :

ومِن مظاهر تحريم الحرم المدني أيضاً : تحريمُ قتل الحيّات فيه ، لأن المدينة قد سكنها جِنٌّ من المسلمين ، والجنُّ يتشكلون بصور الحيّات ، لذا لا يجوز قتلهم حتى يُحرّج عليهم ثلاثاً ، فإن ذهبت ، وإلا قُتلت ، لأنها ليست من الجن المسلمين .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ في قصة مقتل الفتى الأنصاري يوم الخندق ، وفي آخره ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن بالمدينة جنّاً قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً ؛ فآذنوه ثلاثةَ أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك ؛ فاقتلوه ، فإنما هو شيطان». رواه الإمام مالك ومسلم[1].

---

(١) الموطأ : كتاب الاستئذان : باب ما جاء في قتل الحيات ،... رقم (٣٣). وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب قتل الحيات ، رقم (١٣٩ ـ ١٤١).

وفي رواية مسلم ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن لهذه البيوت عوامِرَ ، فإذا رأيتم شيئاً منها فحرِّجوا عليها ثلاثاً ، فإن ذهب ، وإلا فاقتلوه فإنه كافر».

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يأمر بقتل الكلاب ، يقول : «اقتلوا الحيّات والكلاب ، واقتلوا ذا الطُّفْيَتَيْنِ والأبتر ، فإنهما يلتمسان البصر ، ويستسقطان الحَبَالى».

قال عبد الله : فلبثت لا أترك حية رأيتها إلا قتلتها ، فبينا أنا أطارد حيةً من ذوات البيوت ؛ مر بي زيدُ بنُ الخطاب ـ أو أبو لبابة ـ وأنا أطاردها ، فقال : مهلاً يا عبد الله . فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أمر بقتلهن . قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد نهى عن ذوات البيوت . متفق عليه[1].

وذو الطُّفْيَتَيْنِ : هما الخطان الأبيضان على ظهر الحية .

والأبتر : نوع آخر من الحيات ، قصير الذَّنَب ، لا تنظر إليه الحامل إلا ألقت ما في بطنها ، ويكون لونُه يميل إلى الزرقة .

وهما مِن أخبث أنواع الحيات . وهذان النوعان يُقتلان ، ولو كانا في المدينة ، إذ لهما حكم الحيات خارج المدينة ، والله تعالى أعلم .

وقد اختلف العلماء في النهي عن قتل الحيات قبل التحريج عليها ، هل هو خاص بحيات المدينة فقط ، أم الحكم عامٌّ في حيّاتها وحيّات غيرها ؟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب قول الله تعالى : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾. وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢٨ ـ ١٢٩).

على قولين :

١ـ لا تقتل حيّاتُ المدينة حتى تُنذر ، وأما حيّاتُ غيرها فتُقتل من غير إنذار ، لعموم الأحاديث في ذلك .

٢ـ لا تقتل حيّاتُ البيوت في كل بلد ، في المدينة وغيرها ، حتى تُنذر ، أما ما ليس في البيوت فتقتل من غير إنذار ، والله تعالى أعلم .

وصيغة التحريج :

ما قاله الإمام مالك رحمه الله تعالى أن يقول : أحرِّجُ عليك بالله واليوم الآخر ، أن لا تبدوا لنا ولا تؤذينا.اهـ.

والأَوْلى : ما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

أنه سئل عن حيّات البيوت فقال : «إذا رأيتم شيئاً في مساكنكم فقولوا : أنشدكن العهدَ الذي أَخذ عليكم نوح ، أنشدكن العهدَ الذي أَخذ عليكم سليمان : أن لا تؤذونا . فإن عُدن فاقتلوهن». الحديث رواه أبو داود ـ واللفظ له ـ والترمذي ، وحسنه ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، والبغوي[1]، والله تعالى أعلم .

المدينة مشبكة بالملائكة تحرسها :

ومِن حفظ الله تعالى لهذه البلدة الطيبة ، ومما تمتاز به : أن جعل الله تعالى على كل نَقب مِن أنقابها ، أو شِعب مِن شِعابها ، أو طريق مِن طرقها ملائكةً تحرسها من الأعداء ، في حال غيبة أهلها عنها ، وكذلك تحرسها حتى لا

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في قتل الحيات ، رقم (٥٢٦٠) وسنن الترمذي : كتاب الأحكام : باب ما جاء في قتل الحيات ، رقم (١٤٨٥) وعمل اليوم والليلة (٥٣٧ رقم ٩٦٨) وشرح السنة (١٢ : ١٩٤).

يدخلها الدجال ، وكذا تمنع دخول الطاعون عليها ، كل ذلك إلى قيام الساعة . والأحاديث في هذا الباب متواترةٌ ، لكني أقتصر على ذكر بعضها :

أما منع دخول الدجال والطاعون :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال». متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ليس مِن بلد إلا سيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، وليس نَقبٌ مِن أنقابها إلا عليه الملائكةُ صافين تحرسها ، فينزل بالسبخة ، فترجُفُ المدينةُ ثلاثَ رجفات ، يَخرج إليه منها كل كافر ومنافق». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وقولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ليس نَقبٌ من أنقابها» : أي أنقاب المدينة .

وعن محجن بن الأدرع رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خطب الناسَ فقال : «يوم الخلاص وما يوم الخلاص» ثلاثَ مرات ، فقيل : يا رسول الله ما يوم الخلاص ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «يأتي الدجال ،... ثم يأتي المدينة ، فيجد بكل نقبٍ مِن أنقابها مَلَكاً

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لايدخل الدجال المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب صيانة المدينة من دخول الدجال إليها ، رقم (٤٨٥).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قصة الجساسة ، رقم (١٢٣).

مصلتاً ، فيأتي سَبْخَةَ الجرف ، فيضرب رواقه ، ثم ترتجف المدينة ،...». الحديث بطوله ، رواه أحمد واللفظ له ، ورواه بنحوه الطيالسي وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد ، والطبراني ، برجال الصحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا يدخل المدينةَ رعبُ المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب مَلَكان». رواه البخاري[2].

وأما حراستها إذا غاب عنها أهلُها :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ في قصة غزوة بني لحيان وفي آخره الحديث ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «والذي نفسي بيده ؛ ما مِن المدينة شِعب ولا نَقب إلا عليه مَلَكان يحرسانها حتى تقدموا إليها». ثم قال : «ارتحلوا» فارتحلنا ، فأقبلنا إلى المدينة ، فوالذي نحلف به ؛ ما وضعنا رحالنا حين دخلنا المدينة ؛ حتى أغار علينا بنو عبد الله بن غطفان ، وما يهيجهم قبل ذلك شيء . رواه مسلم[3]، والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٣٨) (٥ : ٣٢) ومسند الطيالسي (١٨٣ رقم ١٢٩٥) ومنحة المعبود (٢ : ٢٠٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ١٤٠ ـ ١٤١) والمسند له (٢ : ٩٨ ـ ٩٩) والأدب المفرد (١٢٤ ـ ١٢٥) والمستدرك (٤ : ٤٢٧ ، ٥٤٣) والآحاد والمثاني (٤ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠) والمعجم الكبير (٢٠ : ٢٩٦ ـ ٢٩٨ من طرق) والمعجم الأوسط (٣ : ٦٠). ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٨، ٣٠٩ـ ٣١٠).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥).

فقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ بني غطفان : لم يكن يمنعهم عن المدينة شيء ، لو أرادوا أن يغيروا عليها ، لأن النبيَّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ومعه الصحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم ؛ كانوا في بني لَحيان ، بعيدين عن المدينة ، ومع هذا لم يستطع بنو غطفان غزوَها ، لما صرف الله تعالى قلوبهم عنها ، والله تعالى أعلم .

لا يدخلها الطاعون :

ومِن مظاهر تحريم المدينة ، وخصائصها التي تنفرد به : تحريمُ دخول الطاعون إليها . وقد تواتر الحديث في ذلك . حيث ورد عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، لكن أقتصر على ذكر حديثي أبي هريرة وأنس رضي الله تعالى عنهما .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «على أنقاب المدينة ملائكةٌ لا يدخلها الطاعون ولا الدجال». متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «المدينةُ يأتيها الدجالُ ، فيجد الملائكةَ يحرسونها ، فلا يقربها الدجال ، ولا الطاعون إن شاء الله». رواه البخاري[2].

بل حفظها الله سبحانه وتعالى من دخول الوباء العام .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لايدخل الدجال المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب صيانة المدينة من دخول الدجال إليها ، رقم (٤٨٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب في المشيئة والإرادة ، وفي غيرهما .

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : ذُكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم رجلٌ خرج من بعض الأرياف ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ـ ببعض الطريق : أصابه الوباء . قال : فأفزع ذلك الناسَ . قال : فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني لأرجو أن لا يطلعَ علينا نقابَها» يعني : المدينة . رواه الطيالسي وأحمد والفسوي والبزار والطبراني والروياني والضياء ، ورجاله ثقات[1].

والوباء الذي أصاب الرجل : هو الطاعون ، كما هو مُبيَّنٌ في بعض روايات الحديث ، ولهذا فزِع الناسُ منه ، فلم يدخل المدينة .

وعدمُ دخول الطاعون إلى المدينة : معجزةٌ من المعجزات الظاهرة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إذ لم يَنقل أحدٌ من الرواة والمؤرخين ؛ من قديم الزمان ولا قريبه : أن دخل الطاعون ، أو ظهر في المدينة ، مع أنه ظهر في فترات متباعدة قريباً منها ؛ في ينبع ، وجدة ، ومكة ، والفُرع والصفراء ،... وحصل فيه قَتْلٌ كثير في تلك البلاد ، ولكنه لم يُنقل أنه دخلها ، وقد نقل ذلك الكثيرون ، وفي فترات متباعدة في الزمان[2]، والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٠٧) ومسند الطيالسي (٨٨) والمعرفة والتأريخ (١ : ٤٠٨ ـ ٤٠٩) والبحر الزخار (٧ : ٦٨) والمعجم الكبير (١ : ١٢٩) والمختارة (٤ : ١٢٧ ـ ١٢٩ من طرق) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٩) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٩).

(٢) انظر : إعلام الساجد (٢٥٤) وفتح الباري (١٠ : ١٩٠ ـ ١٩١) ووفاء الوفاء (١ : ٦٧) وبذل الماعون (١٠٤). وانظر فيه أيضاً (٢٠٤ وما بعد).

لا يدخلها الدجال :

ومِن حفظ الله سبحانه وتعالى لهذه المدينة المنورة المباركة الطيبة : أن حفظها مِن دخول الدجال عليها ، وجعلها محرَّمةً عليه . لذا حرسها الله تعالى بالملائكة ، حتى إذا حاول دخولها منعته بالقوة . وقد تواترت الأحاديث في ذلك .

وهذه النصوص الكريمة تبين : أنه لن يدخلَ المدينةَ ومكةَ وبيتَ المقدس ، كما أن ظواهر النصوص تدل على : أنه لن يدخل دمشق . وقد توسعت في بيان ذلك في (أخبار الدجال)، والله تعالى هو المعين .

ولكني لن أستطيع أن أذكر كل النصوص هنا ، لذا سأذكر بعض النصوص الدالة على تحريم دخوله المدينة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجالُ ، إلا مكة والمدينة ، وليس نَقْب من أنقابها إلا عليه الملائكةُ صافين ؛ تحرسها ، فينزل بالسبخة ، فترجف المدينة ثلاث رجفات ، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق». متفق عليه ، واللفظ لمسلم . وقد مر ذكره من قبل .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حدثنا به أن قال : «يأتي الدجالُ ؛ وهو محرَّمٌ عليه أن يدخلَ نقابَ المدينة ، فينزل بعضَ السِّباخ التي تلي المدينة...» ثم ذكر قصة خروج الرجل منها ؛ الذي هو خير الناس إليه فيقتله ، ثم يحييه الله تعالى ولن يسلط عليه ولا على غيره بعد ذلك ،

الحديث بطوله، متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «لايدخل المدينةَ المسيحُ - أي المسيح الدجال - ولا الطاعون». رواه البخاري[2].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم «يأتي المسيحُ من قِبَلِ المشرق، همَّتُه المدينةُ، حتى ينزل دُبرَ أُحُدٍ، ثم تَصرفُ الملائكةُ وجهَه قِبَلَ الشام، وهنالك يهلك». رواه مسلم[3]. والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها - في قصة الجساسة - وفي آخره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «قال - أي الدجال -: ...وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج؛ فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما. كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحداً - منهما؛ استقبلني مَلَك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإنَّ على كل نَقْب مِنها ملائكة يحرسونها...». رواه مسلم[4].

وكل هذا دال على عِظم مكانة هذه البلدة الطيبة المباركة، وعلوِّ شأنها،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة: باب لا يدخل الدجال المدينة، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الفتن: باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، رقم (١١٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الطب: باب ما يذكر في الطاعون.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب صيانة المدينة من دخول الدجال إليها، رقم (٤٨٦).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن: باب قصة الجساسة، رقم (١١٩ - ١٢٢).

وارتفاع مكانتها ، حتى حفظها الله سبحانه وتعالى مِن فتنة لا يُعلم أعظم منها ولا أكبر ، والله تعالى أعلم .

لا يدخلها رعب الدجال :

وكما حَرَّم الله عز وجل على الدجال أن يدخل هذه البلدة الطيبة المباركة ؛ كذلك فإنه جل شأنه حرَّم دخولَ رُعْبِه ، بخلاف غيرها من المدن ، وهذا مما تمتاز به وتنفرد ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا يدخل المدينةَ رعبُ المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعةُ أبواب ؛ على كل باب مَلَكان». رواه البخاري[1].

تحريم الإحداث ، وإيواء المحدِث فيها :

ومما يحرم في المدينة الطيبة المباركة : الإحداثُ ، وإيواء المحدِث فيها ، لأن مَن أحدثَ فيها حدثاً ، أو آوى مُحدِثاً ؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه فرضٌ ولا نفل . وذلك لأن هذه المدينة هي مستقر الإيمان ، ومَأْرِزُه ، فلا يجوز وجودُ الابتداع والضلال ، وإيواءُ الجاني على الإسلام ، والآثم ،... فيها .

وقد وردت نصوص كثيرة في ذلك ، أقتصر على ذكر بعضها :

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثور ، فمن أحدث فيها حَدَثَاً ، أو آوى محدِثاً ؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقبلُ الله منه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لا يدخل الدجال المدينة .

يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً». متفق عليه، واللفظ لمسلم[1].

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: «المدينة حرام مِن كذا إلى كذا، مَن أحدث فيها حَدَثاً، أو آوى محدثاً؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبلُ الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً». متفق عليه، واللفظ لمسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: «المدينة حرم، فمن أحدث فيها حَدَثَاً أو آوى محدِثاً؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة عَدْلٌ ولا صرف». متفق عليه، واللفظ لمسلم[3].

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً.

وخُصَّت المدينةُ بالذكر لشرفها، ولكونها مهبط الوحي، وموطن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، ومنها انتشر الإسلامُ في أقطار الأرض، وفيها مَأْرِزُ الإيمان،... لذا كان لها بذلك مزيد فضل على غيرها، والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفرائض: باب إثم من تبرأ من مواليه. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة، رقم (٤٦٧) وكتاب العتق: باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، رقم (٢٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة: باب حرم المدينة، وكتاب الاعتصام: باب إثم من آوى محدِثاً. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة، رقم (٤٦٢ـ ٤٦٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة: باب لابَتَي المدينة. وصحيح مسلم: كتاب الحج: الباب السابق، رقم (٤٦٩ ـ ٤٧٢).

وقد أضاف لعنَ الملائكةِ والناسِ أجمعين على لعن الله تعالى مبالغةً في إبعاد المحْدِث والمؤوي له عن رحمة الله تعالى ، وإلا فلعنُ الله تعالى كافٍ في إبعاده من الرحمة . ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى ، في عدد من الآيات الكريمة ، والله تعالى أعلم .

نقل الحمَّى الشديدة منها إلى منطقة الجحفة :

لقد كانت المدينةُ المنورةُ عندما قدم إليها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالصحابة رضي الله عنهم مهاجرين ؛ أوبأَ أرض الله تعالى ، لذا أصيب الصحابةُ رضي الله عنهم لما قدموها بالحمى ، حتى صاروا يهذون ، وقد كانت المدينةُ معروفةً بذلك من قبل .

لذا قال مشركو قريش ـ عندما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابُه رضي الله تعالى عنهم مكةَ لأداء عمرة القضاء ـ : يقدم عليكم غداً قومٌ قد وَهَنَتْهُم الحمّى ، ولقوا منها شدةً ،... كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، المتفق عليه[1].

وإن كان المشركون قد قالوا ذلك حسداً ، والله تعالى أعلم .

وقد اتفق أهلُ الأخبار على أن الوباء كان بالمدينة شديداً عندما قدم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وصحابتُه المهاجرون رضي الله تعالى عنهم ، ومما يدل على ذلك :

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قدمنا المدينة ، وهي أَوْبَأُ أرض الله ،

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب كيف كان بدء الرَّمَل . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب الرَّمَل في الطواف والعمرة ،... رقم (٢٤٠).

قالت : فكان بُطحان يجري نَجْلاً . تعني : ماءاً آجناً . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

ومن شدة إصابة الصحابة المهاجرين رضي الله تعالى عنهم بالحمى الشديدة ؛ أنهم لم يستطيعوا الصلاة قياماً .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة وهي مُحُمَّة ، فحُمَّ الناس ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المسجد ؛ والناس قعود يصلون ،... الحديث بطوله . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وعبد الرزاق وابن أبي شيبة بإسناد صحيح رجاله ثقات ، ورواه بعضُهم مختصراً[2].

لهذا دعا نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بالصحة ، وبنقل حُمَّاها إلى الجحفة ، لأن أهلها كانوا يهوداً .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها ـ في قصة مجيء الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة ، وإصابتهم بالحمَّى ، وفيه ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا مسدد ـ وهو عقب باب كراهية أن تعرى المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٨٠).

وقولها : (يجري نجلاً) أي ماءاً متغيراً ، يقال : استنجل الوادي إذا ظهر نزوه . فسبب التغير لأنه يحصل من النز ، ولهذا يكثر باستعماله الوباء في العادة . وانظر : فتح الباري (٤ : ١١٠).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٣٦ ، ٢١٤) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب قيام الليل : باب كيف صلاة القاعد (١ : ٤٢٩) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، رقم (١٢٣٠) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٤٧١ ـ ٤٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٥٢ ـ ٥٣) ومسند أبي يعلى (٦ : ٢٧٥ ، ٣٠٠) وتحفة الأشراف (١ : ٩٥) وفتح الباري (٢ : ٥٨٥) ومصباح الزجاجة (١ : ١٤٥).

«اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبنا مكة ، أو أشد ، وصحِّحها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها ، وانقل حمَّاها فاجعلها بالجُحفة». متفق عليه[1].

وفي حديث أبي قتادة رضي الله تعالى عنه ـ في دعائه صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبَّبْت إلينا مكة ، واجعل ما بها من وباء بخم ،...». رواه أحمد والجندي والروياني وسعيد بن منصور برجال الصحيح[2].

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فخرجت الحمى من المدينة إلى الجحفة .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ـ في رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة وخروج الحمى منها ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «رأيت كأن امرأةً سوداءَ ثائرةَ الرأس خرجت من المدينة ، حتى نزلت بمَهْيَعَة ، فتأوَّلْتُها أن وباء المدينة نُقِل إلى مَهْيَعَة». وهي الجحفة . رواه البخاري[3].

ومَهْيَعَةُ وخُم كلاهما في ـ أو قُرب ـ الجحفة ، وسبب نقلها إلى الجحفة ؛ لأن أهلها كانوا يهوداً ، وقيل : كانوا مشركين ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٨٠).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٠٩) وفضائل المدينة (١٨) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٤ رقم ٣٤٨٧٥) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التعبير : باب المرأة السوداء ، وباب المرأة الثائرة الرأس ، وباب إذا رأى أنه خرج الشيء من الكوة...

لذا صارت الجحفةُ على مر الزمان : مستقرَّ الحُمّى ، ولم تزل من يومئذ أكثرَ بلاد الله حمَّى ، وإنه ليتقى شرب الماء من عينها الذي يقال لها : (عين خم) فقلَّ من شرب منه إلا حُمَّ ، لذا كان المولود يولد بالجُحْفة ، فما يبلغ الحُلُم حتى تصرعه الحُمَّى . كما في رواية أحمد والبيهقي ، زيادةً مافي الصحيحين[1]. الذي مر ذكره ، والله تعالى أعلم .

النهي عن هدم آطام المدينة :

ومن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لهذه المدينة المنورة الطيبة ؛ فقد نهى عن هدم آطامها .

والآطامُ جمع أُطم ، وهو الحصن المبني بالحجارة ، ويشمل كل بناء مرتفع . وقيل : كل بيت مربع مسطح ، لأن هذه الآطام زينة للمدينة ، لذا حث صلى الله عليه وآله وسلَّم على المحافظة عليها ، وبناء على هذا فكل ما هو زينة لها لا يجوز هدمه وإزالته .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن آطام المدينة أن تهدم .

وفي رواية ثانية : قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا تهدموا الآطام ، فإنها زينةُ المدينة». رواه الطحاوي ـ من عدة طرق ـ برجال الصحيح ، والبزار كذلك عدا شيخه ، وحسنه الحافظ في تلخيصه[2].

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٢٦٠) ودلائل النبوة (٢ : ٥٦٨).

(٢) شرح معاني الآثار (٤ : ١٩٤) وكشف الأستار (٢ : ٥٤) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠١). ومختصر زوائد البزار (١ : ١٧٨) وانظر : التعليق على كشف الأستار .

وإذا نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن هدم الآطام ـ وهي من بناء الجاهلية ـ فالمحافظة على الآثار الإسلامية ـ خاصة التي تُنسب إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فمن باب أولى وأولى ، والله تعالى أعلم .

لا يُضرب خَراج على سوقِها :

ومما يُعد في فضائل هذه المدينة الطيبة المباركة المنورة ؛... أنه لا يُضرب خَراجٌ على سوقِها .

فعن أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذهب إلى سوق النبيط ، فنظر إليه ، فقال : «ليس هذا لكم بسوق» ثم ذهب إلى سوقٍ ، فنظر إليه ، فقال : «ليس هذا لكم بسوق» ثم رجع إلى السوقِ ، فطاف فيه ثم قال : «هذا سوقكم فلا يُنْتَقَصَنّ ، ولا يُضْرَبَن عليه خراج». رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير ، وهو حسن لغيره[1]، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب التجارات : باب الأسواق ودخولها ، رقم (٢٢٣٣) والمعجم الكبير (١٩ : ٢٦٤ـ٢٦٥).

المبحث الرابع
أسماء المدينة المنورة

كثرة أسمائها :

لا أعلم في البلاد بلداً أو مدينة أو قرية ؛ له من الأسماء ما للمدينة المنورة ومكة المكرمة - كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى ، وكثرة الأسماء تدل على زيادة شرفها وفضلها ومكانتها ،... لأنه كلما شرف الشيء كثرت أسماؤه .

قال الحافظ المناوي رحمه الله تعالى : لها نحو مائة اسم .

وقال الإمامُ ابن حجر المكي رحمه الله تعالى : ذكر بعض المتأخرين أن أسماءها تقارب الألف .

والذي جمعته من أسماء المدينة المنورة - وذكرته في الأصل - زاد على (١١٥) وإن كان بعضها يتداخل في بعض . لكني سأذكر بعض أسمائها ، مع ذكر دليل كل اسم ، والله تعالى المعين والموفق .

فمن أسمائها : المدينة . آكلة القرى :

لقد سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هذه البلدة الطيبةَ المباركة بعد حلوله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها : المدينةَ ، فصار عَلَماً عليها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «**أُمرت بقرية تأكل القرى** ، يقولون : **يثرب** ، وهي **المدينة** . **تنفي الناس** كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد». متفق عليه[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب فضل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٨).

فقد ورد في هذا الحديث خمسةُ أسماء للمدينة ، هي (القرية ، آكلة القرى ، يثرب ، المدينة ، النافية).

ومن أسمائها : طابة :

وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هذه المدينةَ طابةَ ، وسميت بذلك اشتقاقاً من الشيء الطَّيِّب ، وقيل : لطهارة تربتها ، وقيل : لطيب ساكنيها ، وقيل : من طيب العيش فيها ، وقيل : لحلول الطَّيِّب صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ،... وقيل غير ذلك .

فعن أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه ـ في قصة رجوعهم من غزوة تبوك ـ وساق الحديث وفيه : ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني مسرعٌ ، فمن شاء منكم فليسرع معي ، ومن شاء فليمكث» فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، قال : «هذه طابة ، وهذا أُحد ؛ وهو جبل يحبنا ونحبه». متفق عليه[1].

ومن أسمائها : طيبة :

والنصوص فيه كثيرة . لكني أقتصر على ذكر نصَّين فقط :

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ـ في قصة غزوة أُحد ، وانقسام الناس ، وفي آخره ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إنها طَيْبَة ، تنفي الخبثَ ؛ كما تنفي النارُ خبثَ الفضة». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب المدينة طابة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب أحد جبل يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة أحد ، وكتاب فضائل المدينة : باب المدينة تنفي خبثها ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٩٠).

وفي حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ـ في قصة الجساسة والدجال ، وفي آخره ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بعد أن طعن بمخصرته في المنبر ـ : «هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة». رواه مسلم[١].

والنصوص في ذلك كثيرة ، والحمد لله تعالى .

الذي سماها طابة وطيبة هو الله تعالى :

إن تسمية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : طابة وطيبة ؛ إنما هو بأمر الله تعالى ، لأن الله تعالى هو الذي سمّاها بذلك .

فعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «إن الله تعالى سمى المدينةَ طابةَ». رواه مسلم[٢].

وفي رواية الطبراني[٣] ـ بسند مسلم ـ عنه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «إن الله أمرني أن أسمي المدينةَ طيبةَ».

النهي عن مناداتها بيثرب :

لقد كان يقال للمدينة قبل مجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها : يثرب ، فلما جاء ها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسماها طيبة وطابة ؛ نهى عن تسميتها بيثرب .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قصة الجساسة ، رقم (١١٩ ـ ١٢٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٩١).

(٣) المعجم الكبير (٢ : ٢٦٣ رقم ١٩٨٧).

عليه وآله وسلَّم : «من سمى المدينةَ يثربَ فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ، هي طابة». رواه أحمد وأبو يعلى وابن شبة ، ورجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمي[1]. وقد ورد عن غيره أيضاً .

ولا يكون الاستغفار إلا عن ذنب ، ولو كان صغيراً .

ولهذا قال عيسى بن دينار رحمه الله تعالى ـ أحد أئمة المالكية ـ : من سمى المدينة يثرب ؛ كُتبت عليه خطيئة .

وقد مر حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : «يقولون يثرب وهي المدينة». متفق عليه ، فالقائلون يثرب : إنما هم المنافقون .

أما تسميتها في القرآن الكريم : بيثرب ؛ فإنما هي مقالة المنافقين والذين في قلوبهم مرض . كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ... ﴾[2]. الآية .

وسبب النهي عن تسميتها يثرب : لأن كلمة يثرب مأخوذة من أحد أمرين :

ـ إما من التَّثْريب : الذي هو التوبيخ والملامة .

ـ أو من الثَّرْب : وهو الفساد . وكلاهما مستقبح في حق المدينة بعد حلول الطَّيِّب صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٢٨٥) وتاريخ المدينة (١ : ١٦٤ ـ ١٦٥) ومسند أبي يعلى (٣ : ٢٤٧ ـ ٢٤٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٥) وانظر : مصنف عبد الرزاق (٩ : ٢٦٧ ـ ٢٦٨) وفضائل المدينة للجندي (٢٨).

(٢) سورة الأحزاب (١٢ ـ ١٣).

ومن أسمائها : الدار والإيمان :

وذلك في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

قيل : سماها بالإيمان ؛ لأنها مظهرُه ومصيرُه ، وهناك أقوال أخرى كثيرة ، والله تعالى أعلم .

ومن أسمائها : البحرة ، البحيرة :

لما ورد في قصة عبد الله بن أُبَي ابن سلول عندما شرق بقدوم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم والمهاجرين رضي الله عنهم إلى المدينة .

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ـ في قصة ركوبِ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم على حمارٍ ليعود سعدَ بنَ عبادة رضي الله عنه ، وقد أردف أسامة بن زيد وراءه ، ومرورِه بمجلس عبد الله بن أُبي ابن سلول ، وما قاله عبد الله بن أُبي ـ وفي آخر الحديث قال سعد بن عبادة : يا رسول الله ؛ اعفُ عنه ، واصفح عنه ، فوالذي أنزل عليك الكتاب ، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه **البُحَيرة** على أن يتوِّجوه ، فيعصِّبونه بالعصابة ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك ؛ شرق بذلك ، فذلك فَعَل به ما رأيت . متفق عليه[2].

---

(١) سورة الحشر (٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة آل عمران : باب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح =

قلت : وقع عند البخاري في كتابَيْ الأدب والاستئذان : (البَحْرة) بالتكبير . وفي كتابَيْ التفسير والمرضى ـ وعند مسلم أيضاً ـ (البُحيرة) بالتصغير ، والله تعالى أعلم .

لكن قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وروينا في غير مسلم : (البَحيرة) مكبَّرة ، وكلاهما بمعنى . وأصلها القرية ، والمراد بها هنا : مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ.

ومن أسمائها : الدرع الحصينة : وذلك لأن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم تأول في ذلك .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تنفَّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سيفَه ذا الفقار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، فقال : «رأيت في سيفي ذي الفقار فَلاًّ ، فأولتُه فلاًّ يكون فيكم ، ورأيتُ أني مردِفٌ كبشاً ، فأولتُه كبشَ الكتيبة ، ورأيت أني في **درع حصينة** ، فأولتها المدينة ،...». الحديث بطوله . رواه أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح ، وروى الترمذيُّ ـ وحسنه ـ وابنُ ماجه والطحاوي والطبراني والحاكم والبيهقي أولَه ، وعزاه الحافظ للنسائي والطبراني والحاكم وصححه[1]. وقد ورد نحوُه

= مسلم : كتاب الجهاد : باب في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وصبره على أذى المنافقين ، رقم (١١٦).

(١) مسند أحمد (١ : ٢٧١) وانظره بشرح الشيخ أحمد شاكر (٤ : ١٤٦ ـ ١٤٧) والسنن الكبرى (٧ : ٤١) (٦ : ٣٠٤) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب في النفل ، رقم (١٥٦١) وسنن ابن ماجه : كتاب الجهاد : باب في السلاح ، رقم (٢٨٠٨) والمستدرك (٢ : ١٢٨ ـ ١٢٩) (٣ : ٣٩) وشرح معاني الآثار (٣ : ٣٠٢) والمعجم الكبير (١٠ : ٣٦٨) ودلائل النبوة (٣ : =

من حديث جابر رضي الله عنه أيضاً .

ومن أسمائها : قبة الإسلام : وذلك لما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينةُ قُبَّةُ الإسلام ، ودارُ الإيمان ، وأرضُ الهجرة ، ومبوأ الحلال والحرام». رواه الطبراني في الأوسط ، وحسنه الهيثمي[1].

ففي هذا الحديث الشريف عدةُ أسماء للمدينة : (قبة الإسلام ، دار الإيمان ، وأرضُ الهجرة ، ومبوأ الحلال والحرام).

ومن أسماء المدينة : دار السنة ، ودار السلامة ، ودار الهجرة :

وذلك لحديث عمر رضي الله عنه الطويل في قصة السقيفة .

ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه : أن عبد الرحمن بن عَوف رضي الله عنه رجع إلى أهله وهو بمنى ، في آخر حجّة حجّها عمر رضي الله عنه ، فوجدني ، فقال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الموسم يجمع رعاعَ الناس وغوغاءَهم ، وإني أرى أن تُمهل حتى تَقدَم المدينةَ ، فإنها **دار الهجرة ، والسنة ، والسلامة** ،... الحديث بطوله . رواه البخاري[2].

ومن أسماء المدينة : ذات النخل : لما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم

= ١٣٦ ـ ١٣٧ ، ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وفتح الباري (١٢ : ٤٢٢) وسبل الهدى (٤ : ٢٧٤) فقد عزاه للنسائي .

(١) المعجم الأوسط (٥ : ٣٨٠) ومجمع البحرين (٣ : ٢٧٠ ـ ٢٧١) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٨) والحجج المبينة (٤٤) وشرح العزيزي (٣ : ٤٠٣ ـ ٤٠٤) وفتح الباري (١٢ : ٤٢٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما .

من وصفها .

فعن عائشة رضي الله عنها ـ في حديث الهجرة ، وفي آخره ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للمسلمين : «قد رأيتُ دارَ هجرتكم ؛ رأيت سبخةً ذاتَ نخل بين لابَتَيْن ، وهما الحرتان ،...». الحديث ، لفظ البخاري[1].

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه ـ في قصة إسلامه وفي آخره ـ : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إنه قد وُجِّهَت لي أرضٌ ذاتُ نخل ، لا أراها إلا يثرب ،...». رواه مسلم[2].

ومن أسماء المدينة : ذات الحرار :

فقد سبق ذكرُ أحاديث عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ؛ في الصحيحين وغيرهما ؛ بلفظ «ما بين لا بَتَيْ» وَ «بين لابتيْها» وَ «بين حرتين». واللابتان : هما الحرتان .

كما أن ذلك هو وصفها في الكتب القديمة ، والله تعالى أعلم .

ومن أسماء المدينة : دار الشفاء :

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منه ، أو كانت به قرحة ، أو جرح ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بأصبعه هكذا (ووضع سفيانُ سبَّابته

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه ، رقم (١٣٢).

على الأرض ثم رفعها): «بسم الله ، تربةُ أرضنا ، بريقةِ بعضنا ، ليُشفى به سقيمُنا ، بإذن ربنا». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1]، والله تعالى أعلم .

ومن أسماء المدينة : دار الإيمان :

فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ـ في قصة مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وفيه ـ قال : «...ثم اختار له المساكن ، فاختار له المدينة ، فجعلها **دارَ الهجرة ، وجعلها دار الإيمان** ، فوالله ما زالت **الملائكة حافِّين** بالمدينة ، مذ قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى اليوم ،...». الحديث ، رواه الطبراني برجال ثقات[2].

فقد ذكر في هذا الحديث عدة أسماء للمدينة ، هي : (دار الهجرة ، دار الإيمان ، المحفوفة).

ومن أسماء المدينة أيضاً : القرية :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أُمرت **بقريةٍ** تأكل القرى ،...». الحديث متفق عليه ، وقد سبق ذكره قبل قليل .

ومن أسماء المدينة : قرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : كما أخبر به الدجال ؛ عندما يأتي المدينة .

فعن سفينةَ ـ مولى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ـ رضي الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب رقية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب استحباب الرقية من العين ، رقم (٥٤).

(٢) مجمع الزوائد (٩ : ٩٢ ـ ٩٣).

تعالى عنه ـ في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وتحذيرهم من الدجال ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ثم يسير [الدجال] حتى يأتي المدينة ، فلا يُؤذنُ له فيها ، فيقول : **هذه قريةُ ذلك الرجل** ، ثم يسير حتى يأتي الشام ، فيهلكه الله عز وجل عند عَقَبة أفيق ،...». رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن ، والطيالسي وابن أبي شيبة[1].

فقوله : هذه قرية ذلك الرجل ؛ يعني مدينة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

ومن أسماء المدينة : المحفوظة :

وذلك لحراستها من قِبل الملائكة الكرام ، والأحاديث الشريفة في ذلك كثيرة ، وقد سبق ذكر بعض منها ، ومن ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه تعالى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «على أنقاب المدينة ملائكة ؛ لا يدخلها الطاعون ولا الدجال». متفق عليه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ في قصة غزوة بني لحيان ، وفي آخره ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «والذي نفسي بيده ما مِنَ المدينة شِعْب ولا نَقْب ؛ إلا عليه ملكان يحرسانها ؛ حتى تَقدموا إليها». رواه مسلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٢١ ـ ٢٢٢) والمعجم الكبير (٧ : ٩٨ ـ ٩٩) ومسند الطيالسي (١٥٠ ـ ١٥١ رقم ١١٠٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ١٣٧ ـ ١٣٨) ومسند الروياني (١ : ٤٣٩ ـ ٤٤٠) ومجمع الزوائد (٧ : ٣٤٠).

«...وليس نَقْبٌ من أنقابها ؛ إلا عليه الملائكة صافين ؛ تحرسها ،...». الحديث بطوله ، متفق عليه .

وعنه رضي الله عنه ، أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم قال : «المدينة يأتيها الدجال ؛ فيجد الملائكة يحرسونها ،...». الحديث ، رواه البخاري .

ومن أسماء المدينة أيضاً : مدخل صدق :

وذلك لما جاء النص عليه في كتاب الله تعالى .

قال الله عز وجل لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قبيل يوم الهجرة : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾[1].

فقد سمَّى الله سبحانه وتعالى المدينةَ المنورةَ (مدخلَ صدق) وسمَّى مكة المكرمة (مخرجَ صدق) والله تعالى أعلم .

ومن أسمائها أيضاً : المدينة المنورة : وهو اسمها المشهورة به .

وسُمِّيت بذلك لإضاءتها يوم دخوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث لم يبق فيها شيء إلا أُضيء ، إضافة إلى سكنى من سماه الله تعالى نوراً صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ أضاءَ من المدينة كلُّ شيءٍ ، ولما كان اليوم الذي مات فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أظلمَ من المدينة كلُّ شيء . رواه أحمد وابن أبي شيبة ، وابن سعد ، وعبد بن حُميد ،

---

(١) سورة الإسراء (٨٠).

والترمذي وابن حبان والحاكم ، وصححوه ، وابن ماجه والدارمي وأبو يعلى والبزار والبغوي في آخرين[1]. وله روايات أخرى .

فرحت فأضاءت ، وحزنت فأظلمت ، وهكذا شأن المحب .

وهناك أسماء أخرى كثيرة لهذه المدينة المباركة المنورة ، وما ذكرته كاف في التدليل ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٨) والشمائل له (٣٣٣ ـ ٣٣٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٦٣١) وسنن الدارمي (١ : ٤١ رقم ٨٩) ومسند أبي يعلى (٦ : ٥١ ، ١١٠) والمستدرك (٣ : ١٢ ، ٥٧) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٦٠) والموارد (رقم ٢١٦٢) وشرح السنة (١٤ : ٤٩ ـ ٥٠) والشمائل له (٢ : ٧٥٦ ، ٧٥٧) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٧٤) ومسند عبد بن حميد (٣٨٦ ـ ٣٨٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥١٦). وإتحاف المهرة (١ : ٤٤٣).

المبحث الخامس
اختيار الله تعالى لها لتكون مهاجَراً لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم

لقد مرت معرفة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بمهاجَرِه المدينة بمراحل متعددة :

١ـ لقد خيره الله سبحانه وتعالى في بادئ الأمر بين ثلاث مدن ، فأيها هاجر إليها فهي مهاجَرُه .

فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن الله تعالى أوحى إليَّ : أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلتَ ؛ فهي دار هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرين ، أو قِنِّسْرين». رواه الترمذي والحاكم ـ وصححه ـ وأقره الذهبي ، والطبراني والبيهقي[1].

٢ـ ثم أراه الله تعالى دارَ هجرته ، بأنها ذاتُ نخل ، لكن لم يبين له ما هي ، لذا وقع وهلُه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أنها إما : المدينة أو اليمامة أو هَجَر ، فاستُبْعِدت (قِنِّسْرين).

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكةَ إلى أرضٍ بها نخل ، فذهب وَهلي إلى أنها اليمامة ، أو هَجَر ، فإذا هي المدينةُ : يثرب». متفق عليه[2].

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل المدينة ، رقم (٣٩٢٣) واستغربه ، والمستدرك (٢ : ٢ـ٣) والمعجم الكبير (٢ : ٣٣٩) ودلائل النبوة (٢ : ٤٥٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التعبير : باب إذا رأى بقراً تنحر ، وفي غيرهما . وصحيح =

وهَجَر : هي قاعدة البحرين ، وفيها نخل ، كما في اليمامة نخل أيضاً ، والله تعالى أعلم .

٣ـ ثم قُرِّب له الوصف أكثر ، وأنها سبخة .

فعن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أُريت دارَ هجرتكم : سبخة بين ظهراني حَرَّة ، فإما أن تكون هَجَراً ، أو تكون يثرب ،...». الحديث بطوله ، رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبراني والبيهقي[1].

وبهذا تكون قد اسْتُبْعِدت اليمامة ، لأنها ليست سبخة ، كما أنها ليست بذات حرار ، كما أن هَجَراً بدأت تُستبعد هي الأخرى أيضاً ، لأنها ليست بذات حرار ، وإن كان بجوارها بعض الجبال الصغيرة .

٤ـ ثم حُددت له صلى الله عليه وآله وسلَّم المهاجَر بأكثر ، وأنها سبخةٌ ذاتُ نخل ؛ بين لابتين أو حرَّتين . وهذه الصفات لا تنطبق إلا على المدينة .

فعن أبي ذر رضي الله عنه ـ في قصة إسلامه ـ وفي آخره : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إنه قد وُجِّهَتْ لي أرضٌ ذاتُ نخل ، لا أراها إلا يثرب». رواه مسلم . وقد مر ذكرُه في مبحث أسماء المدينة .

كما مر حديثُ السيدة عائشة رضي الله عنها ـ في حديث الهجرة الطويل ، وفي آخره ـ فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم للمسلمين : «قد

= مسلم : كتاب الرؤيا : باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلَّم ، رقم (٢٠).

(١) المستدرك (٣ : ٤٠٠) والمعجم الكبير (٨ : ٣٦ ـ ٣٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٥٢٢ ـ ٥٢٣).

رأيتُ دارَ هِجرتكم ، رأيتُ سبخةً ذاتَ نخلٍ ، بين لابَتَيْن ؛ وهما الحرَّتان».
رواه البخاري .

٥ـ ولما كانت ليلة الإسراء والمعراج ؛ طلب جبريلُ عليه السلام من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن ينزل فيها ، ويصلي فيها ، وأخبره أنها يثرب ، وإليها المهاجَر .

٦ـ ثم أُمر صلى الله عليه وآله وسلَّم بالهجرة إليها ، بعد تحديدها وتعيينها :

وقد مر حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أُمرتُ بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهي المدينة ،...». الحديث ، متفق عليه .

وبهذا علمنا أن الله سبحانه وتعالى قد اختار هذه المدينةَ المنورةَ المباركة لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم منذ الأزل ، لتكون : بلداً له ، ومُهاجَراً ، ومستَقَرّاً ، ثم مضجِعاً له إلى قيام الساعة ، ولم يكن اختيارها من قِبَل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بنفسه ، وبه امتازت على غيرها ، ولهذا جعل الله عز وجل ذلك مكتوباً في الكتب السماوية السابقة ، كعلامة عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ودلالة على صدقه ، والله تعالى أعلم .

اختيار الله تعالى لها لتكون مضجعاً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

وكما أن الله تعالى قد اختارها لتكون مُهاجَراً له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإنه تعالى قد اختارها لتكون مضجعاً له صلى الله عليه وآله وسلَّم أيضاً ، مما يدل على أن تربتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم التي خُلق منها هي من هذه المدينة

الطيبة المباركة ، وذلك :

١ ـ لأن الإنسان لا يُدفن إلا في موضع تربته التي خُلق منها . وإذا كان بعيداً عنها جعل الله تعالى له فيها حاجة ـ قصيرة ، أو طويلة ـ حتى إذا وَرَدَها : قبضه الله سبحانه وتعالى فيها . ويدل على ذلك :

عن أبي عزة : يسار الهذلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إذا أراد الله قبضَ عبدٍ بأرضٍ جعلَ له إليها حاجة». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، والطيالسي ، وابن أبي شيبة ، والترمذي وابن حبان والحاكم ـ وصححوه ـ وأقره الذهبي ، وأبو يعلى والبزار والطبراني وغيرهم[1].

وورد نحوه من حديث مطر بن عكامس رضي الله عنه ، وقد رواه أحمد ، والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والطيالسي وغيرهم[2].

وقد ورد نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٢٩) وسنن الترمذي : كتاب القدر : باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كُتب لها ، رقم (٢١٤٦) ومسند الطيالسي (١٨٨) ومنحة المعبود (١ : ١٥٤) وفيهما خطأ ، ومسند ابن أبي شيبة (٢ : ٣٥) والأدب المفرد (٤٢٣) والتاريخ الكبير (٨ : ٤١٩ ـ ٤٢٠) والكنى للدولابي (١ : ٤٤) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٩) والمستدرك (١ : ٤٢ ، ٣٦٧) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٢٨) وكشف الأستار (٣ : ٢٥) والمعجم الكبير (٢٢ : ٢٧٦) ومسند الشهاب (٢ : ٢٩٥) والآحاد والمثاني (٢ : ٣٠٧) وحلية الأولياء (٨ : ٣٧٤) ومجمع الزوائد (٧ : ١٩٦).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٤٢٩) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢١٤٧) والمستدرك (١ : ٤٢) وانظر الأصل .

٢ـ وإذا قبض الله تعالى روحَ عبد من عباده ؛ فإنه لا يُدفن إلا في البقعة التي خُلق فيها . ومما يدل على ذلك :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم بجنازة عند قبر ، فقال : «قبر مَنْ هذا ؟» فقالوا : فلانٌ الحبشي يا رسول الله ، فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم : «لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، سِيق من أرضه وسمائه إلى تربتِهِ التي منها خُلق». رواه البزار والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وقال : له شواهد صحيحة[1].

وورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً .

وقد قال حماد بن أسامة رحمه الله تعالى ـ بعد روايته لهذا الحديث من طريق أبي الدرداء رضي الله عنه ـ : أتدرون يا أهل الكوفة لم حدثتكم بهذا الحديث ؟ لأن أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ خُلقا من تربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . رواه الطبراني في المعجم وله شواهد هو بها حسن[2]، والله تعالى أعلم .

٣ـ وقد أخبر النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله جلت قدرته لا يقبض نبياً من أنبيائه إلا في أحب الأمكنة إليه ، وفي المكان

---

(١) كشف الأستار (١ : ٣٩٦) المستدرك (١ : ٣٦٧). ومجمع الزوائد (٣ : ٤٢) وقوله فيه : فيه عبد الله والد علي ابن المديني ، وهو ضعيف . لا يضر ، لأن الحاكم رواه من طريق الدراوردي ـ وهو ثقة ـ وقد تابعه عليه ، فارتفع الإشكال . وانظر : المستدرك وتلخيصه لبيان شواهده أيضاً .

(٢) المعجم الأوسط (٥ : ٢١٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٤٢) ومجمع البحرين (٥ : ٣٨٢ـ٣٨٣) وانظر الأصل (١ : ١٧٩ ـ ١٨٠) لبيان الشواهد والحكم عليه .

الذي يحب أن يُدفن فيه . فلما دفن صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيته الشريف عرفنا أنه أحب الأمكنة إليه ، والله تعالى أعلم .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : لما اختلفوا في دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم حين قُبض ، قال أبو بكر رضي الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «لا يُقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه». فقال : ادفنوه حيث قُبض . لفظ أبي يعلى .

ورواه الترمذي والنسائي والمروزي ، من طرق هو بها صحيح[1]. من وجه آخر عنه رضي الله عنه ، ورواه غيرهم من طرق أخرى عنه ، كما ورد بنحوه من حديث علي رضي الله عنه .

وكيف لا ؛ وقد صارت المدينة أحبَّ إليه من كل المدن .

٤ـ ولهذا دعا صلى الله عليه وآله وسلَّم بتحبيب المدينة ، فصارت أحبَّ إليهم من كل مدينة ، حتى من مكة .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها ـ في قصة الهجرة ، وما أصاب الصحابة رضي الله عنهم من الحمى ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ،...». متفق عليه[2].

---

(١) مسند أبي يعلى (١ : ٤٦) وسنن الترمذي : كتاب الجنائز : باب (٣٣) رقم (١٠١٨) والشمائل (٣٣١ رقم ٣٩٠) وسنن النسائي الكبرى (٤ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤) ومسند أبي بكر الصديق (٨٠ ـ ٨١ رقم ٤٣) ودلائل النبوة (٧ : ٢٥٩) وشرح السنة (١٤ : ٤٨ ـ ٤٩) والشمائل له (٢ : ٧٥٤ـ٧٥٦) وفتح الباري (١ : ٥٢٩) وانظر الأصل (١ : ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في =

فلما توفي صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة ، ودفن صلى الله عليه وآله وسلَّم في حجرته ـ في المدينة ـ عرفنا أن المدينةَ كانت أصلَ تربته التي خُلق صلى الله عليه وآله وسلَّم منها ، وأنها صارت أحبَّ الأمكنة إليه ، وأن الله تعالى قد استجاب دعوتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٥ـ ولهذا حرص صلوات الله عليه وآله وسلَّم على الموت فيها ، واتضح ذلك من كراهيته صلى الله عليه وآله وسلَّم الموتَ في مكة ـ مع أنها بلده الذي ولد ونشأ وترعرع فيها ـ لذا كثر دعاءه صلى الله عليه وآله وسلَّم ألا يموت أو أحدٌ من المهاجرين فيها .

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا دخل مكة قال : «اللهم لا تجعل منايانا بها حتى تُخرجنا منها». كما رواه أحمد والبزار والطبراني وابن عبد البر والبيهقي برجال الصحيح[١].

٦ـ وكأن الله جل شأنه أطلعه أنه سيموت في المدينة ، لذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله تعالى عنهم ؛ يوم الفتح : «المحيا محياكم ، والمات مماتكم» كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عند مسلم[٢].

وقال صلوات الله عليه وآله وسلَّم لهم رضي الله تعالى عنهم أيضاً يوم حنين : «أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله

= سكنى المدينة ، رقم (٤٨٠).

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٥ ، ١٢٥) ونسخة أحمد شاكر (رقم ٤٧٧٨ ، ٦٠٧٦) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٥) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٥٦) والتمهيد (٨ : ٣٩٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ١٩) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٥٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب فتح مكة ، رقم (٨٤ ، ٨٦).

إلى رحالكم».

وفي لفظ: «وتحوزون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم».

وهما متفق عليهما[1].

اختيار الله تعالى لها منذ الأزل لتكون المهاجَرَ والمضجعَ:

لذا علمنا أن الله تعالى اختار هذه المدينة منذ الأزل لتكون المهاجَر والمضجع، والمثوى الأخير، وهذا ما جاء في الكتب السماوية السابقة على أنها علامة من علاماته صلى الله عليه وآله وسلَّم.

ففي حديث سلمان رضي الله عنه وإخبار راهب عمورية له وفيه: ولكن قد أظلك زمانُ نبي مبعوث بأرض العرب، مهاجَرُه إلى قرية ذات نخل بين حرتين، به علامات لا تخفى،... الحديث.

وقول الحَبْرين لتُبَّع الحِميري - عند قتاله للأوس والخزرج؛ لقتلهم ولده الذي تركه في المدينة -: إنا نجدها في كتبنا كبيرة، هي مهاجَرُ نبي يبعث في آخر الزمان.

ولهذا هاجر عددٌ من بطون يهود من الشام إلى المدينة؛ ليدركوه صلى الله عليه وآله وسلَّم، ويتابعوه، ولكن لما جاءَهم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالحق كفروا إلا ما ندر.

فإذا كانت مكة المكرمة: عُرفت بإبراهيم عليه السلام، فالمدينة المنورةُ

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم (١٣٣ - ١٣٩) لحديثي أنس وعبد الله بن زيد رضي الله عنهما.

إسلاميةُ التحريم والمعرفة ، وبقيت كنزاً مخفياً حتى أظهرها الله تعالى على لسان نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

والله تعالى لا يختار لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الذي هو أحبُّ الخلق إليه ، وأكرمُهم عليه ،... سكناً ومضجِعاً وتربةً : إلا ما يتناسب مع مقامه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ثم لو بقي صلى الله عليه وآله وسلَّم كل حياته في مكة لقيل : إنما أخذ مكانته من مكة ، فلما هاجَرَ منها إلى المدينة ، وانعكس ذلك على المدينة ؛ عرفنا أن مكانتَه صلوات الله عليه وآله وسلَّم إنما هي عطاءٌ من الله تعالى لذاته ، ومكرمةٌ له لصفاته ، ومنحةٌ له لأخلاقه ، وهبة لأحواله وأفعاله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... والله تعالى أعلم .

يضاف إلى ذلك أيضاً : أنه لما دُفن صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها عرفنا أن تُربتَه التي خُلق منها هي منها ، لذا فلا بد من مجيئه صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها ليتم الأمر المبرم ، حيث لا يُدفن الإنسان إلا في موضع تربته التي منها خُلق ، والله تعالى أعلم .

يضاف إلى ذلك أيضاً : أن المدينة حرم حرام ، ولا بد من إعلان ذلك على يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن هذا هو مراد الله عز وجل ، وقد عرفناه بعد حصوله ، لذا لا بد من مجيئه صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها ، ليعلن ذلك التحريم ، والله تعالى أعلم .

كراهية الصحابة المهاجرين رضي الله عنهم الموت بمكة :

لقد كان الصحابة المهاجرون رضي الله عنهم يكرهون الموت بمكة بعد

الفتح ، ويرغبون أن يموتوا بالمدينة ، لأنهم هاجروا إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتركوا مكةَ وما فيها من مالٍ وبيتٍ... لله تعالى ، لذا كانوا يكرهون أن يموتوا فيها حتى لا تنقطع هجرتهم ، شأنهم في ذلك شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : مرض سعدٌ بمكة ، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يعوده ، فقال له : يا رسول الله ؛ ألستَ تكره أن يموتَ الرجلُ في الأرض التي هاجر منها ؟ قال : «بلى ، ولعل الله تبارك وتعالى يرفعك ؛ فيضُرّ بك قوماً ، وينفع آخرين بك». رواه الطبراني ، والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح ، خلا محمد بن عمر بن هياج ، وهو ثقة[1] وهو في الصحيحين بنحوه ، من حديث سعد رضي الله عنه .

وفي رواية الصحيحين[2] من حديث سعد رضي الله عنه ، وفيه : «وكان يكره أن يموتَ بالأرض التي هاجَر منها».

وفي رواية لمسلم[3]: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم دخل على سعد يعوده بمكة ، فبكى ، فقال : «ما يبكيك ؟» قال : قد خشيت أن أموت بالأرض التي هاجَرتُ منها ، كما مات سعد بن خولة ،... الحديث بطوله .

٧ـ ولهذا صار عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الموت فيها ، ويحث على ذلك . كما سيأتي بيانه مفصَّلاً إن شاء الله تعالى في مبحث قادم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) كشف الأستار (٢ : ٣٠٥ـ٣٠٦) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٥٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوصايا : باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس . وصحيح مسلم : كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث ، رقم (٥ ـ ٨).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨).

ـ إضاءتُها يوم قدومه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ؛ أضاء منها كلُّ شيء ، دلالة على تجاوبها معه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ من شدة فرحها ومحبتها ، فكان استقبالها له صلى الله عليه وآله وسلَّم كاستقبال أهلها ، لأنها أضاءت تعبيراً عن فرحها وسروها بذلك ، والله تعالى أعلم .

وهذا من فضائل هذه المدينة المباركة الطيبة ،... حيث إنها أضاءت يوم قدومه صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها فَرَحَاً به وبقدومه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث لم يبق فيها شيء إلا فرح ، وهذا ما دل عليه لفظ (كلُّ شيء) الذي هو لعموم الموجودات ، والله تعالى أعلم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ؛ أضاءَ من المدينة كلُّ شيءٍ ، ولما كان اليوم الذي مات فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أظلمَ من المدينة كلُّ شيء . وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . رواه أحمد وعبد بن حُميد وابن أبي شيبة والدارمي ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم ، ورواه أيضاً ابن ماجه وأبو يعلى والبزار والبغوي ، وغيرهم ، وله روايات أخرى . وقد سبق ذكرُه قبل قليل ، عند الكلام على أسمائها .

فرحت فأضاءت ، وحزنت فأظلمت ، وهكذا شأن المحب .

المفاضلة بينها وبين مكة :

ومن مكانة هذه المدينة المباركة الطيبة ؛ فقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من الفقهاء في أيهما أفضل ؟ مع اتفاقهم على تقديمهما على

جميع ما في الأرض .

١ـ فذهب عمر وابنه رضي الله عنهما وعددٌ من التابعين ومالك وأتباعه وأكثر المدنيين وبعض الشافعية ورواية عن أحمد وطائفة من أهل بغداد وأهل البصرة : إلى تفضيل المدينة على مكة .

٢ـ وذهب جمهور الفقهاء ـ بما فيهم أبو حنيفة والشافعي وأصح الروايتين عن أحمد ـ إلى تفضيل مكة على المدينة .

٣ـ وقد أحسن بعضهم رحمهم الله تعالى فجعل محل الخلاف في غير الكعبة المشرفة والحجرة الشريفة .

ولستُ هنا بصدد المفاضلة بين البلدتين الكريمتين ، فهما عينان في رأس ، ولكن هذا البحث خاص بالمدينة ، وليس للمفاضلة بينها وبين مكة ، فلكلٍّ من المذهبين أدلتُه ، ولا أحب أن أدخل في هذا النزاع ، أما المحبةُ وميلُ القلب فلا يملكه الإنسان .

قال الإمامُ ابن كثير رحمه الله تعالى[1]: المشهور عن الجمهور أن مكةَ أفضلُ من المدينة ، إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ.

وقال العلامةُ ابن القيم رحمه الله تعالى[2] ـ في معرض حديثه عن تربة المدينة ـ : وإذا كان هذا في هذه التربات ؛ فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها ؟ يريد تربة المدينة.اهـ.

---

(١) البداية والنهاية (٣ : ٢٠٥).

(٢) زاد المعاد (٤ : ١٨٧) والطب النبوي (١٤٦).

وعن أسماء بن عُبيد رحمه الله قال : سألت الشعبيَّ زمانَ الحج قال : قلت : آتي إلى الكوفة وفيها جدتي وأهلي . قال فقال : أي الأمصار أفضل ؟ أو قال : أعظم ؟ ثم أجابني فقال : أليس المدينة ؟ فقلت : بلى ،...إلخ. رواه عبد الرزاق بإسنادين صحيحين[1].

فقول الشعبي رحمه الله تعالى [المُتوفى١٠١ ـ ١٠٣هـ]: إن المدينة أفضل ـ أو أعظم ـ وتقرير أسماء بن عُبيد له : دلالة على انتشار تفضيلها في زمانهم ، وإلا لَمَا سأله ، ثم قرَّره ، والله تعالى أعلم .

وعن أسلم رحمه الله تعالى ؛ مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه زار عبدَ الله بنَ عيّاشٍ المخزومي ، فرأى عنده نبيذاً [شراب تمر وزبيب غير مسكر] وهو بطريق مكة ، فقال له أسلم : إن هذا الشرابَ يحبه عمرُ بن الخطاب ، فحمل عبدُ الله بن عيّاش قدحاً عظيماً فجاء به إلى عمر بن الخطاب ، فوضعه في يديه . فقرَّبَه عمرُ إلى فيه ، ثم رفع رأسه فقال عُمرُ : إن هذا لشرابٌ طيب ، فشرب منه ، ثم ناوله رجلاً عن يمينه ، فلما أدبر عبد الله ، ناداه عمرُ بن الخطاب ، فقال : أأنت القائلُ : لمكةُ خيرٌ من المدينة ؟ فقال عبد الله : فقلت : هي حَرَمُ الله وأَمنُه وفيها بيتُه . فقال عمر : لا أقول في بيت الله ولا في حرمه شيئاً . ثم قال عمر : أأنت القائل : لمكةُ خيرٌ من المدينة ؟ قال : فقلت هي حَرَمُ الله وأَمنُه وفيها بيتُه . فقال عمر : لا أقول في بيت الله ولا في حرمه شيئاً . ثم انصرف . رواه مالك بسند صحيح[2].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٢ : ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ، ٥٣٨).

(٢) الموطأ : كتاب الجامع : باب جامع ما جاء في أمر المدينة (٢ : ٨٩٤ رقم ٢١).

وقول عبد الله بن عياش رضي الله عنه : (هي حرم الله وأمنه وفيها بيته) لم يزد على إظهار ما عنده من فضيلة مكة .

وقال محمد بن عيسى : ولو أقرَّ له بذلك لضربه . فهو لم يصرح بتفضيل مكة ، وإنما أقرَّ له بفضل مكة . وهذا لا خلاف في صحته .

وقال الإمام الباجي رحمه الله تعالى[1]: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم اختار سكنى المدينة بعد الفتح ، فإن كان ذلك قد افتُرض عليه ؛ فلا يُفترض عليه السكنى إلا في أفضل البقاع ، وإن لم يكن ذلك مفتَرَضاً عليه ، واختاره فلا يختار لاستيطانه ، واستيطان الإمامة ، وفضلاء الصحابة : إلا أفضل البقاع.اهـ.

لذا نقل الأئمةُ الباجي والقاضي عياض وابن عساكر ،... وكثيرون رحمهم الله تعالى الإجماعَ على تفضيل الحجرة الشريفة ، ثم الكعبة ، ثم يجري الخلاف فيما سوى ذلك ، والله تعالى أعلم[2].

لذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو بالموت فيها .

فعن حفصة بنت عمر أمِّ المؤمنين رضي الله عنهما ، وأسلم مولى عمر قالا : قال عمر رضي الله تعالى عنه : اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وآله وسلَّم . رواه البخاري[3].

أسأله تعالى أن يكرمنا وكل محب بالعيش الهني فيها ، وحُسن الختام

---

(١) المنتقى للباجي (٧ : ١٩٧). وانظر : شرح الزرقاني (٤ : ٢٣٥).

(٢) انظر الأصل لبيان التعليل في تقديم الحجرة الشريفة .

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب (١٢).

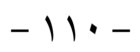
فيها ـ من غير ابتلاء ولا محنة ـ ويجعل مثوانا الأخير فيها ، والحشر منها مع أهلها . إنه جواد كريم .

ولا يعني حديثي هذا أني أنتقص قدرَ مكة المكرمة ، فحاشا وكلا ، ولكن هذا البحث يختص بالمدينة ، والحديث يدور حولها . كيف وقد كتبتُ (فضائل مكة المكرمة) أرجو الله تعالى أن ينجز ويظهر . كما كتبتُ مع هذا (مختصر فضائل مكة المكرمة) كما كتبتُ (ساكن مكة المكرمة منزلته ومسؤوليتُه) كما كتبتُ ما اتفقا فيه أو تقابلا فيه من الفضائل ، وهو (مكانة الحرمين الشريفين) أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبلها بقبول حسن ، ويجعل لها القبول عند خلقه ، وعلى الأخص عند محبي هاتين المدينتين المكرمتين المقدستين .

لذا كان لسان حالي يقول :

أَشْجانُ قَلْبي بِذاتِ النَّخْلِ وَالحُجَرِ   وَأُخْتِها تِلْكَ ذاتِ الحِجْرِ والحَجَرِ
تَقَسَّمَ القَلْبُ بَيْنَ البَلْدَتَيْنِ فَلا   أَنْفَكُّ مِنْ لَهَبِ الأَشْواقِ في سُعُرِ

☆☆☆☆☆



المبحث السادس
تطهيرها من الشرك ، وأرز الإيمان إليها

ما أن استقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة الطيبة ، وصار أهلُها مؤمنين ،... وصارت مستقرَّ الإيمان ومستودعَه ،... حتى أكرمها الله سبحانه وتعالى ؛ بأن طهرها من الشرك ، ويئس الشيطانُ أن يُعبد فيها ، وجعلها تعالى مَأْرِزَ الإيمان ، ومنبعَ النور والهداية ، مدى الدهر ، حيث ستبقى عامرةً به إلى قيام الساعة .

ولهذا وصف الله تعالى أهلَها بقوله جل شأنه : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[1] فصارت دارَ الإيمان ، كما مر في أسمائها .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينة قبة الإسلام ، ودار الإيمان ، وأرض الهجرة ،...». الحديث رواه الطبراني في الأوسط ، وحسنه الهيثمي . وقد مر ذكره في مبحث أسماء المدينة .

تطهيرها من الشرك :

فطالما صارت المدينةُ مَأْرِزَ الإيمان ومستقرَه ومستودعَه ؛ فلن يعود إليها الشركُ مرة ثانية بإذن الله تعالى .

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من المدينة ، فالتفت إليها فقال : «إن الله قد برَّأ هذه الجزيرةَ من الشرك».

---

(١) سورة الحشر (٩).

وفي رواية ثانية : «إن الله قد طهَّر هذه القريةَ من الشرك ، إن لم تضلهم النجوم». رواه أبو يعلى برجال ثقات ، والبزار والطبراني في الأوسط ، والطبري بسند حسن[1].

يأس الشيطان أن يُعبد فيها :

وطالما خرج الشيطان منها مذءوماً مدحوراً ،... فقد يئس أن يُعبد فيها مرة ثانية . ولله الحمد والمنة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن الشيطان قد أيس أن يُعبد بأرضكم هذه ، ولكن قد رضي منكم بالمحقِّرات». رواه أحمد والبزار برجال الصحيح[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنحوه ، رواه البزار .

وأما حديث جابر رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن الشيطان قد أيس أن يَعبدَه المصلون ؛ في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم». رواه مسلم[3]، فهو شامل للمدينة وغيرها ، ولكن هل تم انقطاعه ويأسه ؛ فلن يستجيب له أحد ؟ أرجو الله تعالى ذلك ، والله تعالى أعلم .

---

(١) المعجم الأوسط (١ : ١٨٠ ـ ١٨١) وكشف الأستار (٣ : ٣٢١ ـ ٣٢٢) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٦٩ ـ ٧٠ ، ٧٧) والمقصد العلي (٥٤١ رقم ٦١٢) ومجمع البحرين (٣ : ٧٦ ـ ٧٧) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٩) (٨ : ١١٤) (١٠ : ٥٤) والمطالب العالية (١ : ١٨٤).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٦٨) وكشف الأستار (٣ : ٣٢٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٨٥).

(٣) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ، رقم (٦٥).

الإيمان يأرز إليها :

وطالما أن الإيمان قد نزل بساحة هذه البلدة الطيبة المباركة ، وذلك بحلول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ؛ لذا صارت مستقرّاً ، ومستودَعاً له ، إلى قيام الساعة ، وملجأً له ، سواء يلتجيء إليها عند الخوف عليه من أقطار الأرض ؛ أو يأتيها ليتجدد ويقوى إذا ضعف . ولكن ذلك يكون على نحوين :

١ـ يأرز بين الحرمين . يعني في الحجاز . ويدل عليه :

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأْرِزُ بين المسجدين ، كما تأرز الحية في جُحرها». رواه مسلم[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول : «إن الإيمانَ بدأ غريباً وسيعود كما بدأ ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس ، والذي نفسُ أبي القاسم بيده ؛ ليَأْرِزُنَّ الإيمانُ إلى بين هذين المسجدين ، كما تأرز الحية في جحرها». رواه أحمد والبزار وأبو يعلى برجال الصحيح[2].

ويلاحظ أن السياق قد جاء في الحديثين بلفظ «كما تأرز الحيةُ في جحرها». حيث جاء بلفظ (في) الدّالة على الاستقرار والانجماع ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، رقم (٢٣٣).

(٢) مسند أحمد (١ : ١٨٤) ومسند أبي يعلى (٢ : ٩٩) وكشف الأستار (٤ : ٩٨) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٧٧).

٢ـ يأرز إلى المدينة . وهو تخصيص ، لأن المدينة المنورة جزء من الحجاز . وقد ورد في عدد من النصوص .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن الإيمان ليَأْرِزُ إلى المدينة ؛ كما تَأْرِزُ الحيةُ إلى جحرها». متفق عليه[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن الإيمان ليَأْرِزُ إلى المدينة ؛ كما تأْرِزُ الحيةُ إلى جحرها». رواه ابن حبان والبزار برجال ثقات[2].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «بدأ الإسلامُ غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى يومئذ للغرباء ، والذي نفس أبي القاسم بيده ؛ إن الإيمان ليأْرِزُ إلى المدينة ؛ كما تأرز الحية إلى جحرها». رواه الدورقي في مسند سعد ، وابنُ منده بسند صحيح[3].

ويلاحظ أن اللفظ قد جاء في هذه الروايات بصيغة : «كما تأْرِزُ الحية إلى جُحرها» بلفظ (إلى).

الجمع بين هذه النصوص ، والله تعالى أعلم :

حيث إن التعارض من حيث الظاهر من وجهين .

الأول : ما بين «يأْرِزُ إلى المدينة» وَ «يأْرِزُ بين الحرمين».

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب الإيمان يأرز إلى المدينة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٣٢).

(٢) صحيح ابن حبان (٢ : ١٧) وكشف الأستار (٢ : ٥١) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٩).

(٣) مسند سعد (١٥٦) والإيمان (٢ : ٥٢١ ـ ٥٢٢).

والثاني : ما بين قوله : «كما تأْرِزُ الحية إلى جُحرها» وَ «كما تأْرِزُ الحية في جُحرها».

أما **الأول** : فهو أن الإيمان : بدأ من مكة والمدينة ، ثم انتشر في الحجاز أولاً ، فإنه في آخر الزمان سينحصر في الحجاز وينكمش فيه ، ثم ينحصر بعد ذلك في مكة والمدينة ، ثم بعد خراب الكعبة ينحصر في المدينة فقط ، لأنها آخر قرى الإسلام خراباً ، وفيها أول من يصعق عند النفخ ، والله تعالى أعلم .

وأما **الثاني** : وفيه معنى «إن الإيمان ليأْرِزُ إلى المدينة» فالجواب عنه من وجهين :

١ـ يأرز إليها ليتجدد ، ويستعيد نشاطَه ، وتزداد قوته ، ويقوى صاحبه ، وذلك كلما ضعف في نفس صاحبه ، وإليه الإشارة في قوله : «كما تأْرِزُ الحية في جحرها» التي تدل على الاستقرار والانجماع .

وذلك لأن الإيمان يضعف ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «الإيمان يَخْلَقُ في جوف صاحبه كما يَخْلَق الثوب» كما في حديث عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما ، كما عند الحاكم والطبراني برجال ثقات وحسنه العراقي والهيثمي[1]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «جَدِّدوا إيمانكم» كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عند أحمد وعبد بن حُميد ، والحاكم وصححه ، والبزار ، وجوّده الهيثمي ، وصححه السيوطي[2].

---

(١) المستدرك (١ : ٤) ومجمع الزوائد (١ : ٥٢) وفيض القدير (٢ : ٣٢٤).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٥٩) ومسند عبد بن حُميد (٤١٧ رقم ١٤٢٤) وحلية الأولياء (٢ : =

فلما كانت المدينة : جُحرَ الإيمان ومستقرَّه وملجأه ومأرزَه ، لذا كلما ضعف أو تعب : التجأ إليها ليتجدد فيها ، كما يتجدد نشاطُ الحية إذا التجأت إلى جُحرها ، بعد تعب البحث خارجه ، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «في جُحرها»، والله تعالى أعلم .

٢ـ كما بدأ الإيمان في آحاد الناس وقلة منهم ، ثم انتشر ؛ كذلك عند حدوث الفتن ؛ ينكمش ويتقلص من سائر الأرض ، ويعود إليها كما كان ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن الإيمان بدأ غريباً» حيث بدأ به ، وَ «كما تأرز الحية إلى جحرها» لأن المدينةَ آخرُ قرى الإسلام خراباً ، والله تعالى أعلم .

وهذا الأرز عام في كل العصور ـ كما ذهب إليه الجمهور ـ والله تعالى أعلم ، ويدل عليه قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في حديث سعد رضي الله عنه ـ : «فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس» بعد أن بيَّن «إن الإيمان بدأ غريباً»، والله تعالى أعلم .

ولذلك ؛ فإنه كان في أول الإسلام كلُّ من خلص إيمانُه : أتى المدينة ، إما مهاجراً ، أو مستوطناً ، وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومتعلماً منه ، ومقتدياً به ،...إلخ.

وكذا الحال بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، في زمن الخلفاء ، ثم من بعدهم من العلماء ، فإن كلَّ ثابت الإيمان منشرح الصدر يرحل إليها ، إلى

= ٣٥٧) والمستدرك (٤ : ٢٥٦) وكشف الأستار (١ : ٣١٩) ومجمع الزوائد (١ : ٥٢) وفيض القدير (٣ : ٣٤٥).

آخر الدهر . ليكون مقتدياً به صلى الله عليه وآله وسلَّم في تقديمها ومحبتها ، والله تعالى أعلم .

هي آخر قرى الإسلام خراباً :

ومن فضائل هذه المدينة المنورة الطيبة : أنها ستبقى عامرةً إلى قيام الساعة ، لأنها صارت مأْرِزَ الإيمان ، ومستقرَّه ومستودعَه ، وأن آخر من يحشر راعيان من مزينة ، يقدمانها فيجدانها قد خربت ، وذلك بعد ترك أهلها لها في ذلك الوقت ، فإذا بلغا ثنية الوداع : نُفخ في الصور ، فصُعِقا ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «يتركون المدينةَ على خير ما كانت ؛ لا يغشاها إلا العوافي ـ يريد عوافيَ السباع والطير ـ فآخِرُ من يُحشر : راعيان من مُزَيْنَة ، يريدان المدينةَ ، ينعقان بغَنَمِهما ، فيجدانها مُلئت وُحوشاً ، حتى إذا بلغا ثنيةَ الوداع ؛ خرَّا على وجوههما». متفق عليه[1].

فلا يقصدها الراعيان بغنمهما ؛ إلا وهي مسكونة ، فإذا وصلا إلى ثنية الوداع ؛ يُصعقان ، ويسقطان ميتين ، والله تعالى أعلم .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «آخرُ قرية من قرى الإسلام خراباً : المدينة». رواه الترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه ، وإسنادهما حسن[2]، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من رغب عن المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب في المدينة حين يتركها أهلها ، رقم (٤٩٩).

(٢) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩١٩) وصحيح ابن حبان (١٥ : ١٧٩) والعلل الكبرى (٢ : ٩٤٥).

والخراب نوعان : مادي : وهو النفخُ في الصور ، ومعنوي : وهو تركُ أهلها لها ، كما في أول حديث أبي هريرة رضي الله عنه الأول ، وذلك قبيل النفخ في الصور ، والله تعالى أعلم .

والخلاصة : أن الخراب المعنوي هو الأول ، ثم يعقبه الثاني ، وهو المادي ، والله تعالى أعلم .

ولهذا نهى رسولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم عن دخول المشركين إلى المدينة ، لأنها صارت مأْرِزَ الإيمان ومستقرَّه ومستودعَه ، فلا يحسن أن يخالطه ما يخالفه أو يناقضه .

لكن لما كانت المدينة ـ قبل وصول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها ـ يسكنها المشركون واليهود ؛ لذا تدرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في إخراجهم ، كما هو الحال في مكة . حيث نهى صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يحج في السنة التاسعة مشرك ، وأن يطوف بالبيت عريان ، مع أنهم كانوا موجودين في حج سنة ثمان بعد الفتح ، ثم نهى عن ذلك .

ـ والتدريج بدأ من المسجد فلا يدخله مشرك ، ثم نهى عن دخول الكفار إلى المدينة ، ثم أمر بإخراج المشركين من الجزيرة ، ثم بأهل الكتاب ، حتى لا يبقى في الجزيرة إلا مؤمن مسلم ، والله تعالى أعلم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «لا يدخل مسجدَنا هذا مشركٌ بعد عامنا هذا ، غيرَ أهل الكتاب وخدمهم». رواه أحمد مرفوعاً ، وفيه ضعف ، لكن رواه عبد الرزاق موقوفاً بسند صحيح[1].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٣٩ ، ٣٩٢) ومصنف عبدالرزاق (٦ : ٥٣) (١٠ : ٣٥٦).

ثم أعلن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم عن همه بإجلاء اليهود منها ، لأن الأرض لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد ، إذ خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : «انطلقوا إلى يهود» فخرجنا معه ، حتى جئناهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : «يا معشر يهود ؛ أَسْلِموا ، تسْلَموا» فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال ،... لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ذلك أريد ، أسلِموا ، تسلَموا»... فقال لهم في الثالثة : «اعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئاً : فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله». متفق عليه[1].

ـ ولما غدر بنو قريظة وبنو النضير ،... قَتل صلوات الله عليه وآله وسلَّم من قَتل منهم ، وأجلى من أجلى منهم .

ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأجلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بني النضير ، وأقرَّ قريظة ، ومَنَّ عليهم ، حتى حاربت قريظة ،... الحديث ، وفيه : وأجلى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يهودَ المدينة كلَّهم ؛ بني قينقاع ، ويهود بني الحارث ، وكلَّ يهوديٍّ كان بالمدينة . رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجزية : باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب إجلاء اليهود من الحجاز ، رقم (٦١).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٢).

ـ ولما ذهب بعضُ اليهود إلى خيبر ، وظهر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ، أراد إخراجَ اليهود منها ، وكانت الأرض حين ظهر عليها : لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم وللمسلمين ،... الحديث ، وفي آخره : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «نُقرُّكم بها على ذلك ما شئنا». فقَرّوا بها ، حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه إلى تيماء وأريحاء . متفق عليه[1].

ـ ثم نهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن دخول الكفار مطلقاً ـ سواء كانوا مشركين أو أهل كتاب ـ إلى المدينة .

فعن أبي رافع رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أمر أن لا ندع في المدينة دِيناً إلا الإسلام : إلا أُخرج . رواه الطبراني بسند حسن[2].

ـ ثم أمر صلى الله عليه وآله وسلَّم بإخراج المشركين من الجزيرة ، لأنها حاضرةَ الإسلام ، فلا عَيْنٌ تتجسس ، ولا رقيب من غير أهلها .

ولأهمية هذا الموضوع : كان آخرَ شيء تكلم به صلى الله عليه وآله وسلَّم في مرضه الأخير .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ في قصة رغبته صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في مرضه الأخير ـ الكتابةَ يوم الخميس ـ وفي آخر الحديث قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ،...». الحديث بطوله ، متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحرث والمزارعة : باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع ، رقم (٦).

(٢) المعجم الكبير (١ : ٢٩٢) ومجمع الزوائد (٥ : ٣٢٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجزية : الباب السابق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب =

ـ ثم أمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد ذلك بإخراج اليهود والنصارى منها ، حتى لا يكون في الجزيرة إلى الإسلام ، وقد تضافرت النصوص في ذلك .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «لأُخرجنَّ اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب ؛ حتى لا أدع إلا مسلماً». رواه مسلم[1].

حتى لا يبقى في الجزيرة ـ والحجاز بالذات ـ غير مسلم .

ـ فيكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أمر بإخراج المشركين أولاً ، ثم أمر بإخراج اليهود والنصارى ثانياً من جزيرة العرب ، لأن الجزيرةَ بمثابة الحِمى للحجاز ، ولأن الحجازَ بمثابة الحِمى للحرمين الشريفين ، والله تعالى أعلم .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2]: وإرسالُ من يُؤخذ منه الجزية أن يُعطيها ، ويجري عليه الحكمُ ، على أن يسكن الحجاز : لم يكن ذلك له.اهـ. ، والله تعالى أعلم .

وبهذا يتضح الترتيب الزمني ـ والله تعالى أعلم ـ حيث نهى صلى الله عليه وآله وسلَّم عن دخول المشركين أولاً ، ثم همَّ بإجلاء اليهود منها ، ثم

= الوصية : باب الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ، رقم (٢٠) ولينظر فتح الباري (٦ : ٢٧٢) لبيان استنباط الإمام الطبري رحمه الله تعالى المهم جداً .

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، رقم (٦٣).

(٢) السنن الكبرى (٩ : ٢٠٩) وفتح الباري (٦ : ١٧١).

أمر بإخراجهم منها ثانياً ، ثم أمر بإخراجهم من الحجاز كله ، ثم نهى صلى الله عليه وآله وسلَّم عن دخول الكفار مطلقاً إلى المدينة ؛ حتى لا يبقى فيها إلا الإسلام ، ثم أمر بإخراج المشركين من الجزيرة ، ثم أمر صلى الله عليه وآله وسلَّم بإخراج اليهود والنصارى من الجزيرة كلها ؛ حتى لا يبقى فيها كلها إلا الإسلام ، لذا لا يُمكَّنون من سكناها بعد ذلك ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

المبحث السابع
دعاء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة

دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وما يقابله :

لقد دعا إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة بدعوات مختلفة ، وقد توسعتُ في بيان دعوات إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة في (فضائل مكة المكرمة) وذكرت مختصراً لذلك في (مختصر فضائل مكة المكرمة) كما أشرت إلى ذلك في (ساكن مكة المكرمة ؛ منزلته ومسؤوليته) وقد دعا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ؛ بكل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة ، ثم زاد صلى الله عليه وآله وسلَّم من الدعوات للمدينة بأكثر ، كما سيأتي .

ودعاءُ إبراهيم عليه السلام لأهل مكة جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة ، لكنني أقتصر على ذكر نصين مما ورد في كتاب الله تعالى :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) سورة البقرة (١٢٦).

﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1].

ففي هذه الآيات الأربع عدة دعوات . وكلٌّ منها حصل للمدينة ، والحمد لله ، ثم زاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في الدعاء للمدينة ، بأكثر مما ورد في هذه الدعوات ، لذا سأذكر دعوات إبراهيم عليه السلام ثم الزيادة .

ـ أولاً : دعوات إبراهيم عليه السلام لمكة وما يقابلها ، وهي :

١ـ جعل مكة بلداً آمناً ، وقد حصل هذا في المدينة .

فقد مر حديثُ سهل بن حُنيف رضي الله تعالى عنه قال : أهوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيده إلى المدينة فقال : «إنها حرم آمن». رواه مسلم .

وعند أحمد وابن أبي شيبة والطبراني في آخرين ؛ برجال الصحيح «إنها حرام آمن ، إنها حرام آمن».

٢ـ إرزاقهم من الثمرات ، وقد حصل هذا في المدينة بأمرين :

أ ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بالبركة في مكيالها وصاعها ومُدِّها ،... وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى في الباب الأخير .

ب ـ الدعاء لها بإرزاقها من ثمرات الأرض ، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل إن شاء الله تعالى أيضاً .

٣ـ جعل قلوب الناس تهوي نحوها ، وقد حصل للمدينة أيضاً .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى

---

(١) سورة إبراهيم (٣٥ـ ٣٧).

الله عليه وآله وسلَّم على المنبر ؛ نظر نحو اليمن فقال : «اللهم أَقْبِل بقلوبهم» [ونظر نحو الشام فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم»] ونظر نحو العراق ؛ فقال مثلَ ذلك ، ونظر نحوَ كلِّ أُفق ؛ فقال مثل ذلك ، وقال : «اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض ، وبارك لنا في مُدِّنا وصاعنا». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، والبزار على شرط مسلم ، وحسنه الهيثمي[1].

وجاء نحو ذلك من حديث عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

٤ـ تجنيبه عليه السلام وبنيه أن يعبدوا الأصنام ، وهذا وإن كان عاماً ؛ فقد حصل للمدينة أيضاً ، بأمرين :

أ ـ تطهير المدينة من الشرك ، ويَأْس الشيطان أن يُعبد فيها ، وأَرْز الإيمان إليها ، كما مر ذكرُ ذلك كله من قبل .

ب ـ ما جاء من إرضاء الله تعالى رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في أمته ، وعدم إساءته فيها .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ الآية[2] وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3].

---

(١) الأدب المفرد (١٦٩ رقم ٤٨٢) ومسند أحمد (٣ : ٣٤٢) وكشف الأستار (٢ : ٥١) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٤) وتحسينه إنما هو لطريق أحمد . أما رواية البخاري والبزار فعلى شرط مسلم .

(٢) سورة إبراهيم (٣٦).

(٣) سورة المائدة (١١٨).

فرفع يديه ، وقال : «اللهم أمتي ، أمتي». وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسْلَه : ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد فقل : «إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك». رواه مسلم[1].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

ـ ثانياً : مما يزاد مما دعا به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وأهلها :

٥ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم في تحبيب المدينة .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها ـ في قصة مجيء الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة ، وإصابتهم بالحمى ، فصاروا يهذون ،... الحديث بطوله ، وفي آخره ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبنا مكة أو أشد ، وصحِّحْها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها ، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجُحْفَة». متفق عليه[2].

وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه نحوه ، كما رواه أحمد والجَنَدي والروياني وسعيد برجال الصحيح[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم لأمته ، رقم (٣٤٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٨٠).

(٣) مسند أحمد (٥ : ٣٠٩) وفضائل المدينة (١٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٤) وكنز العمال =

وقد استجاب الله تعالى دعاء نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في كل هذه الدعوات ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أشدَّ الناس لها محبة ، إضافة إلى تصحيح المدينة ، ونقل حُمَّاها إلى الجحفة ، والمباركة في أرزاقها .

ففي هذا الحديث أربع دعوات .

ـ لذا فمن محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها : إسراعُه صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا أقبل نحو المدينة .

فعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا قدم من سفر ، فنظر إلى جُدُراتِ المدينةِ أَوضعَ راحلتَه ، وإن كان على دابةٍ حرَّكها ؛ من حبِّها . رواه البخاري[1].

لكنه صلوات الله عليه وآله وسلَّم إذا وصل المدينة بليل ، فإنه لا يدخلها ، بل يبيت خارجها حتى يصبح ، ثم يدخلها صباحاً .

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه ـ في حديثه الطويل ، في قصة توبة الله تعالى عليه ، وفيه ـ : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يَقْدَمُ من سفر إلا نهاراً ضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه ،... متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

= (١٢ : ٢٤٤).

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا عبد الله بن محمد ، ذكره عقب باب المدينة تنفي الخبث .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الصلاة إذا قدم من سفر . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الركعتين إذا قدم من سفر ، رقم (٧٤).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يَطْرُقُ أهلَه ليلاً ، كان لا يدخل إلا غُدْوةً أو عشِيَّة . متفق عليه[1].

لذا إذا قدم صلى الله عليه وآله وسلَّم من طريق مكة ـ من حج أو عمرة أو جهاد ـ نزل بذي الحليفة ، وبات فيها حتى يصبح . كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . كما عند البخاري[2].

٦ـ ومن دعاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : **دعاؤه بتصحيحها مما كان بها من الحُمَّى** ، والتصحيح أعم من مجرد نقل الحمى ، إذ يشمله ويشمل غيرَه أيضاً .

وقد مر قبل قليل حديثُ السيدة عائشة رضي الله عنها ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «وصحِّحها لنا». وهو متفق عليه .

٧ـ ومن دعاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : **نقل الحُمَّى التي كانت موجودةً فيها إلى الجُحْفَة** .

وقد مر حديثُ السيدة عائشة رضي الله عنها ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجحفة» وهو جزء من الحديث السابق ،

وحديثُ أبي قتادة رضي الله عنه ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «واجعل ما بها من وباء بخُم». وخُم في الجحفة .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العمرة : باب الدخول بالعشي . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب كراهة الطروق ، وهو الدخول ليلاً ، رقم (١٨٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب المساجد التي على طريق المدينة ، وباب خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم على طريق الشجرة .

وقد استجاب الله تعالى دعوة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فنقل حُمَّاها إلى الجحفة . كما مر في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري .

٨ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة بمثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة .

فعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ودعا لها ، وحرَّمتُ المدينةَ كما حرَّم إبراهيم مكةَ ، ودعوت لها في مُدِّها وصاعها مثلَ ما دعا إبراهيمُ عليه السلام لمكة». متفق عليه[1].

وجاء مثلُه عن أبي قتادة وسفيان بن أبي زهير وغيرهما رضي الله تعالى عنهم .

٩ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة بالبركة في أرزاقها في الصاع والمد ،... والنصوص في هذا الباب متواترة . ومن ذلك :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ في قصة غزوة بني لحيان ـ وفي آخره : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مُدِّنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مُدِّنا ، اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين ،...». الحديث . رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ومُدِّه . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٥٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥).

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث السابق ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصحِّحها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها ،...». الحديث ، متفق عليه ، وقد سبق ذكره قبل قليل .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «اللهم بارك لهم في مكيالهم ، وبارك لهم في صاعِهم ، وبارك لهم في مُدِّهم». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان الناس إذا رأوا أولَ الثَّمَر جاؤوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا أخذه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «اللهم بارك لنا في ثَمَرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعِنا ، وبارك لنا في مُدِّنا ،...». الحديث ، رواه مسلم[2].

والنصوص في هذا الموضوع كثيرة ، والحمد لله .

١٠ـ الدعاء للمدينة بِمِثْلَي ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة .

ومن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة المنورة : أن دعا لها بِضِعْفَي ما دعا به إبراهيم عليه السلام لمكة .

فعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن إبراهيمَ حَرَّم مكةَ ، ودعا لأهلها ، وإني حَرَّمتُ المدينةَ كما حرم إبراهيمُ مكةَ ، وإني دعوت في صاعها ومُدِّها بِمِثْلَيْ ما دعا به إبراهيمُ

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ومُدِّه . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٩٥).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٣ ـ ٤٧٤).

لأهل مكة». متفق عليه، واللفظ لمسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أولَ الثَّمرِ جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ الحديث، وفي آخره قال صلى الله عليه وآله وسلَّم: «...اللهم إن إبراهيمَ عبدُك وخليلُك ونبيُّك، وإني عبدُك ونبيُّك، وإنه دعاك لمكةَ، وإني أدعوك للمدينة بمِثْلِ ما دعاك لمكة ومثلِه معه». لفظ مسلم[2].

والنصوص في هذا الباب كثيرة، والحمد لله.

فكلُّ شيء دعا به إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها؛ دعا به النبيُّ المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وأهلها بمثليه، والله تعالى أعلم.

١١ـ تضعيف البركة في المدينة على ما في مكة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَيْ ما بمكة من البركة». متفق عليه[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يُؤتى بأول الثَّمر، فيقول: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارِنا، وفي مُدِّنا، وفي صاعنا؛ بركةً مع بركة». رواه مسلم[4].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب البيوع: الباب السابق. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٥٤).

(٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٧٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة: باب حدثنا عبد الله بن محمد، وهو عقب باب المدينة تنفي الخبث. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤١٦).

(٤) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٤٧٤).

وقد ورد قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم «اللهم اجعل البركة فيها بركتين» من حديث سعد بن أبي وقاص ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، عند أحمد برجال الصحيح[1].

١٢ـ مضاعفة البركة أضعافاً أخرى على ما في مكة .

إذا جاء في النصوص السابقة كون البركة في المدينة ضعفي ما في مكة ، فإن الله سبحانه وتعالى أكرم أهلَ هذه البلدة الكريمة الطيبة فزادها أضعافاً أخرى ، بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المحبِّ لها بذلك .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ في الحديث السابق ، وفي آخره ـ قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم بارك لنا في مدينتنا اللهم بارك لنا في صاعنا... اللهم اجعل مع البركة بركتين». رواه مسلم[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى إذا كنا بحَرَّة السقيا ؛ التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ائتوني بوَضوء» ثم قام فاستقبل القبلة ، ثم قال : «اللهم إن إبراهيمَ كان عبدَك وخليلَك ، ودعا لأهل مكة بالبركة ، وأنا عبدُك ورسولُك ، أدعوك لأهل المدينة ، أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعِهم مِثْلَيْ ما باركت لأهل مكة ، واجعل مع البركة بركتين». رواه أحمد ، والترمذي وابن خزيمة وابن حبان ـ وصححوه ـ والنسائي في الكبرى ، والطبراني في الأوسط برجال الصحيح[3].

---

(١) مسند أحمد (١ : ١٦٩) (٣ : ٣٥) والفتح الرباني (٢٣ : ٢٥٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥ ، ٤٧٦).

(٣) مسند أحمد (١ : ١١٥) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم =

ورواه ابن حبان في صحيحه[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : «واجعل مع البركة بركتين».

فتكون البركة في المدينة المباركة عدة أضعاف عما في مكة ، والله تعالى أعلم .

١٣ـ المباركة في المدينة نفسها .

وكما دعا النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم أن يبارك الله سبحانه وتعالى لأهل المدينة في مكيالهم وصاعِهم ومُدِّهم ، وثمرهم ؛... فإنه صلى الله عليه وآله وسلَّم دعا لهم أن يبارك الله تعالى في المدينة نفسها ـ من حيث هي ـ وهذا يشمل المدينة وما فيها ، والله تعالى أعلم .

فقد مر قبل قليل حديثُ أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...اللهم بارك لنا في مدينتنا ،...». رواه مسلم .

كما مر قبل قليل أيضاً حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...وبارك لنا في مدينتنا ،...». رواه مسلم .

وعن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم ،...». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ،

= (٣٩٢٤) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب مكيال أهل المدينة (٢ : ٤٨٤) وصحيح ابن خزيمة (١ : ١٠٥ ـ ١٠٦) وفيه سقط ، وصحيح ابن حبان (٩ : ٦١ ـ ٦٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٥) وتحفة الأشراف (٧ : ٣٩٠ ـ ٣٩١).

(١) صحيح ابن حبان (٨ : ٧٨ ـ ٧٩) (٩ : ٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ١٧١).

وأبو يعلى والبيهقي[1]. وقد روى الشيخان أجزاء منه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وفي صاعِنا ، ومُدِّنا ، ويمننا ، وشامنا ،...». الحديث ، رواه أحمد والطبراني برجال ثقات[2].

فقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «بارك لنا في مدينتنا». أي في ذاتها ، فيشمل البركةَ الدنيويةَ والأخرويةَ ، الحسيةَ والمعنويةَ ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ذكر المباركة في الصاع والمُد ، والثمر والمكيال ،... والله تعالى أعلم .

١٤ـ طعام الواحد يكفي الإثنين .

ومن البركة التي حلّت في المدينة ؛ كون طعام الواحد فيها : يكفيه ويكفي غيرَه معه أيضاً .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «طعامُ الواحد يكفي الإثنين ، وطعامُ الإثنين يكفي الأربعة ، وطعامُ الأربعة يكفي الثمانية». رواه مسلم[3].

---

(١) مسند أحمد (١ : ١٨٣ ـ ١٨٤) (٢ : ٣٣٠ ـ ٣٣١) ومسند سعد (٢٠١) والمستدرك (٤ : ٥٤٢) ومسند أبي يعلى (٢ : ١٢٩) وإتحاف الخيرة المهرة (٥ : ١٥٤ ـ ١٥٥) ودلائل النبوة (٢ : ٥٧٠) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٨ـ ٣٠٩). وعزاه في الكنز (١٢ : ٢٤٧) لسعيد بن منصور ، وانظر : صحيح مسلم : كتاب الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء ، رقم (٤٩٥).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٢٤ ، ١٢٦) ومسند ابن عمر بنحوه (٤٠ رقم ٦٩) والمعجم الأوسط (٤ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٥) ومجمع البحرين (٣ : ٢٧٤) وإتحاف الخيرة (٤ : ١٥٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب فضيلة المواساة في الطعام القليل ، رقم (١٧٩ ـ ١٨١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «طعامُ الإثنين يكفي الثلاثةَ، وطعامُ الثلاثة يكفي الأربعة». متفق عليه[1].

وهذا الحديث مروي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم.

ولا تعارض بين الحديثين ـ والله تعالى أعلم ـ لأن الطعام إذا كان كافياً لأربعة؛ فهو كاف للثلاثة بطريق الأولى، والذي يكفي الأكثر فهو يكفي الأقل من باب أولى.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: غلا السعر بالمدينة، واشتد الجهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «اصبروا، وأبشروا، فإني قد باركت على صاعِكم ومُدِّكم، فكلوا ولا تفرَّقوا، فإن طعامَ الواحد يكفي الإثنين، وطعامَ الإثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الخمسة والستة، وإن البركة مع الجماعة،...». الحديث، رواه ابن ماجه ـ مختصراً ـ والبزار، وله شواهد هو بها حسن[2].

١٥ـ مضاعفة أجر الأعمال الصالحة.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى[3]: ما بعد مكةَ بقعةٌ أفضلُ من مدينة

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة: باب طعام الواحد يكفي الإثنين. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، (١٧٨).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة: باب طعام الواحد يكفي الإثنين، رقم (٣٢٥٥) والبحر الزخار (١: ٢٤٠) وكشف الأستار (٢: ٥١ـ٥٢) ومجمع الزوائد (٣: ٣٠٥ـ٣٠٦) ومختصر زوائد البزار (١: ٤٧٩ ـ ٤٨٠) ومختصر الترغيب والترهيب (١٤٨) ومصباح الزجاجة (٣: ٦ـ٧).

(٣) إحياء علوم الدين (٤: ٢٨٤) بحاشية إتحاف السادة المتقين.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فالأعمال فيها أيضاً مضاعفة . قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وكذلك كل عمل بالمدينة بألف.اهـ.

وقال الإمام الزبيدي رحمه الله تعالى في شرحه لعبارة الإمام الغزالي رحمه الله تعالى[1]: قيل : إن الأعمال في المدينة كفضل الصلاة ، كل عمل بألف.اهـ.

قلت : ويشهد لما قالاه رحمهما الله تعالى :

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «الصلاة في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، والجمعةُ في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهر رمضانَ في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام». رواه البيهقي في الشعب ، وحسنه السيوطي . وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عنده أيضاً وحسنه أيضاً ، وله شاهد آخر من حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه عند الطبراني والضياء ـ في المختارة ـ والديلمي وابن عساكر وصححه السيوطي . وتعقب[2].

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٤ : ٢٨٤). وانظر : شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٩ : ١٥٣) والقرى لقاصد أم القرى (٦٧٩).

(٢) انظر : الجامع الصغير (٢ : ١٨ ، ١١٠ ، ١١٩) ومسند الفردوس (٣ : ٢٧٥ رقم ٣٢٧٨) والمعجم الكبير (١ : ٣٥٩) وشعب الإيمان (٨ : ٨٦ ـ ٨٧) ومجمع الزوائد (٣ : ١٤٥ ،٣٠١) وكنز العمال (١٢ : ٢٣٤ ـ ٢٣٦) وشرح العزيزي (٢ : ٣١٩ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦) =

لكن خير شاهد له حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم في الصحيحين وغيرهما بالنسبة للصلاة ، فالحديث بها حسن إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

= وفيض القدير (٤ : ٢٤٦ ، ٢٢٧ ، ٣٩ ـ ٤٠) وتهذيب تاريخ دمشق (٧ : ٢٨٧) والترغيب والترهيب (٣ : ٥٢ ، ٥٣) وإعلام الساجد (٢٥٨).

الباب الثاني

ساكنو المدينة المنورة ، وما يتعلق بهم
وفيه خمسة مباحث

- المبحث الأول : الحث على الهجرة إليها .
- المبحث الثاني : الحث على المجاورة فيها .
- المبحث الثالث : منزلة أهل المدينة .
- المبحث الرابع : المدينة تنفي الخبث والشرور .
- المبحث الخامس : الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

الباب الثاني

ساكنو المدينة المنورة ، وما يتعلق بهم

لما اختار الله تعالى هذه المدينةَ الطَّيِّبَةَ لتكون مهاجَراً لنبيِّه وحبيبه وصفيِّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم لتكون مستقرّاً ومضجعاً ، كان لابد أن يكون له أنصار وأعوان ؛ يتعلمون منه صلى الله عليه وآله وسلَّم عقائد وأحكام وحقائق هذا الدين ،... ويتربَّون على عينه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويأخذون عنه مايتنزل من الوحي الذي يتلقاه من ربه عز وجل ، ويطبقون أحكام الشرع الجديد على أنفسهم ،... ثم يتحملون معه صلى الله عليه وآله وسلَّم عبء الدعوة لهذا الدين ، والدفاع عنه ، إضافة إلى القيام بحقِّ الله تعالى ، وحقِّ نبيهم المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وحق الإسلام ،...

وكل من سكن في مساكنهم فعليه أن يحاكيهم فيما أُكرم به من هذا الجوار ،...

وإذا كانوا كذلك ؛ فلا بد أن يكونوا على أعلى صفات الكمال ؛ خُلقاً وأدباً وديناً وصلاحاً وتقوى ،... كما لابد أن يكونوا في منتهى المسؤولية الملقاة على عواتقهم ، لأنهم جيران النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم حيّاً وبعد وفاته ، تَهوي إليهم أفئدةُ عامة المسلمين ، ليتعلَّموا منهم ، ويأخذوا عنهم ، لأن المدينةَ المنورة هي دارُ السُّنَّة ، كما أنها دارُ الهجرة .

كما لا بد أن يكونوا غايةً في الصدق والإخلاص ومحبة استقبال المسلمين

القادمين ، وإيثاراً لهم على أنفسهم ـ كما وصفهم الله تعالى من قبل .

ولما كانت المجاورة في هذه المدينة المباركة من الفضائل الكريمة : كان لابد للمجاور والساكن ؛ أن يكون صابراً ، محتسباً على عيشه وشظفه ،... دافعاً الثمن لكي ينال شرف المجاورة ، وهي : الشفاعةُ والشهادةُ له من قِبَلِ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى يكون الغرم بالغنم ، والله تعالى أعلم .

وأما إذالم يكن المجاورُ ـ لا سمح الله تعالى ـ أهلاً لهذه المجاورة ، فهو خبثٌ ، تطرده المدينة وتنفيه ، لأنه لا يصلح أن يكون مِن سكانها ؛ الذين يُحشرون مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وفي كلا الحالتَيْن فما هو موقفنا ـ نحن المسلمين ـ مِن سكان هذه المدينة المباركة المنورة وقاطنيها ، بعد أن أضْحَوا جيران النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ والذين اختارهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا قُطّان هذا الحرم ، ومجاوري النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ؟... سوى الاحترام والمحبة والتجلّة والتكريم ، ومنع الاعتداء عليهم ، وتحريم إيذائهم ، وعدم إرادتهم بسوء أو إخافتهم ،... لأن من فعل ذلك فقد آذى من جاوروه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، واستحق الفاعلُ اللعنةَ من الله تعالى ومن رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم والمؤمنين ،...

كل هذا وغيره كثير سنراه إن شاء الله تعالى في فقرات هذا الباب .



المبحث الأول
الحث على الهجرة إليها

لقد حث الله سبحانه وتعالى ونبيُّه المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بعد وصوله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى هذه البلدة المباركة ـ على الهجرة إلى هذه المدينة الطيبة ، بل أمر صلى الله عليه وآله وسلَّم الصحابةَ الكرامَ رضي الله عنهم بالهجرة إليها قبل انتقاله صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها ، لأنها صارت عاصمة الإسلام ، ولكي يقوى بعضهم ببعض ، وتكون لهم الغلبة ،... ويأمنوا على أنفسهم ، ويتعلموا منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم لينقلوا هذا الدين إلى غيرهم من البشر .

لكن الهجرة إلى المدينة المنورة المباركة مرت بمراحل متعددة ، يحسن الإشارة إليها .

١ـ وجوب الهجرة إليها قبل الفتح :

لما اشتد البلاء بالصحابة الكرام رضي الله عنهم في مكة من قِبل كفار قريش ، جاء الإذنُ بالهجرة إلى المدينة ، فأَذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالهجرة إليها ، وذلك عقب بيعة الأنصار رضي الله عنهم لبيعة العقبة الثانية ، لكنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أرسل بعضَ المهاجرين رضي الله عنهم إلى المدينة بعد البيعة الأولى ؛ ليعلِّموا الناسَ دينهم ، وللدعوة إلى الإسلام ،... ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم إلى المدينة .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : أولُ من قدم علينا ؛

مُصعبُ بن عمير وابنُ أم مكتوم ، وكانوا يُقرئون الناسَ ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فما رأيت أهلَ المدينة فرحوا بشيء فرحَهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى جعل الإماءُ يقلن : قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... الحديث ، رواه البخاري[1].

وقد تعين على جميع المسلمين ؛ سواء كانوا من مكة أو غيرها : أن يهاجروا إليها ،... طالما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، ولهذا هاجر إليها عامة المسلمين ، حتى الموجودين في الحبشة .

فعن عائشة رضي الله عنها ـ في قصة حديث الهجرة إلى المدينة ـ وفي آخره قالت : فهاجر من هاجر قِبَل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ،... الحديث ، رواه البخاري[2].

وصارت الهجرةُ واجبةً إلى المدينة ، حكمها حكم السمع والطاعة والجهاد ـ مع أنها كانت قبل هجرة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مطلوبةً ، ولهذا حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المسلمين على الهجرة إليها .

فعن الحارث الأشعري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

وسلَّم قال : «...وأنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ،...». رواه أحمد ، والترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححوه ، وأقره الذهبي ، ورواه النسائي في آخرين[1].

وقد ورد بيان وجوب الهجرة إليها في عدد من الأحاديث أيضاً .

٢ـ قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر حتى يهاجر :

ولهذا قطع الله تعالى الموالاةَ بين من هاجر وبين من لم يهاجر حتى يهاجر ، لكن إذا استنصروكم فعليكم نصرهم .

قال الله جل وعز : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

بل شدَّد الله سبحانه وتعالى على الذين يبقون مقيمين بين ظهراني

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٣٠ ، ٢٠٢) (٥ : ٣٤٤) وسنن الترمذي : كتاب الأمثال : باب مثل الصلاة والصيام والصدقة ، رقم (٢٨٦٣ ، ٢٨٦٤) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٦٤ـ٦٥) (٣ : ١٩٥ـ١٩٦) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٢٤ـ١٢٦) والمستدرك (١ : ١١٧ـ١١٨ ، ٤٢١ـ ٤٢٢) وتحفة الأشراف (٣ : ٣) والتمهيد (٢١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠). ومسند الطيالسي (١٥٩ ـ ١٦٠) ومسند أبي يعلى (٣ : ١٤٠ ـ ١٤٢) والمعجم الكبير (٣ : ٣٢٣ ـ ٣٢٨ من طرق) والإيمان لابن مندة (٢ : ٣٧٥ـ٣٧٧) وانظر : الدر المنثور ـ عند آية الحج ـ والفتح الكبير (١ : ٣٢٥ـ٣٢٦).

(٢) سورة الأنفال (٧٢).

المشركين وهم قادرون على الهجرة ، وليسوا متمكنين من إقامة الدين ، فجعلهم ظالمي أنفسهم ، مرتكبين حراماً ، وهذا مما أجمع عليه العلماء .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[1].

وقد هاجر الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة ؛ يريدون وجه الله تعالى ، فوقع أجرهم على الله عز وجل ، ولم تكن هجرتهم لدينا ، أو مصلحة ، ولا يَرِدُ على هذا قصةُ مهاجر أُمِّ قيس .

فعن خبّاب بن الأَرَت رضي الله عنه قال : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نريد وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن عمير ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

٣ـ نسخ فرض الهجرة بعد الفتح وبقي الندب :

لقد استمرت الهجرة فرضَ عَيْنٍ على كل مسلم ، يلزمه أن يهاجر إلى المدينة ، حتى فُتحت مكة ، وبفتحها نُسخ الفرضُ ، وبقي الندبُ والاستحباب .

---

(١) سورة النساء (٩٧ ـ ٩٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب في كفن الميت ، رقم (٤٤).

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الفتح : «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استُنْفِرتُم فانفروا»[1]. متفق عليه[1].

وذلك لأن مكةَ صارت بلدَ إسلام ، وأَمِن الناس من الفتنة ، وانتشر الإسلام ، والمؤمن يعبد ربه تعالى حيث يشاء .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدُهم بدِينه إلى الله تعالى ؛ وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم مخافةَ أن يُفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلامَ ، فالمؤمن يعبد ربَّه حيث شاء ، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ . رواه البخاري ، ورواه مسلم بنحوه أيضاً[2].

وبفتح مكة : نُسخ الوجوب ، وبقي الندب والاستحباب ، ولكن تبقى ما دام قتال للكفار .

لكن قد ثبت عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم قوله : «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة».

وفي لفظ «لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو» حيث ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد والسير ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام ، رقم (٨٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب وقال الليث ، وكتاب مناقب الأنصار : الباب السابق . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٦).

(٣) مسند أحمد (١ : ١٩٢) (٤ : ٩٩) (٥ : ٢٧٠) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب الهجرة هل انقطعت ، رقم (٢٤٧٩) وسنن النسائي : كتاب البيعة : باب الاختلاف في =

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى[1] في جمعه بين هذه الأحاديث الشريفة : إن الهجرة كانت مندوبةً في أول الإسلام غير مفروضة ، وذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[2].

فلما هاجر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة ؛ أمروا بالهجرة إليها ، والانتقال إلى حضرته صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ ليكونوا معه ، ويتظاهروا إن حَزَبَهم أَمْرٌ ، وليتعلموا منه صلى الله عليه وآله وسلَّم أمر دينهم ، وقطع الله تعالى الولايةَ بين من هاجر من المسلمين وبين من لم يهاجر حتى يهاجر ، كما قال الله جل وعز : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾[3].

فلما فتحت مكة ؛ عاد أمر الهجرة منها إلى الندب والاستحباب ، فهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا هجرة بعد الفتح».

وقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى : هما هجرتان ، فالمنقطعة منهما هي الفرض ، والباقية هي الندب.اهـ.

وبنحوه قال أيضاً القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله تعالى[4] بعد تقسيمه

= انقطاع الهجرة (٧ : ١٤٦) وسنن الدارمي (٢ : ١٥٧) وتحفة الأشراف (٨ : ٤٥٤) والبحر الزخار (٣ : ٢٦٣) والمعجم الأوسط (١ : ١٦٩) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٤) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٥٠ ـ ٢٥١).

(١) شرح السنة (١٠ : ٣٧٢ـ٣٧٣). وانظر : معالم السنن (٣ : ٣٥٢) وفتح الباري (٦ : ٣٨).

(٢) سورة النساء (١٠٠).

(٣) سورة الأنفال (٧٢).

(٤) انظر أحكام القرآن (١ : ٤٨٤ ـ ٤٨٦) وعارضة الأحوذي (٧ : ٨٨) وفتح الباري (٦ : =

الهجرة إلى ستة أقسام ، وزاد : أن الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية مفروضة إلى يوم القيامة ، والتي انقطعت بالفتح هي : القصد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...

وخلاصة الأمر : أن الهجرةَ الواجبةَ التي انتهت ؛ هي ما كانت من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة ، وكذا من غير مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة ، وأما الهجرة الباقية ؛ فهي ما كانت من ديار الكفر إلى بلاد الإسلام ، لمن لا يقدر على إقامة شعائر دينه ، ويقوى على الخروج ، والله تعالى أعلم .

٤ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم بإمضاء الهجرة للمهاجرين رضي الله عنهم :

لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يدعو لأصحابه المهاجرين رضي الله عنهم أن يمضي الله عز وجل لهم هجرتَهم ، ولا يردهم على أعقابهم ، فلا يعودوا إلى البلاد التي هاجروا منها .

وقد استمر دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم حتى آخر حياته .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : عادني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في حجة الوداع ـ من وجع أشفيت منه على الموت ،... الحديث بطوله ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم أَمْض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردَّهم على أعقابهم ، لكن البائسَ سعدُ بن خولةَ». قال : رثى له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من أن تُوفي في مكة . متفق عليه[1].

= ٣٨) (٧ : ٢٢٩).

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب رثاء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم سعد بن =

ومن حرص النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على إمضاء الهجرة للمهاجرين رضي الله عنهم ؛ أنه لم يأذن لهم البقاءَ في مكة إذا قدموها أكثرَ من ثلاثة أيام ، ولهذا رثى صلى الله عليه وآله وسلَّم لسعد بن خولة رضي الله عنه أن مات بمكة .

فعن العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «يُقيم المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً».

زاد في رواية : «كأنه يقول : لا يزيد عليها». متفق عليه[1].

ومن هذا يتضح فضل المدينة ، حيث إن المهاجرين رضي الله تعالى عنهم ـ الذين قدموها قبل الفتح ـ قد فرض عليهم سكناها ، ولم يجز لهم العودة منها إلى مكة بعد الفتح لاستيطانها والإقامة فيها ، لذا صار سكان المدينة من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم جميعاً ، والله تعالى أعلم .

٥ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم :

ومما يُعد في فضائل هذه المدينة المباركة الطَّيِّبة : أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم آخى بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فيها ، بعد وصوله صلى الله عليه وآله وسلَّم والمهاجرين رضي الله عنهم إليها ، وقد حلَّت هذه الأخوة محل رابطة الدم والنسب ،... فصار التوارث يقع فيها ، حتى نزل قوله عز وجل : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ

= خولة . وصحيح مسلم : كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث ، رقم (٥).

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب جواز الإقامة بمكة للمهاجر منها بعد فراغ الحج والعمرة ثلاثة أيام بلا زيادة ، رقم (٤٤١ ـ ٤٤٤).

﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾[1].

لكن اختلف الفقهاء : هل بقي حكمُ هذه الآية ، أم نُسخ ؟ على قولين :

الأول : ذهب الجمهور ـ بما فيهم مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى إلى أنها نسخت بقوله جل شأنه : ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[2].

الثاني : ذهب الحنفية رحمهم الله تعالى إلى أنها غيرُ منسوخة ، وأن الميراث بالمعاقدة لم ينفسخ عند فَقْد الأقْرَبين والمَوْلى ، وقد ذكرتُ في الأصل النصوصَ الدالَّةَ على النسخ ، فانظرها فيه إن شئتَ .

وقد جاءت النصوص في المؤاخاة على ضربين ؛ عام وخاص .

فمن العام : فإني أقتصر على نص واحد :

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بين قريش والأنصار ؛ في داره التي بالمدينة . متفق عليه[3].

أي حالف وآخى بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم في داره التي في المدينة ـ لأنه عندما تكلم بذلك كان في البصرة ـ وهي دار أبي طلحة زوج أُمه رضي الله عنهما ، وكان ذلك في أول الهجرة .

---

(١) سورة النساء (٣٣).

(٢) سورة الأنفال (٧٥) وسورة الأحزاب (٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما ذَكر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وحضَّ على اتفاق أهل العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بين أصحابه رضي الله عنهم ، رقم (٢٠٤ ، ٢٠٥).

وقد ذكرتُ ـ في الأصل ـ الجمعَ بين هذا الحديث الشريف وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا حلفَ في الإسلام ، وأيما حلفٍ كان في الجاهلية ؛ لم يزده الإسلام إلا شدَّةً». كما ورد في حديث جُبَير بن مُطعِم وابن عباس وأم سلمة وابن عَمرو ،... وغيرهم رضي الله عنهم ، عند مسلم وغيره .

ومن الخاص :

فالنصوص فيه كثيرة ، لكني أقتصر على ذكر بعضها .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم آخى بين أبي عُبيدة بنِ الجراح وبين أبي طلحة . رواه مسلم[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : لما قدمنا المدينةَ آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيني وبين سعد بن الربيع ، فقال سعدُ بنُ الربيع : إني أكثرُ الأنصار مالاً ، فأَقسم لك نصفَ مالي وانظر أيَّ زوجتَيَّ هَوِيتَ نزلتُ لك عنها ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري[2].

ورواه أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه .

وعن أبي جُحَيفةَ رضي الله عنه قال : آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمانُ أبا الدرداء ، فرأى أمَّ الدرداء مُتبذِّلةً ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ؛ ليس له حاجة في

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٠٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾. وروى مسلم من الحديث : قصةَ زواجه : كتاب النكاح : باب الصداق ، رقم (٧٩ ـ ٨٣).

الدنيا ،... الحديث بطوله . رواه البخاري(١).

وقد ذكرتُ من عُرف من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ؛ الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بينهم ، كما ذكرت تاريخ هذه المؤاخاة ، في الأصل ، فانظره إن شئتَ .

والمؤاخاة بين الصحابة رضي الله عنهم وقعت مرتين ، مرةً في مكة بين المهاجرين أنفسهم ، ومرةً في المدينة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم جميعاً .

وقد أنكر بعضُ العلماء رحمه الله تعالى المؤاخاةَ بين المهاجرين فيما بينهم في مكة ، وقد ذكرت الردَّ عليه ـ في الأصل ـ بما ثبت في صحيح البخاري وغيره من كتب الأصول ، وأن المؤاخاة قد حصلت ، فانظر الأصلَ إن شئت ، والله تعالى الموفق والمعين .

٦ـ الحكمةُ من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم :

قال الإمام السهيلي رحمه الله تعالى(٢): آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بين أصحابه حين نزلوا المدينةَ ، ليُذهب عنهم وحشةَ الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشدَّ أزرَ بعضهم ببعض ، فلما عزَّ الإسلامُ ، واجتمع الشملُ ، وذهبت الوحشةُ ؛ أنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أعني في المواريث ، ثم جعل المؤمنين كلَّهم أخوةً فقال : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ يعني في التوادِّ وشمول

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع . وفي غيرهما .
(٢) الروض الأُنف (٢ : ٢٥٢).

الدعوة.اهـ.

فالآيةُ الأولى : مبطِلةٌ للمواريث بتلك المؤاخاة ، والآيةُ الثانيةُ : مثبتةٌ الأخوةَ الإيمانيةَ بينهم ، والله تعالى أعلم .

٧ـ سكان المدينة في آخر عهد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

وبانتقال المهاجرين رضي الله عنهم إلى المدينة ، وانضمامهم إلى إخوانهم من الأنصار رضي الله عنهم ، إضافةً إلى من سكنها من غيرهما ؛ فقد صار سكان المدينة في آخر عهد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أربعةَ أقسام ، هم : الأنصار ؛ وهم أهلها الأصليون ، والمهاجرون ؛ وهم أهل مكة الذين أسلموا قبل فتحها ، وأغلبهم من قريش ، ثم الذين قدموها من مكة بعد فتحها ؛ وهم مسلمة الفتح ، ثم من سكنها ممن هم من جوار المدينة ، وأغلبهم من البادية ، أو من غيرهم ، كمن كان من اليمن أو من جنوب الطائف ، وغيرهم .

ولهذا خاطبهم الله تعالى معاتباً لهم عندما تلكأ بعضهم عن غزوة تبوك بقوله جل شأنه : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ... ﴾[1] .

فقد نسبهم جل شأنه إليها ؛ وفيه دلالة على شمولها لغير المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة التوبة (١٢٠).

المبحث الثاني
الحث على المجاورة فيها

لقد حث الله سبحانه وتعالى ونبيُّه المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بعد وصوله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى هذه البلدة المباركة ـ على المجاورة والسكنى فيها ، لأنها صارت عاصمةَ الإسلام ، ولينال الساكن شرف المجاورة والخيرية ، كما حث صلى الله عليه وآله وسلَّم على الموت فيها ، لينال الميِّتُ فيها شفاعتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولكي ينال الفوائد الكبيرة أيضاً .

١ ـ الترغيب في المجاورة فيها :

لقد حث النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم على المجاورة في المدينة ، وأنها خيرٌ للمجاور فيها من غيرها من المدن ، ولما يمتاز ساكنها من مزايا وفضائل لا توجد في غيرها ، وما يلاقيه فيها من مكرمات لا توجد في غيرها من المدن ، ويكفيه أن له شفاعةَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وشهادتَه ، إن صبر على لأوائها ، وأن له شفاعةَ النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم وشهادتَه إن مات فيها ، وأنه أولُ من يُبعث ، وأولُ من يُحشر مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وقد كثرت النصوص عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيان فضل ساكن المدينة ، وما له من ميزات ، يأتي ذكرُ بعض منها ، إن شاء الله تعالى .

٢ـ عدم الانتقال منها :

لقد حذَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من ترك المدينة ، واختيار غيرها عليها ، وأن الذي يفعل ذلك لا علمَ عنده .

فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «يُفتح اليمن فيأتي قوم يَبسُّون ، فيتحملون بأهليهم ومَنْ أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يُفتح الشام فيأتي قوم يَبسُّون ، فيتحملون بأهليهم ومَنْ أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يُفتح العراق فيأتي قوم يَبسُّون ، فيتحملون بأهليهم ومَنْ أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». متفق عليه[١].

ففي هذا الحديث : عَلَم من أعلام النبوة ، فقد وقع الفتح على وفق ما أَخبر به النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقد فُتحت اليمن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتَمَّ الفتح في زمن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : الصِّدِّيق رضي الله عنه ، ثم فتحت الشام بعدها ، والعراق بعدها ، وهكذا .

وفي هذا الحديث عَلَم آخر من أعلام النبوة ؛ حيث بسطت الدنيا بسعتها ورخائها ، فرغب الناس في سكنى الشام والعراق ، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم .

كما في هذا الحديث : دلالةٌ على تفضيل المدينة على غيرها ، وأن بعضَ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من رغب عن المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ، رقم (٤٩٦ ـ ٤٩٧).

البقاع أفضلُ من بعض ، والله تعالى أعلم .

ومعنى قوله : «يَبِسُّون» أي : يُسرعون السيرَ إلى تلك البلاد للرخاء وسعة الرزق ؛ الموجود في تلك البلاد ، أو لسرعة خروجهم من المدينة إلى تلك البلاد ، فيزَيِّنون لهم الخروجَ إليها ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «يأتي على الناس زمانٌ يدعو الرجل ابنَ عمه وقريبَه : هَلُمَّ إلى الرخاء ، هَلُمَّ إلى الرخاء ، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون ،...». رواه مسلم[1].

وورد نحوُ هذا المعنى عن عدد من الصحابة ؛ كسعد بن أبي وقاص وجابر وأبي أيوب وزيد بن ثابت وأبي أسيد الساعدي ،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم .

٣ـ من خرج منها رغبة عنها أبدلها الله خيراً منه :

فمن آثر عليها غيرَها ، وخرج منها رغبةً عنها ، فإن الله عز وجل سيعوضها خيراً منه . وهذا تشنيع شديد على المفارق والخارج منها رغبة عنها ، ويُخشى أن يكون من الخبث المنفي ، والعياذ بالله تعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «...والذي نفسي بيده ؛ لا يَخرجُ منهم أحدٌ رغبةً عنها إلا أخلفَ الله فيها خيراً منه ، ألا إن المدينة كالكير ؛ تُخْرِج الخبث ،...». الحديث ، رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٧).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٨٧). لأنه جزء منه .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعُها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدلَ الله فيها مَنْ هو خير منه ،...». رواه مسلم(1).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا يخرج رجل من المدينة رغبةً عنها ؛ إلا أبدلها الله به خيراً منه ، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون». رواه الحاكم وصححه ، والبزار برجال الصحيح(2).

وورد نحو هذا الحديث عن غيرهم رضي الله عنهم .

والمراد بهذه الأحاديث وغيرها ـ والله تعالى أعلم ـ الخارجون عنها رغبةً عنها ، كارهين سكناها ، مُؤْثِرين غيرها عليها . أما من خرج منها لحاجة ، أو تجارة ، أو جهاد ، أو علم ، أو نحو ذلك ؛ فليس بداخل في هذا الوعيد .

وعلى هذا يحمل خروجُ العدد الكبير من الصحابة رضي الله عنهم للجهاد والمرابطة ونشر العلم ، وإقامة حكم الإسلام ، والدعوة إلى الله تعالى ،... والله تعالى أعلم .

والإبدال : يكون بأحد أمرين : إما أن يولد فيها مولود ، وإما أن يفد إليها مَنْ هو خير منه من غيرها ، ويستوطنها ، والله تعالى أعلم .

وهذا عام في زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم وبعده في الأصح ، كما قاله القاضي عياض والنوويُّ والأُبِّيُّ وغيرُهم رحمهم الله تعالى ، بدلالة

---

(1) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٥٩).

(2) المستدرك (٤ : ٤٥٤) وكشف الأستار (٢ : ٥٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٠) وانظر : كنز العمال (١٢ : رقم ٣٤٩٠٩ ، ٣٤٩١١).

قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «يأتي على الناس زمانٌ يدعو الرجلُ ابنَ عمِّه وقريبَه هَلُمَّ إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه». كما رواه مسلم . وقد مر ذكره مجزأ .

ثم فَتْحُ الشام والعراق وعامة اليمن : إنما كان بعد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث فُتحت في زمن الصديق ، وأُكمل الفتحُ في زمن الفاروق رضي الله عنهما ، والله تعالى أعلم .

٤ـ شفاعته صلى الله عليه وآله وسلَّم لمن صبر على لأوائها :

لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن : من يصبر على شدة المدينة ، وضيق العيش فيها ، وشظف الحياة ،... فإنه يُكرم بشفاعته وشهادته صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة ، لذا لا ينبغي الخروج منها ؛ رغبة عنها إلى غيرها من البلدان الأكثر رفاهية وهناءة وخصباً ، لأن من يخرج منها بهذه الحال ؛ فهو خَبَثٌ ، وسَتُعوض المدينة بمن هو خير منه . والحديث في ذلك متواتر .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، لما جاءته مولاته تستأذنه في الخروج ، قال : اقعدي لكاع ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «لا يَصبرُ على لأْوائِها وشِدَّتِها أحدٌ ؛ إلا كنت له شهيداً ، أو شفيعاً يوم القيامة». رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، والصبر على لأوائها ، رقم (٤٨١ ـ ٤٨٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ لما جاءه أبو سعيد مولى المَهْري يستأذنه ليالي الحرة في الجلاء عن المدينة ـ قال له : ...ويحك لا آمرُك بذلك ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «لا يصبرُ أحدٌ على لأْوائِها فيموتُ ؛ إلا كنت له شفيعاً ، أو شهيداً يوم القيامة ، إذا كان مسلماً». رواه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «لا يصبرُ على لأْواءِ المدينة وشدَّتِها أحدٌ من أُمتي ؛ إلا كنتُ له شفيعاً يوم القيامة ، أو شهيداً». رواه مسلم(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدل الله فيها مَنْ هو خيرٌ منه ، ولا يثبتُ أحدٌ على لأْوائِها وجَهْدِها إلا كنتُ له شفيعاً ، أو شهيداً يوم القيامة». رواه مسلم(٣).

وقد ورد نحوُ هذا الحديث ؛ عن غيرهم من الصحابة ؛ كعُمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وأبي أيوب ، وأبي أسيد الساعدي ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وأسماء ابنت عُميس ،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أيضاً .

و (أو) هنا ليست للشك ، بل للتنويع ، أو للتقسيم ، فيكون شهيداً

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٧).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٨٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٥٩).

لبعض أهل المدينة ، وشفيعاً لبقيتهم ،... أو شفيعاً للعاصين ، وشهيداً للمطيعين ، أو شهيداً لمن مات في حياته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وشفيعاً لمن مات بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... أو غير ذلك ، إذ يبعد اتفاقُ هذا العدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتطابُقُهم على صيغة واحدة ، والله تعالى أعلم .

وهذه من خصائص المدينة أيضاً ، زائدة على الشفاعة للمذنبين ، أو للعالَمين يوم القيامة ، وعلى شهادته على جميع الأمة . فلهم بها زيادة منزلة وحظوة من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

٥ـ المدينة تنفي الذنوب :

وكما أن المدينةَ الطَّيِّبَةَ المنورةَ تنفي الخبث والرجال والأشرار ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ فإنها تنفي الذنوب أيضاً عن ساكنيها . وهذه مزيَّةٌ كبيرةٌ وجليلةٌ أيضاً .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة أُحُدٍ ؛ رجع ناسٌ ممن خرج معه ، وكان أصحابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فرقتين : فرقةٌ تقول : نقاتلهم وفرقة تقول : لا نقاتلهم ، فنزلت : ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ وقال : «إنها طَيْبَةُ تَنفي الذنوب ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الفضة». رواه البخاري[1].

ولما كان للمدينة لأواءٌ وشدةٌ ، فإنها تمحِّصُ النفوس ، وتضيِّقُ على

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة أحد ، وأصل الحديث متفق عليه ، كما سيأتي لفظه ، لكن بلفظ «تنفي الرجال». وهي رواية أخرى . فتنبه .

العصاة ، فيكونون على حالين :

ـ إن صبروا على شدتها ولأوائها ، نفت عنهم الذنوبَ ، فتابوا ، فغفر الله جل شأنه لهم ، ونفاها عنهم ، ويؤيد ذلك حديثُ أبي قتادة رضي الله عنه التالي «تنفي خبثَ أهلها».

ـ وإن لم يصبروا ؛ نفتهم عنها . فيكون معنى الحديث (تنفي أهلَ الذنوب) حسب ما يراه الحافظ رحمه الله تعالى .

والذي حملني على القول بالمعنى الأول : الأحاديثُ التي وردت في شفاعته وشهادته صلى الله عليه وآله وسلَّم للصابر على لأواء المدينة ، وشدتها ، فيكون : هذا الصبرُ على لأوائها وشدتها : تمحيصُ الذنوب عن الساكن إن صبر . وإلا طردته ، لأنه من الخبث ، والعياذ بالله تعالى ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : لما أقبلنا من غزوة تبوك ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «هذه طَيْبَةُ ، أَسكَنَنيها ربي ، تنفي خبثَ أهلها ؛ كما ينفي الكير خبثَ الحديد». رواه ابن شبة بإسناد ضعيف ، وشاهده ما سبق ، فهو به حسن لغيره[1]، والله تعالى أعلم .

وذلك إما أنها تنفي الذنوب عن العصاة ؛ بعد تمحيصهم والتشديد عليهم ليتوبوا ، أو بالشفاعة لهم فيُغفر لهم ، وإلا طُردوا ؛ إما لأنهم من ذوي الخبث الكامل ، أو لأنهم لم يصبروا على لأوائها وشدتها ، والله تعالى أعلم .

٦ـ الحث على الموت فيها :

وكما حث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم على المجاورة في

---

(١) تاريخ المدينة (١ : ١٦٣).

المدينة المنورة ، وعلى عدم الانتقال منها رغبةً عنها إلى غيرها ، وشنَّع على الذين يخرجون منها رغبةً عنها ؛ كذلك فإنه صلى الله عليه وآله وسلَّم حثّ على الموت فيها ، وبيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم فضل من مات فيها ، ومن ذلك شفاعته صلى الله عليه وآله وسلَّم له .

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من استطاع أن يموتَ بالمدينة ؛ فليمتْ بها ، فإني أَشفعُ لمن يموت بها». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه الترمذي وابن حبان وعبد الحق الإشبيلي ، ورواه آخرون[1].

وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

٧ـ شفاعته وشهادته صلوات الله عليه وآله وسلَّم لمن مات بالمدينة :

لما حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على الموت بالمدينة ، أخبر أنه من مات بها فإنه صلى الله عليه وآله وسلَّم يشفع له ويشهد يوم القيامة ، وهذه منقبة كبيرة لساكن المدينة أيضاً .

وقد ورد مثل هذا من حديث الصُّمَيْتَة وسُبَيْعَة الأسلمية والدَّاريّة وامرأة يتيمة كانت عند النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وغيرهن رضي الله عنهن .

فعن الصُّميتة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٧٤ ، ١٠٤) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩١٧) والسنن الكبرى (١ : ٦٠٣) (٢ : ٤٨٨) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب فضل المدينة ، رقم (٣١١٢) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٧) وشعب الإيمان (٨ : ١١٥ ـ ١١٧) وشرح السنة (٧ : ٣٢٤) والأحكام الوسطى (٢ : ٣٤١) وتحفة الأشراف (٦ : ٧٥).

وآله وسلَّم يقول : «من استطاع منكم ألا يموت إلا بالمدينة فليمت بها ، فإنه من يمت بها نشفع له ونشهد له». رواه النسائي في الكبرى ، وابن حبان والطبراني في الكبير وابن جُميع والبيهقي[1].

وعن سبيعة الأسلمية رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة ؛ فليمت ، فإنه لا يموتُ بها أحدٌ إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة». رواه الطبراني وأبو نعيم وابن أبي عاصم والبيهقي[2] وهو حسن .

ورواه الطبراني وابن أبي عاصم وأبو نعيم[3] أيضاً ؛ من حديث الدَّارِيَّة ، واليتيمة رضي الله عنهما برجال ثقات ، ويقال : هما الصُّمَيْتَة .

و (أو) هنا ليست للشك ، فهي للتنويع والتقسيم ، والله تعالى أعلم .

ويكون المعنى : يكون صلى الله عليه وآله وسلَّم شفيعاً للعاصين ، وشهيداً للمطيعين ، أو شهيداً لمن مات في حياته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وشفيعاً لمن مات بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم . وعلى كل حال فهذا خاص

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٢ : ٤٨٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٨) والمعجم الكبير (٢٤ : ٣٣١) والآحاد والمثاني (٦ : ١٥٤) ومعرفة الصحابة (٦ : ٣٣٨١ ـ ٣٣٨٢) وشعب الإيمان (٨ : ١١٢ ، ١١٣) وموارد الظمآن ، رقم (١٠٣٢) ومعجم الشيوخ (٣٥٣) وتحفة الأشراف (١١ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٦) وكنز العمال (١٢ : ٢٥٤).

(٢) المعجم الكبير (٢٤ : ٢٩٤) وشعب الإيمان (٨ : ١١٤ ـ ١١٥) ومعرفة الصحابة (٦ : ٣٣٤٩ ـ ٣٣٥٠) وأخبار أصبهان (٢ : ١٠٣) والآحاد والمثاني (٦ : ٦٥) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٦) وكنز العمال (١٢ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤) والمطالب العالية (١ : ٣٧٠).

(٣) المعجم الكبير (٢٤ : ٣٣٢) (٢٥ : ١٨٦) والآحاد والمثاني (٦ : ١٧ ، ٣٢) ومعرفة الصحابة (٦ : ٣٥٨٧) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٦).

بأهل المدينة ، والله تعالى أعلم .

ففي هذه الأحاديث الشريفة والتي قبلها من الأمور ما يلي :

ـ بشرى لساكن المدينة ، وللمتوفى بها .

ـ الحث على الإقامة بالمدينة ، حتى يدركه الموت ، لينال الشفاعةَ والشهادةَ .

ـ الحث على الموت بها .

ـ للشفاعة أسباب عدة من الطاعة ، من جملتها : سكنى المدينة ، ومجاورة تلك الذات الشريفة الكريمة .

ـ هذه الشفاعة خاصة لأهل المدينة ، ومن يموت بها ، وهي غير الشفاعة العامة ؛ التي تكون للعصاة من هذه الأمة ، وهي زيادة في الكرامة والفضل ، والله تعالى أعلم .

٨ـ مَنْ مات فيها بُعث يوم القيامة من الآمنين :

وزيادة في الفضل : أن من مات في هذه المدينة ؛ بُعث يوم القيامة من الآمنين بإذن الله تعالى ، وكيف لايكون كذلك وهو مشفوع به ، أو مشهود له ، ثم هو يحشر مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من مات في أحد الحرمين : بُعث آمناً يوم القيامة». رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وحسنه الهيثمي ، ورواه ابن سعد وأبو الشيخ والبيهقي ، وله شواهد كثيرة ، هو بها حسن[1].

---

(١) المعجم الأوسط (٦ : ٨٩) والروض الداني (٢ : ٨٥ ـ ٨٦) ومجمع البحرين (٢ : ٣٧٤) ومجمع الزوائد (٢ : ٣١٩) ومسند الطيالسي (١٢ ـ ١٣) ومنحة المعبود (١ : ٢٢٨) وشعب =

٩ـ من دُفن فيها عُلم أن تربته منها :

ومن مات بالمدينة ودفن بها ؛ عُلم أن تربته ـ التي خُلق منها ـ هي منها ، وهذه منقبة جليلة أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بجنازةٍ عند قبرٍ فقال : «قبر مَنْ هذا ؟» فقالوا : فلانٌ الحَبَشي يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، سِيق من أرضه وسمائه إلى تربته التي منها خُلق». رواه البزار ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وقال : له شواهد صحيحة[1].

وقد ورد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أيضاً .

١٠ـ كثرة زيارته ودعائه صلى الله عليه وآله وسلَّم لأهل البقيع :

لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يكثر من زيارة البقيع ، إذ قل أسبوع إلا ويأتيهم ، ويستغفر لهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله عز وجل أمره أن يأتيَهم ويستغفرَ لهم . وهذه مزية ومنقبة ؛ لمن يدفن في البقيع خاصة ، والله تعالى أعلم .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كلما كان ليلتُها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،

= الإيمان (٨ : ٩٠ ـ ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ـ ٩٦ ، ١١١ ـ ١١٢) وأخبار مكة (٣ : ٦٨ ـ ٦٩) وجامع الأحاديث (٦ : ٦١١ ، ٦١٣) وكنز العمال (١٢ : ٢٧١ ـ ٢٧٣) والترغيب والترهيب (٣ : ٦٠) وكشف الخفاء (٢ : ٢٨٠). وانظر الأصل (١ : ٣٠٥).

(١) المستدرك (١ : ٣٦٧) وكشف الأستار (١ : ٣٩٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٤٢) وانظر الأصل (١ : ١٧٩ ـ ١٨٠) وقد سبق ذكره في الباب الأول .

يخرج من آخر الليل إلى البقيع ؛ فيقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، غداً مؤجَّلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». رواه مسلم[1].

وإذا علمنا أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم كان يقسم للسيدة عائشة رضي الله عنها ليلتَها وليلةَ السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها ، علمنا كثرةَ التكرار ، إضافة إلى أن قولها : (كلما كان ليلتها ... يخرج) يدل على تكرار ذلك واستمراره ، لأن فعل المضارع يقتضي التجدد والاستمرار والتكرار ، والله تعالى أعلم .

وفي حديثها الطويل في زيارة البقيع ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : فقال [جبريل عليه السلام]: «إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم».

قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : «قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقْدِمين منا والمستأخِرين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون». رواه مسلم[2].

وفي رواية ثالثة عنها رضي الله عنها ، قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذات ليلة ، فلبس ثيابه ،... الحديث ، وفي آخره ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني بُعثت إلى أهل البقيع لأصلي عليهم». رواه مالك والنسائي وابن شبة وأحمد وإسحٰق وابن سعد ، وصححه ابن حبان والحاكم ،

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب ما يقال عند دخول المقابر ، والدعاء لأهلها ، رقم (١٠٢).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٣).

وأقره الذهبي[1]، والله تعالى أعلم .

ففي هذه الأحاديث الشريفة منقبة أخرى للمدينة وأهلها ، حيث إن الله سبحانه وتعالى أمر رسولَه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يدعو لأهل البقيع ، ويستغفر لهم .

أسأل الله تعالى أن يرزقني ومن نحب حسنَ الختام ، من غير ابتلاء ولا محنة ، وأن يجعل مثوانا في هذه البقعة المباركة الكريمة ، والحشرَ منها ، مع أهلها ، إنه جواد كريم ، وبالمؤمنين رؤوف رحيم .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

إِلهي نَجِّني مِنْ كُلِّ ضِيق ... فَأَنْتَ إِلهُنا مَوْلى الجَمِيعِ
وَهَبْ لِي في المدينةِ مُسْتَقَرّاً ... وَرِزْقاً ثم دَفْناً في البقيعِ

اللهم آمين يا أرحم الراحمين .

☆☆☆☆☆

(١) الموطأ : كتاب الجنائز : باب جامع الجنائز ، رقم (٥٥) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين (٤ : ٩٣) والسنن الكبرى له (١ : ٦٥٦ رقم ٢١٦٥) ومسند أحمد (٦ : ٩٢) ومسند إسحٰق (٢ : ٤٥٦ ـ ٤٥٧) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٠٣) وتاريخ المدينة (١ : ٨٩ ـ ٩٠ ، ٩١) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦٣) والمستدرك (١ : ٤٨٨).

المبحث الثالث
منزلة أهل المدينة

ما ذخر الله تعالى لأهل المدينة :

لما رفضت قريشٌ الإسلامَ ، وقامت بتعذيب المسلمين ، وإيذاء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وطال الزمن ؛ عرض النبي الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم نفسَه على القبائل ، كي يؤوه ، وينصروه حتى يبلغ رسالةَ ربه تعالى ، فلم يستجب له أحد من القبائل ، حتى كان الأنصار المستجيبين ، لما ذخر الله سبحانه وتعالى لهم من الفضائل والمنزلة ، والفوز بفخري الدنيا والآخرة .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يعرض نفسَه على الناس بالموقف .

وفي لفظ : مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمكة عشرَ سنين ؛ يَتَّبَّعُ الناسَ في منازلهم في عكاظ ومَجَنَّة ، وفي المواسم بمنى يقول : «من يُؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي ، وله الجنة».

وفي رواية : «هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل ،...». الحديث ، وفي آخره : حتى بَعَثَنا الله له من يثرب ، فآويناه وصدقناه ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة وأصحاب السنن الأربعة والبزار والبيهقي في آخرين ، بإسناد صحيح ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1].

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ٣٩٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : =

وذلك لأن الله تعالى خص هذا الفضل بالأنصار رضي الله عنهم ، دون غيرهم ، كما يوضحه الحديث التالي :

فعن جابر رضي الله عنه ، أن الطفيلَ بن عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ رضي الله عنه أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : يارسول الله ؛ هل لك في حِصْن حصين ومَنَعَةٍ ، فأبى ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم للذي ذَخَر الله للأنصار . الحديث . رواه مسلم[1].

لذا بَيَّن رسولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم منزلةَ أهل المدينة المنورة ، ورفعها عالية بقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما مر في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ يوم فتح مكة : «...إني عبد الله ورسوله ، هاجرتُ إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم ، والمات مماتكم ،...». الحديث . رواه مسلم .

اختصاصهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم دون الناس :

لقد سعد أهلُ المدينة من الأنصار رضي الله عنهم بالذات ـ ثم مَن

= ٣١٠) وسنن الدارمي (٢ : ٣١٧) وخلق أفعال العباد (٤٠ ، ٦٠) مختصراً ، وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في القرآن ، رقم (٤٧٤٣) وسنن الترمذي : كتاب فضائل القرآن : باب (٢٤) رقم (٢٩٢٥) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب النعوت : باب كلمات الله سبحانه وتعالى (رقم ٧٧٢٧) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب في الجهمية ، رقم (٢٠١) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٧٢ ـ ١٧٤) (١٥ : ٤٧٤ ـ ٤٧٦) والمستدرك (٢ : ٦١٢ ـ ٦١٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٨٤ ـ ٣٨٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٩) ودلائل النبوة له (٤١٢ ـ ٤١٣ ، ٤٤٢ ـ ٤٤٣) وشعب الإيمان (١ : ١٨٨ ـ ١٨٩) والأسماء والصفات (١٨٧) وفتح الباري (٧ : ٢٢٠ ، ٢٢٢ ـ ٢٢٣) وانظر : فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم (٣٢٥ ـ ٣٢٦).

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ، رقم (١٨٤).

ساكنهم ـ عندما علموا اختصاصهم برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، فكان نصيبَهم ، بينما رجع كثير من الناس بالدنيا .

وهذا ما أوضحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم حنين .

فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ـ في قصة تقسيم الغنائم يوم حنين ـ قال لهم صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاءِ والإبل ، وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟...». الحديث . متفق عليه .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ في قصة توزيع الغنائم ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أما ترضون أن يرجع الناسُ بالدنيا ؛ وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيوتكم ؟...». الحديث . متفق عليه ، وقد مر ذكرهما من قبل .

وفي رواية عندهما : «...وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم تحوزونه إلى بيوتكم ؟».

وفي رواية عندهما : «...وترجعون إلى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ فوالله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به». فقالوا : بلى يا رسول الله قد رضينا .

ويلاحظ قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «تَحوزونه» إذ كل من ضم شيئاً إلى نفسه فقد حازه .

كما يلاحظ قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «فوالله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به» فالذي يحوزه أهلُ المدينة : هو فخرُ الكائنات ، وسيد الخلق ،...

صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بخلاف ما يحوزه غيرهم ، وهو الدنيا بما فيها ، لذا نبههم صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى عظيم ما اختصوا به بالنسبة لما حصل عليه غيرهم ؛ من عَرَضِ الدنيا الفانية ، والله تعالى أعلم .

أداء أهلها الذي عليهم وبقاء الذي لهم :

لقد أخبر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الأنصارَ رضي الله تعالى عنهم قد أدوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم .

فعن أنس رضي الله عنه قال : ...خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد عصب على رأسه حاشية بُرْدٍ ، قال : فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أُوصيكم بالأنصار ، فإنهم كَرِشي وعَيْبَتي ، وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

هم أول من يحشر معه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما يمتاز به أهل المدينة : أنهم أول من يحشر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولا شك أنه من يحشر مع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم سينال كل خير ، لأن القومَ لا يشقى بهم جليسهم ، وهم جيرانه في الدنيا ، وفي الحشر في زمرته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإن شاء الله تعالى : يكونون في الآخرة في معيته صلى الله عليه وآله وسلَّم بإذنه تعالى .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم». وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار ، رقم (١٧٦).

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي أهلَ البقيع ؛ فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهلَ مكة ، فأُحشر بين الحرمين». رواه الترمذي وحسنه ، وعبد الله بن أحمد والقطيعي والطبراني ، وابن حبان والحاكم وصححاه ، في آخرين ، وحسنه السيوطي[1]. وأول الحديث في صحيح مسلم .

هم أول من يشفع لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما يمتاز به أهل المدينة أيضاً : أنهم أول من يشفع لهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة . ولا شك فإن هذه منقبة كبيرة جليلة أكرم الله سبحانه وتعالى أهل المدينة بها ، لما قاموا به من جلائل الأعمال والتضحيات ، فكان الجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم .

فعن عبد الملك بن عباد بن جعفر رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «أولُ مَنْ أشفع له من أمتي : أهلُ المدينة ، ثم أهلُ مكة ، ثم أهلُ الطائف». رواه البخاري في تاريخه ، وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والأوسط والبزار وابن شاهين ، وله شواهد هو بها حسن ، لذا صححه الحافظ السيوطي[2] والله تعالى أعلم .

---

(١) فضائل الصحابة (١ : ١٥٠ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٤١١) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رقم (٣٦٩٢) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٤) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٠٥) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٢٤) والمستدرك (٣ : ٦٨) (٢ : ٤٦٥ ـ ٤٦٦) وأخبار مكة للفاكهي (٣ : ٧٠ ـ ٧١ من ثلاث طرق) والكامل لابن عدي (٥ : ١٨٧٠ ، ١٨٧٢) والجامع الصغير (١ : ٤١٢ ـ ٤١٣) وتحفة الأشراف (٥ : ٤٥٧).

(٢) التاريخ الكبير (٥ : ٤٠٥ ، ٤١٤) والمعجم الأوسط (٢ : ٤٩١) والأوائل له (٧٦ رقم =

مَنْ أرادهم بسوء أذابه الله تعالى في النار :

ومن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لأهل المدينة : أنه حذَّر من الكيد لهم ، والإساءة إليهم ، لأنهم جيرانه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والجار يغار على جاره ، وعلى المسلمين مراعاة حرمة الجوار .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «لا يكيدُ أهلَ المدينةِ أحدٌ ؛ إلا انماع كما ينماع الملحُ في الماء». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وأما لفظ مسلم عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «مَنْ أراد أهلَ المدينة بسوء ، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء».

ورواه مسلم[2] أيضاً ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي لفظ[3] له أيضاً عن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «...ولا يريد أحدٌ أهلَ المدينة بسوء ؛ إلا أذابه الله في النار ذوبَ الرصاص ، أو ذوب الملح في الماء».

ورواه مسلم[4] من حديث أبي هريرة وسعد رضي الله عنهما أيضاً . كما

= ١٠٥) والأوائل لابن أبي عاصم (١١١) وكشف الأستار (٤ : ١٧٢) وأخبار مكة (٣ : ٧١ ـ ٧٢) ومجمع الزوائد (١٠ : ٥٣ ، ٣٨١) والجامع الصغير (١ : ٤٣٤) والإصابة (٤ : ٣٨٢) وأُسْد الغابة (٣ : ٤٠٦).

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب إثم من ك ـ اد أهل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله ،... رقم (٤٩٤).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩٢ ـ ٤٩٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٦٠).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء ، رقم (٤٩٥).

ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «مَنْ أراد أهل المدينة». هذا فيه دلالة على أن الهَمَّ بالسوء يُكتب على صاحبه في المدينة ، كما هو الحال في مكة ، إذ في مكة يقول الله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١). وهنا يقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : «مَنْ أراد أهل المدينة». فإذا صار عزماً وتصميماً : فإنه يُكتب ، ولو كان بعيداً عنهما ، فإنه يُكتب عليه ، والله تعالى أعلم . وقد بينت ذلك في (مكانة الحرمين الشريفين).

مَنْ أخاف أهل المدينة أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

وكيف لا يستحق من أخاف أهلَ المدينة أو ظلمهم أو آذاهم ؛... اللعنَ ، والطردَ ، والإذابةَ في النار ، وهو الذي آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأخاف ما بين جنبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأن أهل المدينة جيرانه ، ولهم منزلة خاصة عنده ، ويلزم على المسلمين مراعاة حرمته صلى الله عليه وآله وسلَّم فيهم ، لا العكس ، والله تعالى أعلم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة ـ وكان قد ذهب بَصَرُ جابر ـ فقيل لجابر : لو تنحيت عنه ، فخرج يمشي بين ابنيه فنكب ، فقال : تعس مَنْ أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال ابناه ـ أو أحدهما ـ : يا أبت ؛ وكيف أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وقد مات ؟

قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «مَنْ أخاف أهلَ المدينة فقد أخاف ما بين جنبي». رواه أحمد واللفظ له برجال الصحيح ،

---

(١) سورة الحج (٢٥).

ورواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه والطبراني والبزار وابن حبان، برجال الصحيح[1] لكن بلفظ «مَنْ أخاف الأنصار».

مَنْ أخاف أهل المدينة أخافه الله تعالى:

ومما يدخل في ذلك أيضاً: التحذير من إخافة أهل المدينة؛ بأي نوع من أنواع الخوف، لأن من أخافهم أخافه الله سبحانه وتعالى، وعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين، ولا يُقبل له عمل.

فعن السائب بن خلاّد الأنصاريِّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ أخاف أهلَ المدينةِ أخافه اللهُ عز وجل، وعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين، لا يَقبلُ الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً،...». رواه أحمد والنسائي برجال الصحيح، وأبو نعيم وابن أبي عاصم والطبراني[2].

---

(١) مسند أحمد (٣: ٣٥٤، ٣٩٣) وفضائل الصحابة له (٢: ٧٩٤ ـ ٧٩٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢: ١٨٠ ـ ١٨١) ومسند الطيالسي (٢٤٢ رقم ١٧٦٠) والتاريخ الكبير (١: ٥٣) (٤: ٣٥) (٧: ٤٠٤) (٨: ٢٨٧) والآحاد والمثاني (٣: ٣٩١ ـ ٣٩٢) (٤: ٧٠) وكشف الأستار (٣: ٣٠٤) والثقات لابن حبان (٥: ٣٦٢) والمعجم الأوسط (٢: ١٨) (٥: ٢٧٤) ومجمع البحرين (٧: ١٠، ١١) ومجمع الزوائد (٣: ٣٠٦) (١٠: ٣٧ ـ ٣٨) والترغيب والترهيب (٣: ٦٥).

(٢) مسند أحمد (٤: ٥٥، ٥٥ ـ ٥٦، ٥٦) والسنن الكبرى: كتاب الحج: باب من أخاف أهل المدينة أو أرادهم بسوء (٢: ٤٨٣) وبغية الباحث (١: ٤٦٧ ـ ٤٦٨) والمعجم الكبير (٧: ١٦٩ ـ ١٧١) من طرق، والآحاد والمثاني (٤: ١٧١) ومعرفة الصحابة (٢: ٤٦٣، ٩٦٢) وحلية الأولياء (١: ٣٧٢) والكنى للدولابي (١: ٧٢، ١٢٣) وإتحاف الخيرة المهرة (٤: ١٥٦) ومجمع الزوائد (٣: ٣٠٦ ـ ٣٠٧). وانظر: كتاب الحدائق (٢: ٢٩١).

وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

لعن مَنْ أخاف أهل المدينة وآذاهم ، وعدم قبول أعماله :

ومن مكانة أهل هذه البلدة الطَّيِّبة فقد حرَّم الله تعالى ورسولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ظلمَهم وإيذاءَهم وإخافتَهم ، وإذا كان ظلمُ المؤمن وإخافتُه وإيذاؤه حراماً ؛ فأهل المدينة من باب أولى ، لذا فإن الظالم ، والمؤذي لهم ،... يستحق اللعن من الله سبحانه وتعالى ، والعياذ بالله تعالى .

وقد مر قبل قليل حديثُ السائب بن خلاّد رضي الله عنه والذي فيه قوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم «...وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،...».

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : «اللهم مَنْ ظَلَم أهلَ المدينة ، وأخافَهم ؛ فأَخِفْه ، وعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ». رواه البخاري في تاريخه ، والطبراني في الكبير والأوسط ، والضياء برجال الصحيح[1]. ورجال البخاري ثقات .

وقد ورد هذا المعنى عن جابر وعبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) التاريخ الكبير (٣ : ١٨٦) والمعجم الأوسط (٤ : ٥٣) ومجمع البحرين (٣ : ٢٧٧) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٦) والترغيب والترهيب (٣ : ٦٥) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧). وعزاه في المعجم الكبير (٧ : ١٧٠ رقم ٦٦٣٦) للسائب بن خلاد ، وقال الحافظ أبو زرعة في علل الحديث (١ : ٢٦٧ ـ ٢٦٨) (٢ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤): رواية السائب أصح ، والله تعالى أعلم .

قد يسأل سائل لِمَ هذه العقوبات لمن آذى أو ظلم أهل المدينة ؟

لأنهم جيران النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم المقربين الملاصقين ، وجار الكريم يُكرم لكرامة جاره ، والمطلوب من جميع الأمة : مراعاة حرمته صلوات الله عليه وآله وسلَّم في جيرانه ، وعدم خفران ذمته صلى الله عليه وآله وسلَّم فيهم ، لأنهم أدوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ،... وهم الذين تبؤوا الدار والإيمان ، إضافة لما قدموه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وللمهاجرين رضي الله تعالى عنهم ، ثم لما قدموه من خدمات للإسلام والمسلمين ، وهم أكثر الأقوام شهداء ، مع صدقهم وإخلاصهم ،...إلخ.

إضافة لما ورد فيهم من ثناء ومدح ،... وبيان خاصيتهم ، ومنزلتهم في الإسلام ، خاصة فيما يتعلق بالدِّين ، حيث جعل علامة الإيمان حب الأنصار ، وعلامة النفاق بغضهم ، ولا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، وهم أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، يضاف إلى ذلك : أمرُه صلوات الله عليه وآله وسلَّم بقبول محسنهم ، والتجاوز عن مسيئهم ،...إلخ. وقد توسعت في بيان منزلتهم ومكانتهم في : (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم) فانظره .

فالمطلوب : إكرامهم ، تكريماً لهم ، واعترافاً لفضلهم ، ومكانتهم ومنزلتهم . لا الاعتداء أو الإساءة ،... ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم .

وقد جاء تسابق الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في إكرام ضيوف رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، كل حسب طاقته وقدرته ،

حتى لو شق ذلك عليهم . لأن القصدَ المطلوب : إكرامُ جيرانه وضيوفه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «مَنْ يضم ـ أو يضيف ـ هذا ؟». فقال رجل من الأنصار : أنا ، فانطَلَق به إلى امرأته فقال : **أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم** ،... الحديث .

ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم في آخر الحديث : «ضحك الله الليلة ـ أو عجب ـ مِنْ فعالكما...». الحديث . متفق عليه[1].

لا أن يهان جيرانه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأن مَنْ فعل ذلك يُخشى عليه أن يشرب من طينة الخبال ، والعياذ بالله تعالى .

ولهذا حث صلى الله عليه وآله وسلَّم على إكرام جيرانه ، وأنه حق على الأمة إكرامهم ، طالما اجتنبوا الكبائر .

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينةُ مهاجَري ، ومضجعي في الأرض ، حقٌّ على أمتي أن يكرموا جيراني ؛ ما اجتنبوا الكبائر ، فمن لم يفعل ذلك منهم سقاه الله من طينة الخبال».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول الله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ، رقم (١٧٢ ـ ١٧٣).

قيل : يا أبا يسار ؛ ماطينةُ الخبال ؟

قال : عصارةُ أهل النار . رواه الطبراني في الكبير ، وابن النجار ، وله شواهد عدة ، أجودها حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم ، فهو بها حسن[1].

ومما يدل على شهرة هذا الحديث قديماً : هو ما حصل بين الإمام مالك والخليفة المهدي رحمهما الله تعالى في المدينة ، وتوصية الإمام له بأهل المدينة ، واستدلاله بهذا الحديث[2].

لذا تسابق الصحابة الكرام ـ من غير الأنصار ـ رضي الله عنهم في إكرام الأنصار رضي الله عنهم ؛ تقديراً منهم لما بذلوه ، وفعلوه مع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، أقتصر على حديث واحد ، يعطينا صورة صادقة لما يترتب عليه تكريم أهل هذه المدينة المباركة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : خرجتُ مع جرير بن عبد الله البَجَليِّ في سفر ، فكان يخدمُني [وهو أكبر من أنس] فقلتُ له : لا تفعل . فقال : إني قد رأيتُ الأنصار تصنعُ برسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) المعجم الكبير (٢٠ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦) وجزء فيه أحاديث نافع بن أبي نعيم (٤٩ ـ ٥٢ رقم ١٧ ، ١٨) وتاريخ ابن أبي خيثمة (٦٣ ـ أ) ومسند الفردوس (٤ : ٢٢٦) وأخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم (٣٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣١٠) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٦) ووفاء الوفاء (١ : ٤٨).

(٢) انظر : فضائل المدينة المنورة (١ : ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، ٤٠٩ ـ ٤١٢). وانظر فيه وصية الإمام مالك لأبي جعفر المنصور رحمهما الله تعالى في أهل المدينة ، لأنهم جيران النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وسلَّم شيئاً ؛ آليتُ أن لا أصحبَ أحداً منهم إلا خدمتُه . متفق عليه[1].

فجرير رضي الله عنه أكبر سنّاً من أنس رضي الله عنه ـ كما هو في الصحيحين ـ ومع كل ذلك فقد كان يخدمه ، ولم يذكر سبباً في ذلك سوى ما رآه من خدمة الأنصار ، وقيامهم بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكان فعله رضي الله عنه وإكرامه وخدمته ،... جزاء فعل الأنصار رضي الله عنهم .

وهذا هو واجب المسلمين في حقهم رضي الله عنهم ، وحق من سكن ديارهم ، ونزل منازلهم ، ورضي أن يعيش عيشهم ، ويحيا حياتهم ويتصف بصفاتهم ، وآثر أن يكون من أهل الجوار ، والله تعالى أعلم .

عالِمِ المدينة أعلم من غيره :

إن أهل العلم حريصون على معرفة العالِمِ العامِلِ الرَّبَّاني ، لذا فإن أحدَهم يسير الزمانَ الطويلَ بحثاً عن العالِمِ العامِلِ .

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه يأتي زمان على هذه الأمة يبحث طلاب العلم عن العلماء ، فلا يجدون أعلمَ من عالم المدينة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «يوشك أن يَضرب الناسُ أكبادَ الإبل ؛ يطلبون العلمَ ، فلا يجدون أحداً أعلمَ من عالِمِ المدينة». رواه أحمد والحميدي والنسائي في آخرين ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2]، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : فضل الخدمة في الغزو . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب في حسن صحبة الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، رقم (١٨١).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٩٩) ومسند الحميدي (٢ : ٤٨٥) وسنن الترمذي : كتاب العلم : =

فيها أعظمُ الناس شهادة عند الله تعالى :

ومن مزايا هذه البلدة الطيبة المباركة : أنه يسكنها خيارُ الناس ، أو من خيار الناس ـ سواء على شكل أفراد ـ كالذي يخرج لمقاتلة الدجال فيقتله الدجال ، ثم يحييه الله عز وجل ، ولن يسلّط الدجال عليه ثانية ، ولا على أحد بعده ـ أو على شكل جماعات ـ كالجيش الخارج منها لنصرة المسلمين في بلاد الشام .

أ ـ أما على شكل أفراد :

فعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حدثنا قال : «يأتي [الدجال] وهو محرَّم عليه أن يدخل نقابَ المدينة ، فينتهي إلى بعض السباخ التي في المدينة ، فيخرج إليه رجلٌ هو خيرُ الناس ـ أو من خير الناس ـ فيقول له : أشهد أنك الدجالُ ؛ الذي حدَّثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حديثَه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه أتشكّون في الأمر ؟ فيقولون : لا . قال : فيقتله . ثم يُحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنتُ فيك قطّ أشدَّ بصيرةً مني الآن ، قال : فيريد الدجالُ أن يقتله ، فلا يسلط عليه». متفق عليه(1).

= باب ما جاء في عالم المدينة ، رقم (٢٦٨٠) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب فضل عالم المدينة ، رقم (٤٢٩١) وانظر : تحفة الأشراف (٩ : ٤٤٥) وشرح مشكل الآثار (١٠ : ١٨٦ ـ ١٨٨) من طرق ، وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٢ ـ ٥٣) والمستدرك (١ : ٩٠ ـ ٩١) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٣٨٦) ومعرفة السنن والآثار (١ : ٨٧) ومقدمة الجرح والتعديل (١١ ـ ١٢) وتاريخ بغداد (٥ : ٣٠٦ـ٣٠٧) (٦ : ٣٧٦ـ٣٧٧) (١٣ : ١٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لا يدخل الدجال المدينة ، وفي غيرهما . =

زاد مسلم في روايته : «ثم يقول ـ يعني الرجل ـ : يا أيها الناس ؛ إنه لا يَفْعَلُ بعدي بأحد من الناس . قال : فيأخذُه الدجالُ ليذبحَه ، فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً ، فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسبه الناسُ أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلْقِي به في الجنة».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «هذا أعظمُ الناس شهادةً عند رب العالمين».

فقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في هذا الحديث بروايتيه ـ : أن هذا الرجل يمتاز بميزتين :

ـ كونه خير الناس أو من خير الناس .

ـ وكونه أعظم الناس شهادة عند الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

ب ـ ما كان على شكل جماعات ، وذلك عندما يخرج الجيش منها في آخر الزمان للملحمة العظمى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «لا تقوم الساعة حتى ينزلَ الرومُ بالأعماق ـ أو بدابق ـ فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة ، من خيارِ أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافّوا ، قالت الروم : خلّوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا ، والله ، لا نخلي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث ؛ لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويُقتل ثلثُهم أفضل الشهداء عند الله تعالى ، ويفتتح الثلثُ لا يُفتنون أبداً ، فيفتتحون قُسْطُنطِينيَّةَ ، فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد علّقوا سيوفهم

= وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب في صفة الدجال ، رقم (١١٢).

بالزيتون ؛ إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفَكم في أهليكم ،...». الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

لكن جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قوله : ...فجاءهم الصريخ ، إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم ، فيرفضون ما في أيديهم ، ويُقبِلون ، فيبعثون عشرةَ فوارسَ طليعةً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني لأعرف أسماءَهم وأسماءَ آبائهم وألوانَ خيولهم هم خيرُ فوارس على ظهر الأرض يومئذ ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ». رواه مسلم[2].

ونلاحظ في هذا الحديث ـ بروايتيه كما مر في الفقرة السابقة ـ أن هذا الجيش يمتاز بثلاث ميزات :

ـ كون هذا الجيش من خيار أهل الأرض .

ـ كون الذين يُقتَلون هم أفضل الشهداء عند الله تعالى .

ـ كون هؤلاء الفوارس هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ ، أو من خير فوارس .

ـ إضافة إلى خارقة للنبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وهي : معرفتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم لأسماء هؤلاء الفرسان وأسماء آبائهم ، وألوان خيولهم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب فتح القسطنطينية ، رقم (٣٤).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال ، رقم (٣٧).

وأما ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه «فينهزم ثلث» فالظاهر أنهم ليسوا من أهل المدينة ، لأن أهل المدينة الخارجين للقتال ، ونصرة إخوانهم المسلمين : هم خيارُ أهل الأرض . ومَن كان هذا وصفه لا يفر من الزحف ، لأنهم كما جاء في وصف الثلثين «أفضل الشهداء» وَ «يفتتح الثلث لا يُفتنون أبداً» فهم إذاً ما بين شهيد ، وهو أفضلُ الشهداء ، وبين منتصر ، لا يُفتن بغنائم الدنيا ، إضافة إلى أنهم خرجوا لنصرة الإسلام ، ومن كان كذلك يصعب عليه الفرار ، والله تعالى أعلم .

والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أنهم إنما هم من أخلاط الناس ، أو ممن انضم إليهم من الطريق ، كما أَوضَحَتْه الروايةُ الأخرى .

وكونهم لا يتوب الله تعالى عليهم ؛ لأنهم فرّوا من الزحف ، وهو من أكبر الكبائر ، والله تعالى أعلم .



المبحث الرابع
المدينة تنفي خبثها

ولعظم مكانة هذه المدينة الطيبة المباركة ؛ التي هي عاصمة الإسلام الأولى ، ومأرِزُ الإيمان ، ومضجعُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومنشؤه ،...: جعلها الله سبحانه وتعالى كالكير ، تُصَفِّي من يسكنها ويقطن فيها ، فإن كان صافياً صالحاً أبقته فيها ، وإلا نفته عنها ،... كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد والذهب والفضة . لذا فالواجب على أهلها أن يكون كلُّ واحد فيها على مستوى المسؤولية ؛ الملقاة على عاتق الساكن ، ليكون : (الغرم بالغنم) وإلا فإن المدينة تطرده ، والعياذ بالله تعالى .

لذا كان كثيرٌ من أئمة السلف الصالحين رحمهم الله تعالى يخافون على أنفسهم هذا النفي ، نسأل الله عز وجل السلامةَ والعافيةَ وحُسنَ الأدب في هذا الجوار .

المدينة كالكير :

لقد أخبر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم أن هذه المدينة المباركة الطيبة : كالكير ، والكيرُ ينفي الخبث ، كما ينفي ما لا فائدة له ، مما يعلق بالمعدن الذي يوضع فيه . ويبقى المعدنُ صافياً ، لِيُنتفع به .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن أعرابياً بايع رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على الإسلام ، فأصاب الأعرابيَّ وَعَكٌ بالمدينة ، فأتى الأعرابيُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ؛

أقلني بيعتي ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم جاء فقال : أقلني بيعتي ، فأبى ، ثم جاءه فقال : أقلني بيعتي ، فأبى ، فخرج الأعرابيُّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إنما المدينةُ كالكِير ، تنفي خبثَها ، وينصع طيبُها». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «...والذي نفسي بيده ، لا يخرج منهم أَحَدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ، ألا إن المدينةَ كالكير ؛ تُخرِجُ الخبيثَ ،...». الحديث ، رواه مسلم[2].

وقد ورد قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : «المدينة كالكير». عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

المدينة تنفي الخَبَثَ والشرورَ والذنوبَ :

لقد أخبر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن هذه المدينة المنورة المباركة الطيبة : تنفي الخبثَ ، وشرارَ الناس ، كما تنفي عن أهلها الذين يقطنونها الذنوبَ عنهم ، بعد تمحيصهم ليتوبوا ، فيتوب الله تعالى عليهم .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أُحُدٍ رجع ناسٌ من أصحابه ، فقالت فرقة : نقتلهم وقالت فرقة :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب من بايع ثم استقال البيعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٩).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٨٧).

لا نقتلهم ، فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إنها تنفي الرجالَ كما تنفي النارُ خبثَ الحديد» . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...ألا إن المدينة كالكير ، تُخرج الخبيثَ ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينةُ شرارَها ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد» . رواه مسلم[2] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أُمِرتُ بقريةٍ ؛ تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهي المدينةُ ، تَنْفي الناسَ كما يَنفي الكيرُ خبثَ الحديد» . متفق عليه ، وقد سبق ذكره من قبل .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...إنما المدينة كالكير ؛ تنفي خبثَها ، وينصع طيبُها» . متفق عليه ، وقد سبق ذكره مطوَّلاً قبل قليل .

وكما تنفي المدينةُ الخبثَ والأشرارَ ؛ فإنها تنفي أيضاً الذنوبَ عن أصحابها ، بعد تمحيصهم ، وصبرهم على لأوائها وشدَّتها ، والله تعالى أعلم .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة أُحد ،... الحديث ، وفي آخره : قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إنها طَيْبَةُ ، تنفي الذنوبَ ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الفضة» . رواه البخاري ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب المدينة تنفي الخبث . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩٠) .

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٨٧) .

وقد سبق ذكره مطولاً من قبل ، والله تعالى أعلم .

والخبث : الوسخ الذي تخرجه النار .

فالمدينة بما فيها من اللأواء والشدة وضيق الحال ؛ تُمَحِّصُ النفوسَ وتُخَلِّصها من شهواتها وشرها ، وميلها إلى الشهوات والملذات ، فمن صبر عليها أُجر ، ونالته شفاعةُ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كما مر ، وزالت ذنوبه ، بإذن الله تعالى ، وإلا نفته .

والنفي : إما بمعنى الطرد ، والإبعاد لأهل الخبث ـ كما في قصة الأعرابي المذكورة في الحديث سابقاً ، وكذا في إخراج المنافقين ومَن كان على شاكلتهم كما سيأتي ـ وهؤلاء هم أهل الخبث الكامل .

وإما أن يكون بتخليص النفوس من شرها ، وميلها إلى الشهوات ، كما سيأتي أيضاً .

وإما أن يكون بإظهار خبثه ، وإعلان سريرته التي كان يخفيها ، ولهذا سميت المدينة بـ (الفاضحة)، والله تعالى أعلم .

ويدل على هذا : حديثُ أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه في قصة المرتد ، ولفظه :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رجل نصرانيّاً [وفي رواية مسلم : كان منا رجل من بني النجار] فأسلم ، وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فعاد نصرانيّاً ، فكان يقول : ما يدري محمدٌ إلا ما كتبتُ له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم ؛ نبشوا عن

صاحبنا فألقوه ، فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر ، فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه [وفي لفظ مسلم : فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً] متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1]، والله تعالى أعلم .

ارتجاف المدينة في آخر الزمان ليخرج منها الأشرار :

إذا ظهر المسيحُ الدجال في آخر الزمان واقترب من المدينة ، ونصب خيمته عند مجمع السيول ، خلف جبل أحد ـ لأنه لن يدخلها ، كما مر سابقاً ـ فإن المدينةَ ترتجف ثلاث رجفات ، فيفزع من ضعف إيمانه أو انعدم ، لذا يخرجُ منها كلُّ فاسق وكافر ومنافق ومشرك ، من ذكر أو أنثى ، فيلتحقون به ، وذلك هو يوم الخلاص .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجالُ ، إلا مكةَ والمدينةَ ، ليس له من نقابها نقبٌ إلا عليه الملائكةُ صافين ؛ يَحرسونها ، ثم ترتَجف المدينةُ بأهلها ثلاثَ رجفات ، فيُخرجُ الله كلَّ كافر ومنافق». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : الباب الأول ، رقم (١٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لايدخل الدجال المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب حديث الجساسة ، رقم (١٢٣).

وفي رواية لمسلم[1]، عنه رضي الله عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : ...فذكر نحوه ، غير أنه قال : «فيأتي سبخةَ الجرف ، فيضرب رواقَه ، وقال : فيخرج إليه كلُّ منافق ومنافقة».

وعن مِحْجَن بن الأدرع رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خطب الناسَ ، فقال : «يومُ الخلاص ، وما يوم الخلاص ـ ثلاث مرات ـ». فقيل : يا رسول الله ؛ ما يوم الخلاص ؟ فقال : «يجيء الدجالُ ، فيصعد أحداً ، فيطلع ، فينظر إلى المدينة ، فيقول لأصحابه : ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجدُ أحمد .

ثم يأتي المدينةَ ، فيجد بكل نقب من نقابها مَلَكاً مصلتاً ، فيأتي سبخةَ الجرف ، فيضرب رواقَه ، ثم ترتجف المدينة ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافقٌ ولا منافقةٌ ، ولا فاسقٌ ولا فاسقةٌ ، إلا خرج إليه ، فتخلص المدينة ، وذلك يوم الخلاص». رواه أحمد برجال الصحيح ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، وغيرهما[2].

وجاء نحوُه من حديث جابر وأبي أمامة وغيرهما رضي الله عنهم .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في معنى الرجفات المذكورة ؛ على أقوال :

١ـ هي الزلزلة ، يعني تزلزل المدينة ، وترتجف بأهلها ثلاث مرات ، واحدة تلو الأخرى ، فيفزع من ليس مخلصاً في إيمانه ، فيخرج المنافقون

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢٣).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٣٣٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٨) والمستدرك (٤ : ٥٤٣). وانظر : كشف الصلصلة (١٣١).

ومن على شاكلتهم ، لينجوا بأنفسهم ، ويبقى بها المؤمنون الخالصون ، فلا يُسلط عليهم الدجال .

٢ـ حملوا الرجفة على المعنى المجازي ، وهو : الإشاعة والخوض في الفتنة . أي يتحرك المنافقون والكفار والمشركون والفساق ،... لقدوم الدجال ، فيُحَرِّكون غيرَهم ، وأنهم لا طاقة لأحد به ، فيسارع المنافقون والفساق والكفار ، فيخرجوا إليه ، وبذلك يظهر حينئذ تمامُ أنها تنفي خبثها).

٣ـ حملوا الرجفة على أنه : ضغطُ المؤمنين على الكفار والفساق والمنافقين ، حتى يخرجوا منها ، لتصفى لهم دونهم ، فيخرج المنافقون ومن على شاكلتهم خوفاً من المؤمنين .

أقول : الذي يظهرُ لي ـ والله تعالى أعلم ـ أن المنافقين والمشركين والكفارَ عندما يقدم الدجالُ إليها يفرحون بقدومه ، ويرغبون بدخوله عليهم ، ويهشون لاستقباله ، نصرةً لهم ، فيغتاظ المؤمنون الصادقون ، فيضغطون عليهم ، فترتجف المدينة ثلاث رجفات ، فيخرج الكفارُ والمنافقون ،... فرقاً من الرجفة ، ويلتحقون بالدجال ، وبهذا تكون المدينة قد نفت شرارها ، كما مر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والله تعالى أعلم .

إشكال : وهل يدخل المدينةَ رعبُ الدجال ؟

إن ظواهر النصوص السابقة : تدل على أن رعبَ الدجال يدخل المدينة ، بحيث يموج الناس ، حتى يكون الخلاص . لكن ثبت عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه لن يدخلها .

إن المدينة لا يدخلها رعبُ الدجال ، فضلاً عن الدجال نفسه . كما

أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا يدخل المدينةَ رعبُ الدجال». رواه البخاري(1).

فكيف نجمع بين هذه النصوص ؟

الذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أن عدم الرعب : إنما هوخاص بالمؤمنين المخلصين الصادقين ،... الذين يكونون في المدينة آنذاك عند اقتراب الدجال ، وذلك :

١ـ لمعرفتهم المسبقة ويقينهم بما علموا ؛ من أن الدجال لن يدخل المدينة البتة ، وأن الملائكة تحرسها ؛ من جميع جهاتها ، ليلاً ونهاراً ، كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله عليه وآله وسلَّم ـ وقد سبق ذكر ذلك ـ وبلغ ذلك العلمُ عندهم مبلغَ اليقين ، لذا فلن يفزعوا ، ولن يخافوا من فتنته .

وأما الزلزلة والرجفة ؛ فلا دخل لها في رعب الدجال ، فهي أمرٌ منفصل عنه ، فإنما تحصل لإخراج من ليس بمخلص الإيمان ؛ من الكفار والمنافقين والمشركين ، ومن كان على شاكلتهم ، والله تعالى أعلم .

٢ـ ما يقذفه الله تعالى في قلوب هؤلاء المؤمنين المقيمين في هذه البلدة الطيبة المباركة ـ تكريماً لهم ـ من الثبات ، والتأييد ، والاطمئنان ـ كما جرت عادته تعالى مع عباده المتقين ؛ في ساعات الحرج والضيق ـ بعد إخراج الخبث من بين أظهرهم إلى الدجال .

وأما ارتجاف المدينة ؛ فلكي يخرج المنافقون والكفار والمشركون ومن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : الباب السابق .

على شاكلتهم ،... إليه ، سواء بفزعهم ، وخوفهم من المؤمنين ، أو بفرحهم بقدوم الدجال إليهم ـ لأنهم أنصاره وأعوانه ـ أو بضغط المسلمين الصادقين عليهم ليخرجوا ، أما المؤمنون المخلصون الصادقون فلا يفزعون ولا يخرجون منها ، والله تعالى أعلم .

خروج أهل المدينة منها :

إن المدينة المنورة ستبقى عامرةً ـ بإذن الله تعالى ـ من حيث الحياةُ فيها وعمرانها إلى قيام الساعة ، لأنها آخرُ قرى الإسلام خراباً ، كما سبقت الإشارةُ إليه ، لكن أهلَها سيتركونها في آخر الزمان ، وهي على أحسن حال ، ولن يتركونها مرةً واحدةً ـ والعلمُ عند الله تعالى ـ بل سيتركونها مرتين ، أما في المرة الأولى : فسيعودون إليها قريباً ، ولن تطول فترةُ غيابهم ، وأما في المرة الثانية : فستطول مدةُ الترك أربعين سنةً ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ والذي يظهر أن ذلك سيكون قبيل قيام الساعة ، والله تعالى أعلم .

وقد كثرت النصوص الشريفةُ في ذلك ، لكني سأقتصر على ذكر بعضها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : «...ليتركنَّها أهلُها على خير ما كانت ، مذَلَّلةً للعوافي». يعني : السباعَ والطيرَ . وهذا لفظ مسلم[1].

وعنه رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «يتركون المدينةَ على خير ما كانت ، لا يغشاها إلا العوافي ـ يريد عوافيَ السباع والطير ـ ثم يَخرج راعيان من مُزَينةَ يريدان المدينةَ ، ينعقان

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب في المدينة حين يتركها أهلها ، رقم (٤٩٨).

بغنمهما ، فيجدانها وَحشاً ، حتى إذا بلغا ثنيةَ الوداع ؛ خرّا على وجوههما». متفق عليه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «لتُتْرَكَنَّ المدينةُ على أحسن ما كانت ، حتى يدخل الكلبُ ـ أو الذئبُ ـ فيُغَذِّي على بعض سواري المسجد ، أو على المنبر». رواه مالك وابن شبة وابن حبان[2].

وعن مِحجَن بن الأدرع رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لحاجة ، ثم عرض لي وأنا خارجٌ من طريق من طرق المدينة ، قال : فانطلقتُ معه ، حتى صعد أُحُداً ، فأقبل على المدينة ، فقال : «ويل أمِّها قرية ، يوم يدعُها أهلُها كأينع ما تكون [وفي رواية : كأعمر ما تكون ، وفي أخرى : خير ما تكون] قال : قلت : يا رسول الله ؛ من يأكلُ ثمرتَها ؟ قال : «عافيةُ الطير والسباع». رواه أحمد والطيالسي والطبراني وابن شبة برجال الصحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[3]. ورواه من

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من رغب عن المدينة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السسابقين ، رقم (٤٩٩).

(٢) الموطأ : كتاب الجامع : باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها ، رقم (٨) وتاريخ المدينة (١ : ٢٧٦) وصحيح ابن حبان (١٥ : ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٣) مسند أحمد (٤ : ٣٣٨) (٥ : ٣٢) ومسند الطيالسي (١٨٣) ومنحة المعبود (٢ : ٢٠٤) وتاريخ المدينة (١ : ٢٧٣ ـ ٢٧٥) والأدب المفرد (١٢٤ ـ ١٢٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ١٤٠) والمسند له (٢ : ٩٨ ـ ٩٩) والآحاد والمثاني (٤ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠) والمعجم الكبير (٢٠ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨) والأوسط (٣ : ٦٠) والمستدرك (٤ : ٤٢٧) ومجمع البحرين (٣ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٩ ـ ٣١٠) (٤ : ١٤ ـ ١٥).

طرق أخرى مختصراً .

وقد ورد نحوُ هذا الحديث الشريف عن عدد من الصحابة ؛ منهم عمران بن حُصين ، وجابر بن عبد الله ، وأبو ذر الغفاري ،... وغيرهم رضي الله عنهم .

وهذه الأحاديثُ الشريفةُ ـ ماذكرتُه وما لم أذكره ـ كلها تدلُّ على أن أهلَ المدينة سيتركونها ، فهل وقع هذا الترك ؟

لقد اختلف العلماء في ذلك على قولين ، أذكُرُهُما ، ثم أذكر بعد ذلك رأيي إن شاء الله تعالى .

الرأي الأول : إن هذا التركَ والإخلاء قد وقع :

ويمثله القاضي عياض في آخرين رحمهم الله تعالى .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى[1]: هذه من علامات نبوته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقد تركت على أحسن ما كانت ؛ حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق ، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين ـ عِلماً وكمالاً ؛ من رجاله ـ ودنيا ـ لتمام عمارتها وغرسها واتساع حال أهلها .

ثم ذكر الإخباريون : في بعض الفتن التي تعاورتها ، وخاف أهلُها على أنفسهم : رحل عنها أكثرُ الناس ، وبقيت ثمارُها ـ أو أكثرُها ـ للعوافي ، وخلت مدةً ، ثم تراجع الناس إليها .

---

(١) إكمال المعلِم (٤ : ٥٠٧) وشرح النووي (٩ : ١٦٠) وانظر : عمدة القاري (١٠ : ٢٣٧) ووفاء الوفاء (١ : ١٢٢) وشرح الأُبي (٣ : ٤٧٤) وشرح السنوسي (٣ : ٤٧٥) وفتح الباري (٤ : ٩٠) وشرح الزرقاني (٤ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

وحالُها اليوم قريبٌ من هذا ، وقد خربت أطرافها وزالت أغلاقُها .

وقد حكى كثيرٌ من الناس أنهم رأوا ما أنذر به صلى الله عليه وآله وسلَّم من تغذية الكلاب على سواري مسجدها.اهـ.

وقد ذكر الإمامان القرطبيُّ والزرقانيُّ رحمهما الله تعالى نحوَ ما قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى .

ولي عودٌ إلى هذا الرأي بعد ذكر الرأي الثاني إن شاء الله تعالى .

الرأي الثاني : إن هذا الترك والإخلاء لم يقع بعد ، وأن ذلك سيكون في آخر الزمان :

ويمثله الإمامُ النووي والحافظُ ابنُ حجر وغيرهما رحمهم الله تعالى :

قال الإمامُ النووي رحمه الله تعالى[1]: الظاهرُ المختارُ : أن هذا التركَ للمدينة يكون في آخر الزمان ، عند قيام الساعة ، وتوضِّحُه قصةُ الراعِيَيْن من مُزينة ، فإنهما يَخِّران على وجوههما ؛ حين تدركهما الساعةُ ، وهما آخرُ من يُحشر ، كما ثبت في صحيح البخاري .

فهذا هو الظاهرُ المختارُ.اهـ.

وقد ذكر الإمامُ الأُبِّيُّ رحمه الله تعالى نحوَ ما قال الإمامُ النوويُّ رحمه الله تعالى .

وسبب الخلاف بين هذين الرأيين ـ والله تعالى أعلم ـ هو : هل قوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم : «...وآخر من يُحشر راعيان من مزينةَ ،...» الواردُ في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : هو حديثٌ مستقلٌّ ـ لا

(١) شرح النووي (٦ : ١٦٠) وانظر شرح الأُبي (٣ : ٤٧٤ ـ ٤٧٥).

تعلق له بالذي قبله ، أم هو تتمة الحديث الذي قبله ؟

فالذين جنحوا إلى الثاني ؛ كالإمام النووي رحمه الله تعالى ، وتابعه الحافظ ابنُ حجر رحمه الله تعالى ـ وجعَلَه الأظهر ـ فقد جعلوه تتمةً للحديث ، وبناء عليه : رجَّحوا أن ذلك لم يقع بعدُ .

قلت : وكلا القولين ـ فيما أرى ، والله تعالى أعلم ـ فيه نظر .

هناك خروجان ، أما **الخروج الأول** فقد حصل ، لكن ليس كما قال القاضي ومن وافقه رحمهم الله تعالى ، وأما **الخروج الثاني** فهو لم يقع بعد ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وأسأله تعالى ألا ندركه .

أما الخروج الأول : فقد حصل عام (١٣٣٤ ـ ١٣٣٧هـ):

فقد حدثني عدد ممن أدرك ذلك الزمان ، وكان موجوداً في المدينة آنذاك ، كما حدثني آخرون ممن لم يدركوا ذلك الخروج ؛ لصغرهم ـ لكنهم ينقلون عن آبائهم و أجدادهم مباشرة ، الذين كانوا موجودين آنذاك ، ولم أنقل ـ هنا ـ إلا سماعاً ، وخلاصة الأمر كالتالي :

عندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٧نصراني) ثم أعلن الشريفُ حُسين بن علي أميرُ مكة المكرمة رحمه الله تعالى ثورتَه على الخلافة العثمانية ؛ أمر الوالي العثماني في المدينة المنورة ـ آنذاك ـ (فخري باشا) منادياً ينادي في المدينة ، ولمدة ثلاثة أيام (عام١٣٣٤هـ) أن على أهل المدينة أن يخرجوا منها ، لأنه ستقوم حرب ، ويقع جوع ، ولا يقوى أهلُ المدينة على العيش في هذه الظروف ، وأن السلطات ستتفرغ للقتال ، وعلى الأهالي أن يسافروا إلى الشام ، أو تركيا ، أو أي مناطق أخرى ،...

وقد سمع الناس النداء ، فصدَّق بعضهم ذلك ، كما لم يصدِّقه كثير ، وقد عمدت أسرٌ كاملةٌ فجمعت أفرادها ، وأخذت من بيوتها ماخف حمله ، وسافروا (في نهاية ١٣٣٤هـ) لكنهم قلة بالنسبة لأهل المدينة .

وفي عام (١٣٣٥هـ) بدأ حصار الشريف للمدينة ، وكان الشريف علي بن الحسين بن علي في (الفريش) فعمد الوالي (فخري باشا) إلى هدم البساتين ـ من باب السلام ، حتى محطة القطار ؛ في العنبرية ـ ومد سكة للحديد ، لنقل الذخائر ، وتخزينها في الحرم النبوي الشريف ، والتي بلغت ؛ من باب السلام حتى المواجهة الشريفة ، وبارتفاع الجدار من الداخل ، بحجة أن الحرم الشريف لن يُقصف ، كما جمعوا التمورَ من بساتين المدينة ، وجعلوها على شكل قوالب ، ومنعوها الأهالي ، لتكون مؤناً للجيش ، ومع الأسف لم يستفد منها أحدٌ ، لأنه عندما دخل الشريف وأعوانه (١٣٣٧هـ) وجدوا التمور قد سوست ، وسطا عليها الدود ، فألقوها للدواب .

وبدأ الجوع يدب على الأهالي منذ (١٣٣٥هـ) وبدأت السلطات تأمر الناس بالرحيل بالقوة ، لكن العائلات تسافر مع بعضها ، وصار القطار يأتي من تركيا محمَّلاً بالمؤن والذخائر ، ويعود محمَّلاً بالناس ، ثم صار الجنود يقبضون على الناس ويرحلونهم ، بل صاروا يدخلون البيوت ، ويجبرون الناس على الركوب في القطار ، فإذا امتلأ سافر بهم إلى بلاد الشام أو غيرها .

وفي نهاية (عام ١٣٣٥هـ) بدأت السلطات تأخذ كل من تراه في الطريق ـ رجلاً كان أو امرأة ، كبيراً أو صغيراً ، وتلقيه في القطار ، فإذا امتلأ سافر

بهم . وحصلت حوادث يندى لها الجبين .

ولم يستطع أحد ـ من أهل القرى ـ أن يقدم المدينة ، فانقطع جلبُ الخضروات ، كما لم يستطع أحدٌ الذهابَ إلى البساتين ، خشية الأخذ والتسفير ، والصيف حار ، فماتت الخضروات ، وكثير من الأشجار ، وجفت كثير من الحقول لعدم السقي .

واستمر القبض على الناس ، وتسفيرهم في القطارات .

واستمر الضيق ، واشتد الجوع على من بقي فيها ، ومما ساعد على إسراعه ضربُ سكة الحديد من قِبل جند الشريف ، واشتد الجوع على الباقين ، حتى أكلوا ،... و... و... وقد حدثوني عن قصص وحوادث يقشعر لها بدني ، وهي في صدري ، وإن ذكرت بعضَها في الأصل ، لكن أسأل الله تعالى أن يغفر للمؤمنين ذنوبَهم .

ومع كل هذا فإن الوالي يمنع عن الأهالي الطعامَ ، ويُصر عليهم أن يسافروا .

وخلت المدينةُ من أهلها وذلك : إما لأنهم خَرجوا ، أو أُخرِجوا ، أو ماتوا ،... ولم يبق فيها إلا النادر ،... وسرحت الكلاب والوحوش والثعالب في الطرقات والبيوت والمساجد ، ودخلوا المسجد النبوي ـ كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وحدثني بذلك من رأوها ، والمشتكى إلى الله تعالى .

وبدأ المرض في الجنود ، والوالي يرفض التسليم ، واشتد الحصار ، وخلت المدينةُ من أهلها ، ولم يبق فيها إلا أقل من خمسين نفراً ، قال لي بعضهم : (٤٣) وقال آخر : لم يبق سوى (١٧) وقال لي آخر : إنه لما وُلد

أتم خمسة وأربعين ،...إلخ.

قلت : وقد أدركتُ شيخا كبيراً من أهل المدينة ؛ في صيف عام (١٣٨٧هـ) فقال لي ونحن في الروضة الشريفة ، بعد صلاة الظهر : إنه سابع سبعة في هذا الحرم ليس فيه أحد غيرنا ، وقد رأى بعينه الكلاب تدخل من باب السلام ، وتبول على سواري المسجد .

وبدأ الموت في الجيش العثماني ، والجوع يدب وينتشر ، وانقطعت الصلة بالأستانة ؛ لضرب القطار ، والوالي يرفض التسليم ،...إلخ.

ولما أراد الله عز وجل رفع الغمة ، وكشف الكربة : عمد الضباط المرافقون للوالي (فخري باشا) فقبضوا عليه في الحرم الشريف ، وكتفوه ونقلوه إلى الشريف علي بن الحسين ، في (الفريش) فنقله بدوره إلى أبيه الشريف حسين ، في جدة ، ولم يفكوا وثاقه إلا في السفينة ، التي نقلته إلى (استانبول) فدخل الشريفُ علي المدينة (عام ١٣٣٧هـ) وبدخول الشريف المدينة ـ حيث لم يجد فيها أحداً ـ بدأ أهلُ المدينة بالعودة إليها ، لكن لم يعد إليها كلُّ من خرج منها ، إذ لم يعد إلا ما بين سبعة آلاف إلى ثمانية آلاف من أهلها ، ما بين كبير وصغير ، وذكر وأنثى ، وذلك أن كثيراً من أهل المدينة إما ماتوا فيها ، أو في البلاد التي ذهبوا إليها ـ لتغير الجو ، والجوع ، والمرض ـ أو استوطنوها فلم يعودوا منها .

وقد رأيت آخر من عاد إليها ممن كان قد خرج منها ؛ سواء ممن وصلها قبلي بقليل ، أو وصلها بعدي بقليل ، وقد كان لي بهم علاقات طيبة ؛ لأنهم كلهم ممن استوطنوا في سورية ؛ سواء في حلب ، أو دمشق وأسأل الله تعالى

أن يحفظ بلاد الإسلام ، ويمنعها من كيد الكائدين ، وعدوان المعتدين ، وطمع الغاصبين ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

أما الخروج الثاني : فسيكون بإذن الله تعالى قبيل قيام الساعة :

ويدل على ذلك أمور متعددة ، لكن أقتصر على ذكر بعضها ، مع الاختصار قدر الإمكان :

١ـ الإخبار بأن الخروج الأول يعقبه عودةُ أهلها ، أما الثاني فلا يعودون إليها أبداً .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على المنبر يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «يخرج أهلُ المدينة منها ، ثم يعودون إليها ، فيعمرونها ، حتى تمتلئ وتُبنى ، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً». رواه أحمد وابن شبة وأبو يعلى والبزار وسنده حسن[1] لكن عند أحمد وأبي يعلى (مكة).

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند ابن شبة .

٢ـ الإخبار بأن مدة الخروج ستكون أربعين عاماً ، وهذا لم يقع من قبل .

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي يده عصا ، وأقناءٌ معلقةٌ في المسجد ، قنوٌ منها حَشَفٌ ، فطعن بذلك العصا في ذلك القنو ، ثم قال : «لو شاء ربُّ هذه الصدقة فتصدَّق بأطيب منها ، إن صاحب هذه الصدقة ليأكل الحشفَ يوم

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٤٧) ونسخة أحمد شاكر (١ : ١٥٢) وتاريخ المدينة (١ : ٢٨٣) والبحر الزخار (١ : ٣٥٠) وكشف الأستار (٢ : ٥٢ ـ ٥٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٨).

القيامة». ثم أقبل علينا فقال : «أما والله يا أهلَ المدينة لتدعُنَّها مذلَّلَةً أربعين عاماً للعوافي ، هل تدرون ما العوافي ؟». قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : «الطيرُ والسباع». رواه أحمد ، وابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، وابن شبة والطبراني ، وصححه الحافظ في الفتح[1]، وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه أوله .

٣ـ هذا الخروج هو مقدمة لعلامات الساعة الكبرى ، وذلك لأن خروج أهلها إنما هو للملحمة الكبرى ، التي يليها فتح القسطنطينية ، والذي يليه ظهور الدجال ، والذي يعقبه نزول عيسى عليه السلام ، لذا فإن ترك أهل المدينة لها هذه الفترة سيؤدي إلى خرابها .

فعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «عمرانُ بيت المقدس خرابُ يثرب ، وخرابُ يثرب خروج الملحمة ، وخروجُ الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتحُ القسطنطينية خروج الدجال» ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه ـ أو منكبه ـ ثم قال : «إن هذا لحق كما أنك هٰهنا ـ أو كما أنك قاعد ـ يعني معاذ بن جبل». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وغيرهم بإسناد حسن ، والطحاوي من وجه

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الزكاة : باب ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة ، رقم (١٦٠٧) وسنن النسائي : كتاب الزكاة : باب قوله عزوجل : ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾، (٥ : ٤٣ ـ ٤٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الزكاة : باب النهي أن يخرج في الصدقة شر ماله ، رقم (١٨٢١) ومسند أحمد (٦ : ٢٣ ، ٢٨) والمستدرك (٤ : ٤٢٥ ـ ٤٢٦) وصحيح ابن حبان (١٥ : ١٧٧ ـ ١٧٨) وتاريخ المدينة (١ : ٢٨١) والمعجم الكبير (١٨ : ٥٥) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٩) وفتح الباري (٤ : ٩٠).

آخر ، ورواه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه وأقره الذهبي من وجه آخر موقوفاً ، ورواه البخاري في تاريخه من وجه آخر موقوفاً ، فهي شواهد للأول ، وقال الحافظ ابن كثير عن الأول : هذا إسناد جيد ، وحديث حسن ، وعليه نور الصدق وجلالة النبوة[1].

ليس المراد أن المدينةَ المنورة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال ، لأن ذلك لا يكون إلا في آخر الزمان ، وذلك لأن أهل المدينة عندما يخرجون لنصرة إخوانهم في الشام ، وتكون الملحمة الكبرى ، فينتصر المسلمون ، ويطردون الروم من بلاد الشام إلى القسطنطينية فيفتحونها ، وبينا هم يقتسمون الغنائم بينهم يصرخ فيهم الشيطان بظهور الدجال فيقدم المسلمون دمشق ، ويظهر الدجال ، ثم ينزل المسيح عليه السلام ، وينضم إليه المسلمون الخارجون من المدينة فيقتل الدجال ، ثم يقاتلون اليهودَ في فلسطين فينصرهم الله تعالى ، ويُباد اليهودُ . فأين هؤلاء أن يعمروا المدينة ، وقد غابوا عنها فترة طويلة .

فلتركِهم لها ، وابتعادِهم عنها فترةً طويلة يتهدم كثير من بيوتها ، ويموت كثير من أشجارها ، وبساتينها ، وبهذا يكون الخراب ، لا أنها تخرب بالكلية ، لأن ذلك لا يكون إلا قبل قيام الساعة ، وإلا كيف ترتجف عند قدوم الدجال ليخرج كل منافق ومشرك ،... والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٣٢ ، ٢٤٥) وسنن أبي داود : كتاب الملاحم : باب في أمارات الملاحم ، رقم (٤٢٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ٤٠ ـ ٤١ ، ١٣٥ ـ ١٣٦) والتاريخ الكبير (٥ : ١٩٣) ومشكل الآثار (١ : ٢١٧) والمستدرك (٤ : ٤٢٠ ـ ٤٢١) وشرح السنة (١٥ : ٤٦ ـ ٤٧) ومسند الفردوس (٣ : ٥٠) وتاريخ بغداد (١٠ : ٢٢٣).

٤ـ الإخبار عن وجود الهجرة إلى الشام في آخر الزمان ، وحثه صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ، والنصوص في هذا كثيرة جداً ، أذكر بعضها للتقريب :

فعن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجنَّدةً ، جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق».

قال ابن حوالة : خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك .

فقال : «عليك بالشام ، فإنها خِيرة الله من أرضه ، يجتبي إليها خيرتَه من عباده ،...». الحديث ، رواه أحمد وأبو داود ، وابن حبان والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي والطبراني برجال ثقات ، ورواه ابن عساكر من عشر طرق[1] ورواه بعضهم مطولاً .

وعن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «ستكون هجرة بعد هجرة ، فخيارُ أهل الأرض : ألزمهم مهاجَر إبراهيم عليه السلام ،...». الحديث ، رواه أحمد

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١١٠) (٥ : ٣٣ ـ ٣٤ ، ٢٨٨) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في سكنى الشام ، رقم (٢٤٨٤) والمستدرك (٤ : ٥١٠) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٢٩٥) والكنى للدولابي (٢ : ٧٢) ومسند الشاميين (٢ : ١٩٣) والتاريخ الكبير (٥ : ٣٣) والمعرفة والتأريخ (٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، ٣٠٢) وحلية الأولياء (٢ : ٣ ـ ٤) ودلائل النبوة له (٧٠٠ ـ ٧٠١) ومشكل الآثار (٢ : ٣٥ ـ ٣٦) والآحاد والمثاني (٤ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ١٧٩) ومجمع الزوائد (١٠ : ٥٨ ، ٥٨ ـ ٥٩) وتهذيب تاريخ دمشق (١ : ٢٧ ـ ٣٠ ، ٣٤).

وأبو داود والطيالسي وعبد الرزاق وأبو نعيم ، ورواه الحاكم من غير طريقهم ، وصححه وأقره الذهبي[1].

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت ؛ تحشر الناسَ». قال : قلنا : بما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : «عليكم بالشام». رواه أحمد ، والترمذي وابن حبان وصححاه ، وابن أبي شيبة وأبو يعلى ، برجال الصحيح أيضاً[2].

وهناك نصوص غيرها ذكرتها في الأصل ، فانظرها فيه .

٥ـ الإخبار بأن الراكب سيمر بجانب المدينة فيخبر أنه كان فيها سكان من قبل ، دلالة على خلو تلك المناطق من أهلها ، وإن كانت العمائر قائمة ، والله تعالى أعلم .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «ليسيرن الراكبُ في جنبات المدينة ، ثم ليقولنَّ :

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٩٩ ، ٢٠٩) ومسند الطيالسي (٣٠٢ـ٣٠٣) ومصنف عبدالرزاق (١١ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) وسنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤٨٢) والمستدرك (٤ : ٤٨٦ ـ ٤٨٧ ، ٥١٠ ـ ٥١١) وحلية الأولياء (٦ : ٥٣ ، ٥٤) ومختصر تاريخ دمشق (١ : ٧٠) وتهذيب تاريخ دمشق (١ : ٣٥ـ٣٦).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٨ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ٩٩ ، ١١٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ٧٨) وسنن الترمذي : كتاب الفتن : باب لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من قِبَل الحجاز ، رقم (٢٢١٧) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٢٩٤) ومسند أبي يعلى (٩ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) والمعرفة والتأريخ (٢ : ٣٠٢ـ٣٠٣ ، ٣٠٣) وشرح السنة (١٤ : ٢٠٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٦١).

لقد كان في هذا حاضرٌ من المؤمنين كثير». رواه أحمد بإسناد حسن ، وحسنه السيوطي في الجامع الكبير[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «ليسيرن راكب في جنب وادي المدينة ، فليقولن : لقد كان في هذه مرةً حاضرٌ من المؤمنين كثير». رواه أحمد وابن شبة بإسناد حسن[2].

وقد ورد بنحوه عن غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم .

وقوله : (لقد كان في هذه حاضر من المؤمنين كثير) دلالة على وجود حاضر ، ولكنه قليل . ولذا خلت البيوت من كثير من أهلها .

وكل هذا وغيره مما يدل على طول الغيبة عن المدينة ، حتى قيل ما قيل . لكن لم تخل من كل أهلها ، فلا بد من وجود ناس فيها ، حتى ترتجف فيخرج منها ما تخلص منه ؛ من المنافقين وغيرهم ، وحتى يقدم الراعيان نحوها ،...إلخ.

وهذا لم يقع في المرة السابقة ، وإنما يكون قبيل قيام الساعة ، كما قلت ، والله تعالى أعلم .

ما سبب خروج أهلها منها :

إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما الذي كان يسأل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الشر حتى لا يقع فيه ، كما ثبت عنه[3] ومع هذا لم

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٠) ومجمع الزوائد (٤ : ١٥) والجامع الكبير (١ : ٦٨٥) وكنز العمال (١٢ : ٢٥٥) وانظر مسند أحمد بشرح أحمد شاكر (١ : ٢١٠).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٤١ ، ٣٤٧) وتاريخ المدينة (١ : ٢٨٣) ومجمع الزوائد (٤ : ١٥).

(٣) انظر : صحيح البخاري : كتاب الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، وفي غيرهما . =

يسأل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن سبب خروج أهل المدينة منها .

فعنه رضي الله تعالى عنه قال : أخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما هو كائنٌ إلى أن تقوم الساعةُ ، فما منه شيء إلا قد سألته عنه ، إلا أني لم أسأله : ما يُخرجُ أهلَ المدينة من المدينة . رواه مسلم[1].

لكن ورد عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم الإخبارُ بذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ وقد قيل له : من يُخرجهم منها يا أبا هريرة ؟ ـ فقال رضي الله عنه : أمراء السوء . رواه ابن شبة ونقله الحافظ في النكت[2].

وهذا ما حصل في الخروج الأول ، إذ لم يخرج أهلُ المدينة منها طواعية ، إنما أُجبروا على الخروج منها قسراً وإكراهاً ، كما أشرت إلى ذلك من قبل ، وذكرته في الأصل مفصلاً ، والله تعالى المستعان .

☆☆☆☆☆

= وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، رقم (٥١).

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم (٢٤).

(٢) تاريخ المدينة (١ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨) والنكت الظراف (٣ : ٤٧) ووفاء الوفاء (١ : ١٢٠).

المبحث الخامس
الصلاة والسلام على النبي المصطفى الكريم
صلى الله عليه وآله وسلَّم

إن من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

ولهذا أمر الله عز وجل المؤمنين بكثرة ذكره سبحانه وتعالى ، فقال جل شأنه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين كثرة ذكره جل شأنه ، فقال الله تعالى : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[2] .

بينما وصف الله سبحانه وتعالى المنافقين بقلة ذكره تعالى ، فقال جل شأنه : ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[3] .

والمحبُّ لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم كثيرُ الذِّكر له ، وكثرةُ ذكره له : إنما هو بكثرة الصلاة والسلام عليه صلوات الله عليه وآله وسلَّم .

علماً بأننا مأمورون ـ نحن المؤمنين ـ بالصلاة والسلام عليه صلى الله

(١) سورة الأحزاب (٤١).

(٢) سورة الأحزاب (٣٥).

(٣) سورة النساء (١٤٢).

عليه وآله وسلَّم ، بعد أن أعلمنا الله سبحانه وتعالى بأنه جل شأنه وملائكَتَهُ : يُصلُّون عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1].

والجملة شبه الاسمية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ... ﴾ تدل على الاستمرار ، والجملة الفعلية ﴿يُصَلُّونَ﴾ التي هي الخبر ، تدل على التجدد ، فتكون صلاةُ الله تعالى وملائكتِه على النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم متجددةً باستمرار ، قبل وجوده في عالم الدنيا ، وأثناءَ وجوده في عالم الدنيا ، وبعد انتقاله صلى الله عليه وآله وسلَّم من عالم الدنيا إلى الرفيق الأعلى .

وقد توسعتُ في بيان هذه الآية الشريفة ، وما يؤخذ منها من حِكَمٍ وأسرارٍ ، وما فيها من بيانِ منزلةِ هذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتفردهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم بهذه المنزلة الرفيعة ، وهذا التكريم ، وعلوِّ القدر ،... بما لا يدانيه أو يقاربُهُ أحدٌ من الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام فضلاً عن بقية الخلق . وذلك في : (الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم).

والصلاة والسلام من المؤمنين على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : إنما هي تكريمٌ كبير لهؤلاء المؤمنين المصَلِّين المسَلِّمين .

ونَفْعُ صلاتنا وسلامنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يعودُ

---

(١) سورة الأحزاب (٥٦).

علينا نحن المصَلِّين المسَلِّمين ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا ينتفع بصلاتنا عليه ، إذ ما منزلةُ صلاتنا على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بجانب صلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ وما منزلةُ صلاةِ الملائكة بجانب صلاة الله تعالى المتجددة باستمرار ؟ وإنما طلب ذلك من الجميع لإظهار تعظيمه عليه الصلاة والسلام ، وعلو مقامه ، ورفعة قدره ، وبيان شرفه ومكانته ، ثم لكي يثيبَنا اللهُ تعالى على ذلك .

إذ لا حاجة له صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى صلاتنا عليه ، طالما أن الله تعالى وملائكتَه يُصلُّون عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وإنما طلب منا ـ مع أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يحتاج إليها ـ حتى يجتمع العالَمَان : العالَمُ السُّفْلِيُّ ـ وهم البشر ـ مع العالَمِ العُلْوِيِّ ـ وهم الملائكة ـ في تكريم هذا النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

كما أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأن الملائكةَ يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ ليُنَبِّه الله تعالى عبادَه بذلك ، على ما في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم من الفضل ، حيث إن الملائكة ـ مع انفصالهم من شريعته صلوات الله عليه وآله وسلَّم عند جَمْعٍ من العلماء ـ ومع هذا فإنها تتقرب إلى الله عز وجل بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فالمُسْلِمُ أحقُّ وأولى أن يُصلِّيَ ويسلِّمَ على نبيه وصفيه وحبيبه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم[1] .

---

(١) انظر : شعب الإيمان (٢ : ٢٠٧).

والصلاةُ والسلامُ على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : لا يشترط لهما الحضورُ ، أو الحياةُ ، بل تصحان في حضور المصلِّي والمسلِّمِ عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي حال البعد عنه ، كما تصحان بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي حال حياته ، لأن الأجرَ ثابتٌ ، والنصَّ عام ، والله تعالى أعلم .

والمصلِّي والمسلِّمُ على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له حالتان ، ويكون للنبي الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم مقابل ذلك حالتان أيضاً :

الأولى : أن يكون قريباً منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ففي هذه الحالة : يسمعه صلى الله عليه وآله وسلَّم من غير واسطة ، ويرد عليه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مباشرة أيضاً ، وإن كان المُسَلِّم لا يسمع رَدَّ السلام . وهنيئاً له هذه المنزلة والمرتبة والمزيَّة .

والثانية : أن يكون بعيداً عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ففي هذه الحالة : قد جعل الله سبحانه وتعالى ملائكةً سياحين في الأرض ؛ ينقلون الصلاةَ والسلامَ ، من المصلِّي والمسلِّمِ البعيدِ المكان ، ويبلِّغونها إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيردُّ عليه وآله الصلاة والسلام عليهم أيضاً .

ويدل على الحالة الأولى :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «ما من مُسْلِم يسلِّمُ عليَّ ، إلا ردَّ الله عليَّ روحي ؛ حتى أردَّ عليه

السلامَ». رواه أحمد وأبو داود والطبراني وأبو نعيم والبيهقي ، وصححه النووي ، وقال الحافظ : رواته ثقات ، وحسنه ملا علي القاري[1].

وقد وقع في (المغني) لابن قدامة[2] في هذا الحديث زيادة ، وهي قوله : قال أحمد [بن حنبل] في رواية عبد الله ، عن يزيد بن قسيط ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «ما من أحد يُسلِّمُ عليَّ (عند قبري) إلا ردَّ الله عليَّ روحي ، حتى أردَّ عليه السلام» وذكرها الإمام السبكيُّ رحمه الله تعالى أيضاً .

فقوله في هذه الزيادة : (عند قبري) لم أرها في مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند أحمد في المسند ، وقد قرأته كله . وقد قال الإمام السخاوي رحمه الله تعالى[3]: لم أقف عليها فيما رأيته من طرق الحديث.اهـ. ، فلعلها في غير المسند ، أو في مكان آخر ، والله تعالى أعلم .

فإن صحت هذه الزيادة ؛ فإن الحديث يكون بمنطوقه خاصاً بمن يُصلِّي ويُسلِّمُ على النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم من قُرْب ، وهذه منقبةٌ كبيرةٌ جليلة ، حيث إنه صلى الله عليه وآله وسلَّم يسمع

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٥٢٧) وسنن أبي داود : كتاب المناسك : باب زيارة القبور ، رقم (٢٠٤١) والسنن الكبرى (٥ : ٢٤٥) وحياة الأنبياء (١١) وشعب الإيمان (٢ : ٢١٧) ط بيروت ، وأخبار أصبهان (٢ : ٣٥٣) والمعجم الأوسط (٩ : ١٣٠ ـ ١٣١) والأذكار (١٦٩) ورياض الصالحين (٥٣١) والقول البديع (١٦١) ووفاء الوفاء (١٣٤٩) وشرح الشفا لملا علي القاري (٤ : ٤٩٩) بهامش نسيم الرياض .

(٢) المغني (٣ : ٥٥٦ ـ ٥٥٧) وشرح الخفاجي (٤ : ٤٩٩).

(٣) القول البديع (١٦٢).

صلاةَ وسلامَ المصلِّي والمسلِّمِ عليه ، ويردُّ بنفسه الشريفة من غير واسطة مَلَك ، والله تعالى أعلم .

وهذا ما جنح إليه عددٌ من العلماء .

فقد قال الإمام أبو عبد الرحمن عبدُ الله بن يزيد المقرئ رحمه الله تعالى[1]، وهو أحد كبار شيوخ الإمام البخاري : هذا في الزيارة ، إذا زارني فسلَّم عليَّ ، ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه.اهـ.

وقال صاحبُ عون المعبود رحمه الله تعالى[2]: والقولُ الصحيح : أن هذا لمن زاره ، ومن بَعُدَ عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم تُبلِّغه الملائكةُ سلامَه.اهـ.

وقال العلامةُ الخفاجيُّ رحمه الله تعالى في شرح الشفا[3]: الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلُّفٍ ، أن الأنبياءَ والشهداءَ أحياءٌ ، وحياةُ الأنبياء أقوى ، وإذا لم يسلَّط عليهم الأرض ؛ فهم كالنائمين ، والنائمُ لا يسمع ولا ينطق حتى يتنبه ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا...﴾ الآية[4]، والمراد بالرد : الإرسال الذي في الآية .

وحينئذ فمعناه : أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا سمع الصلاةَ والسلامَ ـ بواسطةٍ ، أو بدونها ـ تيقظ ورَدَّ ، لا أن روحه صلى الله عليه وآله وسلَّم تُقبض قَبْض الممات ، ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها ، لأن روحه

(١) انظر : وفاء الوفاء (١٣٥٠).

(٢) عون المعبود (٦ : ١٣٠). وقد حشر من النصوص الكثيرة التي تدل على ذلك .

(٣) نسيم الرياض (٤ : ٤٩٩ ـ ٥٠٠). وانظر : عون المعبود (٦ : ٢٩ ـ ٣٠).

(٤) سورة الزمر (٤٢).

صلى الله عليه وآله وسلَّم مجرَّدَةٌ نورانيةٌ ، وهذا لمن زاره ، ومَنْ بَعُدَ عنهُ يُبلِّغُه الملَكُ سلامَه.اهـ.

فالخلاصة إذاً : أن من سلَّمَ وصلَّى عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم عن قرب ، سمعه صلى الله عليه وآله وسلَّم من غير واسطة ، وردَّ عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم صلاتَه وسلامَه ، والله تعالى أعلم .

أما **معرفته صلى الله عليه وآله وسلَّم بمن يزوره** ويسلِّمُ عليه ؛ فالأدلة عليها كثيرة جداً ، إذ لو اقتصرنا على العمومات لكفى ، ومن تلك العمومات[1]:

أ ـ سلام الزائر للقبور ، بقوله : (السلام عليكم) فلو كان الميت لا يسمع ، ولا يردُّ ، لكان عبثاً .

ب ـ ومعرفة الميت بمن يزوره .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : والسلف مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثارُ عنهم ؛ بأن الميتَ يعرف زيارة الحي له ، ويستبشر به .

ج ـ وسماع الأموات قرعَ نعال المشَيِّعين . كما في حديث أنس رضي الله عنه ، المتفق عليه[2].

---

(١) انظر : كتاب الروح لابن القيم (٥ ـ ١٦) فقد حشر من النصوص والأقوال للتدليل على ذلك الشيءَ الكثيرَ ، كما نقل الإجماع على ذلك . وانظر وفاء الوفاء (١٣٥١) وفيض القدير (٥ : ٤٨٧) وأهوال القبور لابن رجب (١١١ ـ ١١٦) باب معرفة بمن يزورهم ويسلِّم عليهم ، وشرح الصدور (٨٨ وما بعد) وجمع الشتيت للصنعاني (١٦٥ ـ ١٦٧) وغيرها .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الميت يسمع خفق النعال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ،... رقم (٧٠ ـ ٧٢).

د ـ وسؤال الملَكَين له . كما في حديث أنس رضي الله عنه الذي أشرت إليه ، وفي غيره أيضاً .

ففي هذا دليل على سماع الميت لما يفعله الأحياء بجواره .

هـ ـ وخطاب النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم لقتلى بدرٍ من المشركين ؛ بعد وضعهم في القليب ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عنهم بأنهم يسمعون ، ولكنهم لا يستطيعون ردَّ الجواب . كما في حديث أنس عن عمر رضي الله عنهما عند مسلم ، وحديث أبي طلحة رضي الله عنه عند البخاري[1]، وهو ثابت عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

فلو كانوا لا يسمعون لكان خطابهم عبثاً ، وحاشا أن يتكلم النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم بالعبث .

و ـ وعرض الأعمال على الأمواتِ من الأقاربِ والعشائرِ . وقد وردت نصوص كثيرة في ذلك .

ز ـ وتأذي الأموات بما يفعله الأحياء عند قبورهم ،...إلخ.

فكل ذلك وغيره يدل : على أن الأموات يسمعون ، ويشعرون بما يفعله الأحياء ، ويردّون ، ويأنسون ، ويفرحون ،...إلخ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ـ في الموضع المشار إليه : ويكفي في هذا تسميةُ المسلِّمِ عليهم زائراً ، ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائراً ، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره ، هذا هو المعقول

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب قتل أبي جهل . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : الباب السابق ، رقم (٧٦ ـ ٧٧).

من الزيارة عند جميع الأمم .

وكذلك السلام عليهم أيضاً ، فإن السلامَ على من لا يشعر ، ولا يعلم بالمسلِّمِ محال ، وقد علَّم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم أمتَه إذا زاروا القبور أن يقولوا : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ،...».

وهذا السلامُ والخطابُ والنداءُ لِمَوْجودٍ ؛ يَسمعُ ، ويُخاطب ، ويعقل ، ويرد ، وإن لم يسمع المسلِّمُ الردَّ ،...

وإذا صلى الرجل قريباً منهم شاهدوه ، وعلموا صلاتَه ، وغبطوه على ذلك ،... ثم ذكر عدداً من الآثار في التدليل على ذلك ، فانظره فإنه مهمٌ جداً في بابه ، والله تعالى أعلم .

وإذا كان الأموات : يسمعون السلامَ ممن يسلِّمُ عليهم ، ويردّون ، ويأنسون ، ويفرحون ،... وهذا كله عام ـ إذا كان ذلك من قرب ـ فالأنبياء والرسل عليهم السلام من باب أولى أن يكونوا كذلك ، والنبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم أولى أن يكون كذلك .

ومعرفةُ الميت لمن يزوره ممن كان يعرفه في الدنيا ، واستئناسُه به : هذا أمر عام ، وليس خاصّاً بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ما من أَحدٍ يمر بقبر أخيه المؤمنِ كان يعرفه في الدنيا ، فسلَّم عليه ، إلا عرفه ، وردَّ عليه السلام». رواه الإشبيلي وابن عبد البر ، وصححه الإشبيلي ، والعراقي ، وصاحب عون المعبود[1].

---

(١) الاستذكار (١ : ٢٣٤) والتذكرة (١٨٠ ـ ١٨١) والعاقبة (٢١١) وفيض القدير (٥ : =

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في تعليقه[1]: إن الشهداء بل كل المؤمنين إذا زارهم المسْلِمُ، وسلَّم عليهم، عرفوا به، وردوا عليه السلام.اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى[2]: هذا الحديث ونحوُه من الآثار؛ يدل على أن الزائرَ متى جاء؛ علِم به المزورُ، وسمع سلامَه، وأَنِس به، وردَّ عليه،...إلخ.

فإذا كان هذا في حق الميت المؤمن العادي، فكيف بالأنبياء عليهم السلام، بل فكيف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم؛ الذي أُعطي ما لم يُعْطَه أحد من الخلق؟ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والله تعالى أعلم.

لذا يكون معنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ السابق: ما من مسلم يسلِّم عليَّ عن قُرب؛ إلا ردَّ الله علي روحي، فأسمعه وأردّ عليه السلام، والله تعالى أعلم.

الحالة الثانية: وهي تبليغ الملائكة صلاةَ وسلامَ من يُصلِّي ويسلِّمُ عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بُعد.

وقد وردت نصوص كثيرة في ذلك. أقتصر على ذكر بعضها.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

= ٤٨٧) ووفاء الوفاء (١٣٥١) والروح (٥) وعون المعبود (٤ : ٥٢٢) وشرح الصدور (٨٨) وفيه تصحيح الإشبيلي، والمغني عن حمل الأسفار (٤ : ٤٩١) وجمع الشتيت (١٦٥ ـ ١٦٧) وفيه ذكر التصحيح أيضاً.

(١) وفاء الوفاء (١٣٥١).

(٢) انظر كتاب الروح لابن القيم ففيه كلام كثير في ذلك.

عليه وآله وسلَّم : «إن لله ملائكةً في الأرض سياحين ؛ يُبَلِّغوني عن أمتي السلام». رواه أحمد والنسائي والدارمي وعبد الرزاق وابن المبارك وابن أبي شيبة والبزار والطبراني وأبو يعلى برجال الصحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وابنُ القيم ، في آخرين[1].

فمن تكريم الله تعالى لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن جعل ملائكةً يسيحون في الأرض لينقلوا سلامَ من يسلِّم على رسوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا أُبلغ صلوات الله عليه وآله وسلَّم سلامَ هؤلاء المُسَلِّمِين ، ردَّ عليهم السلام ، كما أن هؤلاء الملائكة يبلغونه صلاة من يصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم أيضاً .

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقةُ ، فأَكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣٨٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٢) وسنن النسائي : كتاب السهو : باب السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٣ : ٤٣) وتحفة الأشراف (٧ : ٢١) وعمل اليوم والليلة (١٦٧ رقم ٦٦) وسنن الدارمي (٢ : ٢٢٥) ومصنف عبدالرزاق (٢ : ٢١٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٥١٧) وكشف الأستار (١ : ٣٩٧) والمعجم الكبير (١٠ : ٢٧٠ ـ ٢٧١ ، ٢٧١) ومسند أبي يعلى (٥ : ١٠٤) ط دار القبلة ، ومسند عبد الله ابن المبارك (٣٠ رقم ٥) والزهد له (٣٦٤) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٩٥) وموارد الظمآن (٥٩٤) والمستدرك (٢ : ٤١٢) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلَّم (٣٤ رقم ٢١) وشعب الإيمان (٢ : ٢١٧ ـ ٢١٨) وحياة الأنبياء (١١ ـ ١٢) وشرح السنة (٣ : ١٩٧) وأخبار أصبهان (٢ : ٢٠٥) وكتاب العظمة (٣ : ٩٩٠ ـ ٩٩١) وتاريخ بغداد (٩ : ١٠٤) ومجمع الزوائد (٩ : ٢٤) وجلاء الأفهام (٢٣) والصِّلات والبشر (٧٦).

معروضةٌ عليَّ». فقالوا : يا رسول الله ؛ وكيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أَرِمْتَ ؟ قال : يقولون : بليت ، قال : «إن الله حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن أبي شيبة والقاضي إسماعيل والطبراني والبيهقي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي ، وصححه النووي والحافظ عبد الغني وابن دحية ، وحسنه المنذري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلُّوا عليَّ ، فإن صلاتكم تَبلُغُني حيث كنتم». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والطبراني ، بإسناد صحيح ، وصححه النووي وابن نفيل ، وحسنه الفيروزأبادي[2].

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٨) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، رقم (١٠٤٧) وباب في الاستغفار ، رقم (١٥٣١) وسنن النسائي : كتاب الجمعة : باب إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الجمعة (٣ : ٩١ ـ ٩٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وآله وسلَّم رقم (١٦٣٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٥١٦) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١١٨) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٩١) والمستدرك (١ : ٢٧٨) والسنن الكبرى (٣ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩) وحياة الأنبياء (٨) وسنن الدارمي (١ : ٣٠٧) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٣٥ رقم ٢٢) والمعجم الكبير (١ : ١٨٦) ورياض الصالحين (٥٣٠) والأذكار (١٦٨) وتفسير ابن كثير (٣ : ٥١٤) وجلاء الأفهام (٣٥) والقول البديع (١٦٣) والصلات والبشر (٤٢) والترغيب والترهيب (٢ : ٧٦ ـ ٧٧).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٦٧) وسنن أبي داود : كتاب المناسك : باب زيارة القبور ، رقم (٢٠٤٢) وشعب الإيمان (٣ : ٤٩١) وحياة الأنبياء (١٠) والمعجم الأوسط (٨ : ٨١ ـ ٨٢) ورياض =

والنصوص في ذلك كثيرة جداً ، وقد توسعت ببيان الاستدلالات للحالتين في : (فضائل المدينة المنورة) وفي (الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم). فانظرهما إن شئت .

ولما كان النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم يسمع سلامَ المسلِّم عليه من قُرب من غير واسطة ، ويردُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم السلامَ على من سلَّم عليه ، لذا على ساكنِ المدينة وقاطِنها ونازِلها وزائرِها : الإكثارُ من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ليكسب هذه الفائدةَ الجليلةَ ؛ الذي لا يشاركه فيها إلا من فعل مثلَ فعله ، لأن المسلِّم عن بُعد والمصلِّيَ عن بُعد ، يُنقل سلامُهم وصلاتُهم بواسطة الملائكة ، ويرد عليهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بينما إذا كان عن قرب ؛ فيَرُدُّ بلا واسطة ، والله تعالى أعلم .

وقد ورد الحثُّ على الإكثار من الصلاة والسلام على المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما ورد التحذيرُ من عدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما ورد بيانُ عقوبة من سمع باسمه الشريف فلم يصلِّ عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما ورد بيانُ فضل وثواب المصلِّي والمسلِّم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقد ذكر الإمام ابنُ القيم رحمه الله تعالى في كتابه (جلاء الأفهام) فوائدَ كثيرةً كما ذكر الحافظُ السخاوي والإمام الفيروزأبادي رحمهما الله تعالى

= الصالحين (٥٣٠) والأذكار (١٦٨) وتفسير ابن كثير (٣ : ٥١٤ ـ ٥١٥) وجلاء الأفهام (١٨) والقول البديع (١٦٠) والصلات والبشر (٧٠).

فوائدَ كثيرة أيضاً ، وذكرتُ ذلك كلَّه في (فضائل المدينة المنورة) ثم زدتُ عليهم في : (الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم) حيث تتبعت الأحاديث التي وردت في الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وذكرتُ رواياتها وطرقَها ، والحمد لله على فضله وإنعامه .

ولا يسعني أن أذكر تلك الفوائد ، والفضائل الكثيرة ،... في هذا المختصر ، ولكنني سأشير إلى بعضها للتقريب .

فمما **يُعد من الحثِّ على الإكثار** ما مر في حديث أوس بن أوس رضي الله عنه ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قبض ،... فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيه ،...» .

ومن فوائد الإكثار من الصلاة على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : ما يناله المصلِّي على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا والآخرة .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن أَوْلى الناس بي يوم القيامة ، أكثرُهم عليَّ صلاةً». رواه البخاري في تاريخه ، والترمذي وحسنه ، وابن حبان وصححه ، وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار والبغوي وابن أبي عاصم ، في آخرين[1] .

---

(١) التاريخ الكبير (٥ : ١٧٧) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٤٨٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥٠٥) ومسند أبي يعلى (٨ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨) (٩ : ١٣) وشرح السنة (٣ : ١٩٦ ـ ١٩٧) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٩٢) وشرف أصحاب الحديث (٣٤ ـ ٣٥). وانظر : فتح الباري (١١ : ١٦٧) وجلاء =

فالمُكْثِرُ من الصلاة على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : يكون أقربَ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

كما فيه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها ـ كما قال الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى ، وأنهم أقرب الناس منه صلى الله عليه وآله وسلَّم كما قال ابن حبان رحمه الله تعالى ـ لكثرة صلاتهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قولاً وكتابةً ، والله تعالى أعلم[1].

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال : ...قلت : يارسول الله ؛ إني أكثر الصلاةَ عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال : «ما شئتَ». قال : قلت : الربعَ ؟ قال : «ما شئتَ ، فإن زدت فهو خير لك» قلت : النصفَ ؟ قال : «ما شئتَ ، فإن زدت فهو خير لك» قال : قلت : فالثلثين ؟ قال : «ما شئتَ ، فإن زدت فهو خير لك» قلت : أجعل لك صلاتي كلَّها .

قال : «إذاً تُكفى همَّك ، ويُغفرُ ذنبُك». رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والقاضي إسماعيل ، وعبد بن حميد ، وابن أبي عاصم ، والبيهقي ، وصححه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي ، وللحديث روايات وطرق كثيرة[2].

= الأفهام (٢٢) والصِّلات والبشر (٣٢) والمعجم الكبير (١٠ : ٢١) والجامع لأخلاق الراوي (٢ : ١٠٣).

(١) انظر : شرف أصحاب الحديث (٣٥) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٩٣) وانظر الصلات والبشر (٣٢ ـ ٣٣) لكلام ابن عساكر رحمه الله تعالى ، وغيرها .

(٢) مسند أحمد (٥ : ١٣٦) وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : الباب (٢٣) رقم (٢٤٥٧) والمستدرك (٢ : ٤٢١ ، ٥١٣) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٢٩ ـ =

ففي هذا الحديث الشريف فائدتان مهمتان : الأولى دنيوية ، وهي زوالُ الهمِّ . والثانية أخروية ، وهي : مغفرة الذنوب والآثام . فيكون هذا الحديث قد جمع بين سعادتي الدنيا والآخرة ، والله تعالى أعلم .

وأما **ثواب الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم** فالأحاديث فيها كثيرة جداً ، أقتصر على ذكر بعضها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من صلَّى عليَّ واحدةً ، صلّى الله عليه عشراً». رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أنه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «إذا سمعتم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقول ، ثم صلُّوا عليَّ ، فإنه من صلّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً ،...». رواه مسلم[2].

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم جاء ذاتَ يوم ، والبِشْرُ يُرَى في وجهه . فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا لنرى السرورَ في وجهكَ ؟ فقال : «إنه أتاني المَلَكُ [وفي رواية : جبريل

= ٣٠) ورواه مرسلاً أيضاً بسند صحيح (٢٨ ـ ٢٩) ومسند عبد بن حميد (١ : ـ ١٩٤ ـ ١٩٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥٠٤) (٢ : ٥١٧) والزهد لابن أبي عاصم (١٠٤ ـ ١٠٥) والحلية (١ : ٢٥٦) وشعب الإيمان (٢ : ١٨٧ ، ٢١٧). وانظر : الصلات والبشر (٣٧ـ ٣٨) والقول البديع (١٢٥ ـ ١٢٦) لبيان روايات هذا الحديث وطرقه . وانظر جلاء الأفهام (٣٤ ـ ٣٥) لبيان معنى الحديث ، ونقله عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى .

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٧٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... رقم (١١).

عليه السلام] فقال : يا محمد ؛ أما يُرضيك أن ربَّك عز وجل يقول : إنه لا يُصلِّي عليك أحدٌ من أُمتِك : إلا صليتُ عليه عشراً ، ولا يسلِّمُ عليكَ أحدٌ من أُمتكَ : إلا سلَّمتُ عليه عشراً ؟ قال : قلت : بلى». رواه أحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والنسائي وابن المبارك والدارمي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، ورواه إسماعيل القاضي في آخرين ، وجوَّد الحافظُ العراقي رحمه الله تعالى إسنادَه[1]. وله شواهد كثيرة .

وصلاةُ الله تعالى على المؤمِن المصلِّي على النبيِّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : هي إخراجٌ له من الظلمات إلى النور ، فهذه منقبةٌ جليلة ، وفائدة عظيمة ، فلو صلَّى الله تعالى عليه مرةً كفته ، فكيف أنه يصلي في كل مرة عشرَ صلوات ؟ أسأله تعالى أن يكرمنا بها أكرم به عباده الصالحين .

إضافة إلى كتابةِ عشر حسنات ، ومحوِ عشرِ سيئات ، ورفعِ عشرِ درجات ،... وقد ذكرت ذلك كلَّه في (الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم).

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٢٩ ـ ٣٠ ، ٣٠) وسنن النسائي : كتاب السهو : باب فضل التسليم على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وباب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٣ : ٤٤ ، ٥٠) والسنن الكبرى : كتاب صفة الصلاة : في البابين المذكورين (١ : ٣٨٠ ، ٣٨٤) وعمل اليوم والليلة (١٦٥) ومسند عبدالله ابن المبارك (٣٠ رقم ٥٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٥١٦) (١١ : ٥٠٥ ـ ٥٠٦) وسنن الدارمي (٢ : ٢٢٥) والمستدرك (٢ : ٤٢٠) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٩٦) والموارد (٥٩٤) وشعب الإيمان (٢ : ٢١٢) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٢١ ـ ٢٣ من طرق) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٢١٤) وشرح السنة (٣ : ١٩٦) والمعجم الكبير (٥ : ١٠٦) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٣٠٩) والمقاصد السنية (٤٤٠).

أما **عقوبة تارك الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا ذُكر عنده** ، فإن نصوصها كثيرة هي الأخرى ، أقتصر على ثلاثة أنواع .

ـ وصفه بالبخل :

فعن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «البخيلُ من ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ». رواه أحمد ، والترمذي وابن حبان والحاكم ، وصححوه ، والنسائي وأبو يعلى والطبراني وابن السني وابن أبي عاصم[1].

وقد ورد مثلُه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

ـ إرغام أنفه :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «رغِمَ أَنفُ رَجُلٍ ذُكرتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ ،...». الحديث ، رواه أحمد ، والترمذي وحسنه ، وصححه ابنُ خزيمة وابن حبان والحاكم ، ورواه البخاري في الأدب المفرد ، والقاضي إسماعيل والبزار[2].

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٠١) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «رغم أنف رجل» رقم (٣٥٤٦) وسنن النسائي الكبرى : كتاب فضائل القرآن : باب ذكر الاختلاف (٥ : ٣٤) وعمل اليوم والليلة (١٦٣ رقم ٥٥ ، ٥٦) وعمل اليوم والليلة لابن السني (٢٣٠ ـ ٢٣١) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٨٩ ـ ١٩٠) والمستدرك (١ : ٥٤٩) ومسند أبي يعلى (١ : ٣١٢) والمعجم الكبير (٣ : ١٣٧) والآحاد والمثاني (٢ : ٣١١) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٤١ ـ ٤٢) وشعب الإيمان (٢ : ٢١٣ ، ٢١٤).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٥٤) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٥٤٥) =

وقد ورد عن غيره في قصة صعوده صلى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر .

ـ إبعاده من الرحمة :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو على المنبر ، ودعاء جبريل عليه السلام ثلاث دعوات ، وطلب منه صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يؤمن عليهن ، ومنها قوله ـ : «...ومَن ذُكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك فأبعده الله . قل : آمين ، فقلت : آمين».

فقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، منهم : مالك بن الحويرث وابن عباس وكعب بن عجرة وأبو هريرة وأنس وعمار بن ياسر وجابر بن سمرة وعبد الله بن مسعود وغيرهم ، رضي الله عنهم ، وقد صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ورواه غيرهم[1].

فإذا أُضيف إلى ما ذُكر : الفضائلُ الأخرى مثل : طاعة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة والسلام على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وموافقته لله عز وجل في صلاته على نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكذا موافقته الملائكة فيها ، ورجاء الإجابة إذا قدَّم الصلاةَ على

= والأدب المفرد (٢٢٠ رقم ٦٤٦) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (رقم ١٦ ـ ١٨) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١٩٢ ـ ١٩٣) والمستدرك (١ : ٥٤٩) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٨٩) وكشف الأستار (٤ : ٤٩).

(١) انظر : المستدرك (٤ : ١٥٣ ـ ١٥٤) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١٩٢ ـ ١٩٣) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٨٨) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (رقم ١٩) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٣٢٨) وكشف الأستار (٤ : ٤٧ ـ ٤٩) والأدب المفرد (٢١٩ ـ ٢٢٠) ومجمع الزوائد (١٠ : ١٦٤ ـ ١٦٧).

الدعاء ، وخَتَم بها الدعاء ، وأنها سببٌ للشفاعة ، وغفران الذنوب ، وأنها تقوم مقام الصدقة لذوي العسرة ، وأنها سببٌ لقضاء الحوائج ، وسببٌ لصلاة الله عز وجل وملائكتِه على هذا المصلِّي على النبيِّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنها زكاةٌ له ، وسبب لبشارته بالجنة قبل موته ، والنجاةِ من أهوال يوم القيامة ، وأنها سببٌ لعرض اسمه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وذكرِه عنده ، ولردِّ النبيِّ الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم عليه صلاتَه وسلامَه ، وأنها سببٌ في إلقاء المصلِّي على طريق الجنة ، وإتمامِ نور العبد على الصراط ، ووفورِه ، وأنها سبب لنيل الرحمة ، ولدوام محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له ، وهدايته وحياة قلبه ، وتثبيت قدمه على الصراط ،...إلخ.

ولو لم يكن من الفوائد سوى صلاة الله جلت قدرته على المصلِّي على النبيِّ المصطفى الكريمِ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكذا قرب المصلي من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة وسعادته في الدنيا والآخرة ،... لكفاه ، فكيف وفيها فوائدُ كثيرةٌ ؛ زادت على الأربعين ؟.

لذا فكم يُفرِّطُ تاركُ الصلاةِ والسلامِ على رسول الله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، في ضياع تلك الفضائل والفوائد ؟

لذا على الساكن في المدينة ؛ ألا يبخلَ ولا يُقصِّرَ ولا يتوانى ،... عن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لما فيها من الفضائل ، والمآثر ، والفوائد ،... والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

الباب الثالث

مساجد المدينة المنورة ، وما يتعلق بها
وفيه ستة مباحث

أولاً : المسجد النبوي الشريف .

ـ المبحث الأول : بناء المسجد النبوي الشريف .

ـ المبحث الثاني : فضائل المسجد النبوي الشريف .

ـ المبحث الثالث : الروضة ، والمنبر الشربف .

ـ المبحث الرابع : الجذع ، والأسطوانات .

ثانياً : المساجد الأخرى .

ـ المبحث الخامس : مسجد قباء .

ـ الميحث السادس : المساجد الأخرى في المدينة المنورة .

الباب الثالث

مساجد المدينة ، وما يتعلق بها

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة ، ووصل إلى قباء ، ونزل في بني عمرو بن عوف ، لبث فيهم بضع عشرة ليلة ، وأسس فيها المسجدَ ـ مسجد قباء ـ الذي أُسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم راحلتَه يوم الجمعة وخرج صلى الله عليه وآله وسلَّم من قباء متوجهاً نحو المدينة ، فسار يمشي معه الناس ، وصلى الجمعةَ في بني سالم بن عوف ، في وادي رانوناء ـ وعُرف بمسجد الجمعة ـ ثم سار صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقالت الأنصار للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكر رضي الله عنه : اركبا آمِنَيْن مُطاعَيْن ،... وحفُّوا دونهما بالسلاح ، وحاول كلُّ بطنٍ من بطون الأنصار رضي الله عنهم أن ينزل عليهم ، فكان صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول لهم : «دعوها ، فإنها مأمورة». حتى وصل الركب الميمون إلى المدينة ، وبركت الراحلةُ عند مكان باب مسجده العامر ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، فصار الناس في المدينة يقولون : جاء نبي الله ، جاء نبي الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقد فرح المسلمون بوصول رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إليهم فرحاً شديداً ؛ لم يفرحوا بمثله أبداً .

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : ...ثم قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فما رأيتُ أهلَ المدينة فرحوا بشيء فرحَهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى جعل الإماءُ يقلن : قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... رواه البخاري[1].

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يسير حتى نزل جانبَ دار أبي أيوب رضي الله عنه ،... فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أي بيوت أهلنا أقرب ؟» فقال أبو أيوب : أنا يا نبيَّ الله ، هذه داري ، وهذا بابي ، قال : «انطلق فهيِّء لنا مقيلاً» فقال : قوما على بركة الله . كما رواه البخاري[2]. من حديث أنس رضي الله عنه .

ونزول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على أبي أيوب رضي الله عنه : هو نزولٌ على بني النجار ـ أخوال عبد المطلب ـ ليكرمهم بذلك ، وذلك حين تنازع الأنصار رضي الله عنهم أيهم ينزل عليه ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أنزل على بني النجار ، أخوال عبد المطلب ، أُكرمهم بذلك». كما في حديث البراء عند مسلم ، وأصله في الصحيحين[3].

وذلك أن أبا أيوب رضي الله عنه من بني النجار .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزهد : باب في حديث الهجرة ، رقم (٧٥).

وقد نزل صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيت أبي أيوب رضي الله عنه ـ في بادئ الأمر في الطابق السفلي ، ليكون أرفق بأصحابه رضي الله عنهم ، لكن أبا أيوب رضي الله عنه أبى ذلك .

فعنه رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم نزل عليه ، فنزل صلى الله عليه وآله وسلَّم في السفل ، وأبو أيوب في العلو ، قال : فانتبه أبو أيوب ليلةً ، فقال : نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فتنحّوا ، فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «السفلُ أَرفقُ» فقال أبو أيوب رضي الله عنه : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها ، فتحوَّل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في العلو ، وأبو أيوب في السفل ،... الحديث بطوله ، رواه مسلم[1]. وسيأتي بعضه بعد أسطر .

رحم الله تعالى أبا أيوب ، ورضي الله عنه ، وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقد أعطى المسلمين درساً في الأدب مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وكان أبو أيوب رضي الله تعالى عنه يرسل طعامَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا رجع تيمم موضعَ أصابعه صلى الله عليه وآله وسلَّم ليتبارك به ، فأرسل مرة ، فلما رجع لم يجد أثراً لأصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فارتاع ، فقال : يا رسول الله ؛ إني أرسل لك طعامك ، فإذا رجع تيممت موضعَ أصابعك ؛ أتبرك بها ، فرجع طعامُك فلم أر أثراً لأصابعك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني أناجي من لا تناجون».

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إباحة أكل الثوم ،... رقم (١٧١).

كما في حديثه رضي الله عنه السابق .

وفي فترة وجوده صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة : اتخذ عدةَ مساجد للصلاة فيها ، سواء أثناء غزواته ، أو في بيوت أصحابه رضي الله عنهم ، كما صلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في المساجد التي بناها أصحابه رضي الله عنهم ، كما ذكر صلوات الله عليه وآله وسلَّم فضائلَ بعض المساجد فيها ، كما حدثت أمورٌ مهمةٌ في تاريخ الدعوة أثناء وجوده صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وهذا ما سأذكر مختصره في هذا الكتاب بإذن الله تعالى ، من غير تطويل ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، ففيه الكفاية إن شاء الله تعالى .

لذا جعلت هذا الباب تحت فصلين :

الأول : في مسجده صلى الله عليه وآله وسلَّم العامر .

والثاني : في بقية المساجد الموجودة في المدينة في زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

راجياً منه عز وجل العونَ والتوفيقَ والقبولَ ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

المبحث الأول
بناء المسجد النبوي الشريف

لما قدم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة ونزل في بيت أبي أيوب رضي الله عنه ، أول شيء فعله صلى الله عليه وآله وسلَّم : هو بناء المسجد الشريف ، إضافة إلى بناء حُجَرِه التي سيسكن فيها مع زوجاته رضي الله عنهن . وسوف أذكر مختصراً لما تمَّ فيه البناء ، إضافة إلى وصف عام لما كان عليه المسجد الشريف في عهده صلى الله عليه وآله وسلَّم .

اختيار مكان المسجد الشريف :

وأما اختيار موضع المسجد فليس هو اختيار الناس ، ولكن الله عز وجل هو الذي عيَّن له ذلك ، ولهذا كان صلوات الله عليه وآله وسلَّم كلما مر بقوم من بطون الأنصار دعوه للنزول عندهم ، ويأخذون بخطام الناقة ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم : «دعوها ، فإنها مأمورة». كما سبق ذكره قبل قليل ، حتى أناخت عند باب المسجد .

شراؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم قطعة الأرض :

لقد كانت الأرض التي بُني عليها المسجد لغلامين يتيمين في حِجْر أسعد بن زرارة رضي الله عنه ، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم منهما .

وقد كان هذا الموضع مربداً للتمر ، وهو قطعة من بستان ، وفيه نخل ،

وخربٌ ، وقبورٌ للمشركين .

ففي رواية البخاري : ...ثم ركب راحلته [يعني من قباء] فسار يمشي معه الناس ، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين ، وكان آنذاك مِرْبداً للتمر ؛ لسُهيل وسَهل ؛ غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ حين بركت راحلته : «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا الغلامين ؛ فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : لا بل نهبُه لك يارسول الله ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يقبلَه منهما هبة ، حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً .

وطفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه ، وهو يقول :

هـذا الحِـمالُ لا حِمـالُ خيـبر   هـذا أَبَـرُّ ربّـنا وأطهـر

ويقول :

اللهـم إنَّ الأجـرَ أجـرُ الآخـرة   فـارحم الأنـصارَ والمهاجـرة

يتمثل بشعر رجل من المسلمين . كما رواه البخاري[1].

وقد كان في المكان خرب ونخل وقبور للمشركين ،...

فعن أنس رضي الله عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ، فنزل أعلى المدينة ، في حيٍّ يقال لهم : بنو عَمْرو بن عوف ، فأقام النبي صلى

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

الله عليه وآله وسلَّم فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً ، ثم أرسل إلى بني النجار ، فجاؤوا متقلدي السيوف ، كأني أنظرُ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم على راحلته ، وأبو بكر ردفه ، وملأ بني النجار حوله ، حتى ألقَى بفناء أبي أيوب ، وكان صلى الله عليه وآله وسلَّم يحب أن يصلِّيَ حيث أدركته الصلاةُ ، ويصلي في مرابض الغنم ، وأنه أَمَر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأٍ من بني النجار فقال : «يا بني النجار ؛ ثامنوني بحائطكم هذا». قالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .

فقال أنس : فكان فيه ما أقول لكم : قبورُ المشركين ، وفيه خِرَبٌ وفيه نخْلٌ ، فأمر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم بقبور المشركين فنُبشت ثم بالخرب فسوِّيَت ، وبالنخل فقُطع ، فصفوا النخلَ قبلةَ المسجد ، وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون اللَّبِن وهم يرتجزون ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم معهم ، وهو يقول :

اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة ... فاغفر للأنصارِ والمهاجرة

متفق عليه[1].

والجمع بين قوله : فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يقبله منهما هبة ، حتى ابتاعه منهما ، وبين قول بني النجار : لا والله لا نطلب ثمنَه إلا إلى الله .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ، وكتاب مناقب الأنصار : الباب السابق ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب ابتناء مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٩).

ـ يحتمل أن النفر النجارين رفضوا كما رفض الغلامان ، في بادئ الأمر ، لكن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أبى أن يرزئ الأيتام رحمة بهم ، وحتى لا يكون لأحد حظ في المسجد ، فاشتراه من الغلامين .

ـ ويحتمل أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لما سأل النفر النجارين فرفضوا إلا الهبه ؛ أرسل إلى الغلامَين فاشتراه منهما .

ـ كما يحتمل أن الذين قالوا : لا نطلب ثمنَه إلا إلى الله . أرادوا أن يتحمَّلوا ثمنَه للغلامَين ، ولكن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ما أراد أن يرزئهم بذلك ، لذا كان هو الذي ابتاعه ، والله تعالى أعلم .

وأما طريقة بنائه :

لقد كان بناؤه في زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بسيطاً : فقد بناه صلى الله عليه وآله وسلَّم أولاً بالجريد ، ثم بناه صلى الله عليه وآله وسلَّم باللَّبِن بعد أربع سنوات من الهجرة ، كما قال الزبير بن بكار[1] .

وقد توسعت في الأصل في بيان ذلك ، وذكرت النصوصَ الدالةَ على ذلك ، كما ذكرت ما يعترض أو يتوهم ، وذكرت الجواب على ذلك أيضاً ، فانظره إن شئت .

جعل سقف المسجد من الجريد :

لقد كان سقف المسجد النبوي الشريف من جريد النخل ؛ طيلة حياة

---

(١) انظر الأصل (٢ : ١٢٩وما بعد) لبيان الجمع بين النصوص ، والرد على من زعم أن البناء الأول كان باللَّبِن ، وإنما اللَّبِن كان بعد ذلك بدهر .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، واستمر كذلك ؛ إلى زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه ، مع تجديد أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما له ، لكنهما أبقياه على ما كان زمنَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : إن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مبنيّاً باللَّبِن وسقفُه الجريدَ ، وعمدُه خشبَ النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عُمرُ ، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم باللَّبِن والجريد ، وأعاد عمدَه خشباً ، ثم غيَّره عثمانُ ، فزاد فيه زيادةً كثيرةً ، وبنى جدارَه بالحجارة المنقوشة والقَصَّة ، وجعل عمدَه من حجارة منقوشة ، وسَقَفَه بالساج . رواه البخاري[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم العشر الوسطى من رمضان ، فخرجنا صبيحةَ عشرين ، فخطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : «إني أُريت ليلةَ القَدْر ، وإني نُسِّيتُها ـ أو أُنْسِيتُها ـ فالتمسوها في العشر الأواخر من كلِّ وتر ، وإني أُريت أني أسجد في ماء وطين ، فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فليرجع». قال : فرجعنا ، وما نرى في السماء قزعةً . قال : وجاءت سحابة ؛ فمُطِرْنا ، حتى سال سقف المسجد ـ وكان من جريد النخل ـ وأُقيمت الصلاةُ ، فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يسجد في الماء والطين .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب بنيان المسجد .

قال : حتى رأيتُ أثرَ الطين في جبهته صلى الله عليه وآله وسلَّم . متفق عليه[1].

فدلف المسجد لأن سقفَه كان من الجريد والخوص ، ولم يكن محكمَ البناء حتى يُكن من المطر ، إذ ليس فيه خشب وطين ، كما هو في سائر السقوف ، والله تعالى أعلم .

قِبلةُ المسجد الأولى إلى بيت المقدس ، ثم حُوِّلت إلى الكعبة :

لقد كانت قبلة المسجد النبوي يوم إنشائه إلى بيت المقدس . ولم تكن إلى الكعبة المشرفة ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يصلي متوجهاً إلى بيت المقدس ؛ ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، ثم حوّلت القِبلةُ إلى الكعبة . وهذا مما يدل على أن السنةَ النبويةَ وحيٌ ، وقد توسعت في بيان ذلك ، في عدد من كتبي ، وخاصة (السنة النبوية وحيٌ).

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيت المقدس : ستةَ عشرَ شهراً ، حتى نزلت الآيةُ التي في سورة البقرة ﴿...وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[2] فنَزَلَتْ بعدما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضل ليلة القدر : باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب فضل ليلة القدر ، رقم (٢١٣ ـ ٢١٧).

(٢) سورة البقرة (١٤٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب الصلاة من الإيمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحويل القبلة ،... رقم (١١).

وفي رواية عندهما[1] عنه رضي الله تعالى عنهما قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نحوَ بيت المقدس ستةَ عشر شهراً أو سبعةَ عشر شهراً ، ثم صُرفنا نحو الكعبة .

وروى مسلم[2] نحوه من حديث أنس رضي الله عنه . كما ورد نحوُه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وقد كان تحويل القبلة في النصف من شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح . وبه جزم الجمهور ، وذلك لأن القدوم في شهر ربيع الأول بلا خلاف ، لذا فمن قال : ستة عشر فقد حذف الكسر ، ومن قال : سبعة عشر فقد جبر الكسر ، ومن شك فقد تردد في ذلك ، وثمة أقوال شاذة ، والله تعالى أعلم .

أبواب المسجد الشريف :

لقد كان للمسجد النبوي الشريف نوعان من الأبواب ؛ أبواب عامة ، وأبواب خاصة .

فالأبواب العامة : هي التي تُفتح على الشوارع والطرقات العامة ، ويستعملها عامة المسلمين ، وقد كان له عدة أبواب عامة .

وأما الأبواب الخاصة : فقد كانت لبعض الصحابة الذين كانت بيوتهم ملاصقة لجدران المسجد ، وهي تفتح من بيوتهم على المسجد مباشرة ، فلما

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة البقرة : باب ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥).

أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بإغلاق الأبواب الخاصة ؛ فتحوا خوخات لبيوتهم ، تفتح على المسجد مباشرة ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في آخر حياته بإغلاقها جميعاً باستثناء خوخة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه . كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، وقد توسعت في الأصل في بيان النوعين من الأبواب (العامة والخاصة) والخوخات ، فانظرها فيه[1].

ولم يكن للمسجد منبر ؛ يخطب عليه النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم في العيد والجمعة وغيرهما ، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يخطب قائماً معتمداً على جذع نخل ، حتى صُنع له المنبر بعد خيبر ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

توسعة المسجد بعد خيبر :

لقد وسع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المسجد بعد غزوة خيبر ، حين كثر عددُ المسلمين ، وضاق المسجد بهم ، فلم يعد يتسع لجموعهم ، وعرض النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك على صاحب الأرض ، فاعتذر ، فاشتراها منه عثمان رضي الله عنه ، وهي القطعة الكائنة غربَ الروضة الشريفة ـ وهي من ثاني صف من الأساطين غرب المنبر الشريف ، حتى نهاية الأساطين التي كُتب في أعلاها : مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، فتكون ثلاثة أساطين ـ وأدخلها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم في المسجد ، على أن لعثمان رضي الله عنه مثلها في الجنة ، ومثل أجر من صلَّى فيها أيضاً .

---

(١) فضائل المدينة المنورة (٢ : ١٦٦ ـ ١٨١).

فعن عثمان رضي الله عنه ـ في قصة الدار ، يومَ مقتله رضي الله عنه ، وقد دعا عدداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنهم ، وذكر بعضَ فضائله رضي الله عنه وأرضاه ، وفيه قوله ـ : أُنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجدَ ضاق بأهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من يشتري بقعةَ آل فلان ، فيزيدها في المسجد ، بخير منها في الجنة» فاشتريتُها من صلب مالي ،... الحديث بطوله ، رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي وأحمد وابنه وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم وابن خزيمة وإسحٰق وابن حبان ، في آخرين[1].

واشترك النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في بنائه معهم ، وبناه باللَّبِن .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنهم كانوا يحملون اللَّبِن إلى بناء المسجد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم معهم ، قال : فاستقبلتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو عارض لبنةً على بطنه ، فظننت أنها شقَّت عليه ، فقلت : ناولنيها يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، قال : «خذ غيرها يا أبا هريرة ، فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة». رواه أحمد

---

(١) مسند أحمد (١ : ٧٠ ، ٧٤ ـ ٧٥) وفضائل الصحابة (١ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٩ ـ ٤٠) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، رقم (٣٧٠٣) وسنن النسائي : كتاب الأحباس : باب وقف المساجد (٦ : ٢٣٣ ـ ٢٣٦) وتحفة الأشراف (٣ : ٢٧٩) والسنة (٢ : ٥٩٣ ، ٥٩٤) وسنن الدار قطني (٤ : ١٩٥ ـ ١٩٨) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٦٢) والموارد (٥٤١ ، ٥٤٢) وفتح الباري (٧ : ٤٠٨).

برجال الصحيح[1].

ومعلوم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه هاجر يوم غزوة خيبر ، ووصلها بعد فتحها . وفي هذا رد على من ظن أن هذا البناء كان في الأول ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ في قصة بناء المسجد ـ قال : كنا نحمل لَبِنَةً لَبِنَةً ، وعمارُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْن ، فرآه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فينفضُ الترابَ عنه ، ويقول : «ويح عمار ؛ تقتله الفئةُ الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار» قال عمار : أعوذ بالله من الفتن . رواه البخاري[2].

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم لأنه متواتر .

وانظر الأصل لبيان خطأ من ظن أن بناءَه باللبن كان في الأول .

تعيين القبلة :

لما تحولت القِبلةُ من بيت المقدس إلى الكعبة ـ وأراد النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم تثبيتَ قِبلة المسجد ـ أتاه جبريل عليه السلام ، فأقام له جهةَ القبلة ، لذا صارت قبلةُ المسجد النبوي الشريف وكذا قبلةُ مسجد قباء ـ لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي بناه ـ أعدلَ قبلةٍ لمساجد الأرض قاطبة . وقد أوضحت ذلك في الأصل ، فانظره ، والله تعالى أعلم .

الإشارة إلى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم :

لما بدأ النبيُّ المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ببناء المسجد :

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٨١) ومجمع الزوائد (٢ : ٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب التعاون في بناء المسجد ، وفي غيرهما .

وضع لَبِنَةً ، ثم أمر أبا بكر رضي الله عنه فوضع لَبِنَةً إلى جنبها ، ثم جاء عمر رضي الله عنه ، فوضع لَبِنَةً بجوار لَبِنَةِ أبي بكر ، ثم جاء عثمان رضي الله عنه ، فوضع لَبِنَةً بِجوار لَبِنَةِ عمر ، ثم جاء علي رضي الله عنه ، فوضع لَبِنَةً بجوار لَبِنَةِ عثمان رضي الله عنه ، وقد ثبت ذلك من طرق كثيرة . وقد ذكرتها في الأصل ، فانظره .

وفي ذلك إشارة إلى خلافتهم رضي الله عنهم[1] .

مكان أهل الصُّفة :

ومما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم - بعد تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة : أن خصص مكاناً للمهاجرين الفقراء ، الذين هم أضياف الإسلام ، الذين لا أهل لهم ولا نساء . وعددُهم غير محصور ، فهم يكثرون ويقلون ، حسب الأحوال والأزمنة ،... وهو في الجهة الشمالية الشرقية . كما خص مكاناً للنساء أيضاً . وانظر الأصل ، فقد توسعت في بيان ذلك ، والله تعالى أعلم .

تأسيس المسجد على التقوى من أول يوم :

إن المسجدَ النبويَّ الشريفَ أُسس على التقوى من أول يوم ، لأن الذي أسسه وبناه هو : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعمل صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه بيده الشريفة ، وحمل اللَّبِن بين ذراعيه ، وشاركه عامَّةُ الصحابة الكرام من مهاجرين وأنصار رضي الله عنهم .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ؛ أيُّ

(١) فضائل المدينة المنورة (٢ : ١٤٧ - ١٦٥).

المسجدين الذي أُسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفّاً من حصباء فضرب به الأرض ثم قال : «هو مسجدُكم هذا» (لمسجد المدينة). رواه مسلم[1].

وفي رواية أحمد ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه ، وابن أبي شيبة وأبي يعلى وغيرهم[2] «هو هذا المسجد مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي ذلك خير كثير».

وارجع إلى الأصل ، فقد ذكرتُ الجمع بين هذا الحديث ، وبين حديث مسجد قباء . ولله الحمد والمنة .

المسجد النبوي آخر مساجد الأنبياء عليهم السلام :

لما جعل الله سبحانه وتعالى نبيَّه المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم آخرَ الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وخاتمَهم ، وجعل دينَه خاتمَ الأديان السماوية ،... كذلك جعل مسجدَه العامرَ خاتمةَ مساجد الأنبياء عليهم السلام .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ ـ أو أفضلُ ـ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، فإني آخرُ الأنبياء ، وإن مسجدي آخرُ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٥١٤).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢٣ ، ٩١) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في المسجد الذي أُسس على التقوى ، رقم (٣٢٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٧٢) وصحيح ابن حبان (٤ : ٥٠٦) والمستدرك (١ : ٤٨٧) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٧٢ ـ ٢٧٣) وشرح السنة (٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤١) وانظر الدر المنثور ، ففيه زيادة .

المساجد». متفق عليه، واللفظ لمسلم[1].

وذلك لأن أول مسجد وُضع في الأرض : هو المسجدُ الحرام ، ثم المسجد الأقصى .

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ؛ أيُّ مسجدٍ وُضع في الأرض أولُ ؟ قال : «المسجد الحرام» قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : «المسجد الأقصى» قلت : كم كان بينهما ؟ قال : «أربعون سنةً» ثم قال : «حيثُما أدركتْك الصلاةُ : فَصَلِّ ، والأرضُ لك مسجد». متفق عليه[2].

فأول من بنى المسجد الحرام (الكعبة) هو آدم عليه السلام ، ولما انتشر أولاده في الأرض ؛ بنى أحدُ أولاده المسجدَ الأقصى ، ثم جدَّد إبراهيم عليه السلام بناء الكعبة المشرفة ، كما جدَّد داود وسليمان عليهما السلام المسجدَ الأقصى . لأنه لا يصح أن يقال : أول من بنى الكعبةَ : إبراهيمُ عليه السلام ، وأول من بنى المسجدَ الأقصى : داودُ وسليمان عليهما السلام ، لأن بين إبراهيم عليه السلام وداود وسليمان عليهما السلام مئات السنين ، بل أكثر[3]، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ، رقم (٥٠٥ ـ ٥٠٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب حدثنا موسى بن إسماعيل ، وباب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ...﴾. وصحيح مسلم : كتاب المساجد : الباب الأول ، رقم (١ ـ ٢).

(٣) انظر : فتح الباري (٦ : ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

المبحث الثاني
فضائل المسجد النبوي الشريف

لهذا المسجد الشريف فضائل كثيرة ، سواء من حيث أجرُ الصلاة فيه ، أو تعيينُ شدّ الرحل إليه ، أو من حيث حال من يأتيه ، أو من حيث من يمكث فيه ،...إلخ، لذا سأذكر بعض ما جاء في ذلك :

مضاعفة أجر الصلاة في المسجد النبوي الشريف :

فمن فضائل المسجد النبوي الشريف ، وكله فضائل ؛ مضاعفةُ أجر الصلاة فيه بأكثر من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام ، وهو شامل للفريضة والنافلة إن شاء الله تعالى .

وقد تواتر[1] هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ حيث رواه كثير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأسانيد صحاح وحسان .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «صلاةٌ في مسجدي هذا : خيرٌ ـ أو أفضلُ ـ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام». متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «صلاة في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاة

---

(١) انظر : نظم المتناثر (٥٤) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (٨٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ، رقم (٥٠٥ـ٥٠٨).

فيما سواه إلا المسجد الحرام». رواه مسلم[1].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إن امرأة اشتكت شكوى ، فقالت : إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس ، فبرأت ، ثم تجهزت تريد الخروج ، فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم تُسلِّمُ عليها ، فأخبرتها ذلك ، فقالت : اجلسي ، فكلي ماصنعتِ ، وصلِّي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإني سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «صلاةٌ فيه أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا مسجد الكعبة». رواه مسلم[2].

وقد ورد مثلُ ذلك عن عدد كبير من الصحابة : كعائشة وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وجُبَير بن مُطْعِم وجابر بن عبد الله وأنس وأبي الدرداء وعلي وأبي سعيد والأرقم بن أبي الأرقم ،...إلخ، وغيرهم رضي الله عنهم .

وهنا أمور :

١ـ كل الروايات جاءت عامّةً ، غيرَ مقيدة بمسجد : «خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد».

لكن جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم ، تعليل ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «فإني آخر الأنبياء ، وإن مسجدي آخر المساجد».

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٠٩). وانظر : التمهيد (٦ : ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥١٠).

فظاهر هذه الرواية مشعر بأن التفضيل : إنما هو بالنسبة لمساجد الأنبياء عليهم السلام ، لا مطلق المساجد .

ويدل على ذلك : ورودُ روايات فيها إعلانُ مضاعفة الصلاة على الصلاة في المسجد الأقصى أو غيره ، بأكثر من ذلك . أشرت إليها في فضائل المدينة المنورة .

٢ـ ما معنى قوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم : «إلا المسجد الحرام» ؟

جاء في كل الروايات لهذا الحديث هذا الاستثناء ، وقد اختُلِف في هذه المسألة على أربعة أقوال :

أ ـ المساواة في الفضل بين المسجدين ، فالصلاة فيهما واحدة ، كما رجحه ابن بطال رحمه الله تعالى ، لكن هذا متعقب .

ب ـ الصلاةُ في المسجد النبوي الشريف : أفضلُ من الصلاة في سائر المساجد بألف ، إلا المسجد الحرام ، فإن الصلاةَ فيه أفضلُ من الصلاة في المسجد الحرام ، لكن بدون الألف . وقد حددها بعضهم بتسعمائة ، وهذا مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى وموافقيه .

وهذا متعقب أيضاً ، كما قال ابن عبد البر المالكي رحمه الله تعالى .

ج ـ الصلاة في المسجد النبوي الشريف أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف ، إلا المسجد الحرام ، فإن الصلاةَ فيه أفضل من الصلاة في المسجد النبوي بمائة ، وهذا هو ظاهر حديث ابن الزبير وجابر وابن عمر رضي الله عنهم ، وهو مذهب الجمهور بما فيهم الشافعية والحنفية والحنابلة ، والله تعالى أعلم .

قال الحافظ ابن عبد البر المالكي رحمه الله تعالى[1]: قال عامةُ أهل الأثر والفقه : الصلاة في المسجد الحرام أفضلُ من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمائة صلاة.اهـ.

د ـ هو التوقف ، وهذا ما ذهب إليه الإمام الباجي رحمه الله تعالى .

لكن الذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ من حيث قوة الدليل ـ قوةُ مذهب الجمهور ، وهو الأرجح .

٣ـ هل المضاعفة تختص بالفرض أم تشمل النافلة ؟

أ ـ ذهب الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى إلى أن المضاعفةَ في المساجد الثلاثة ـ المسجد النبوي والمسجد الحرام والمسحد الأقصى ـ خاصة بالفرض دون النافلة ، وأن هذا هو مذهب الإمام أبي حنيفة ومحمد بن الحسن رحمهما الله تعالى .

ب ـ وذهب الجمهور ـ ومعهم أبو يوسف القاضي ـ رحمهم الله تعالى : إلى أن المضاعفةَ شاملةٌ لصلاة الفرض والنافلة معاً .

قلت : ولفظ الحديث : «صلاةٌ في مسجدي هذا». يدل على العموم ، لأنها جاءت نكرة ، ولو أراد الفرض ـ وهو المعهود ـ لقال : الصلاة ، بالتعريف ، والله تعالى أعلم .

٤ـ هل المضاعفة خاصة بما كان في زمانه صلوات الله عليه وآله وسلَّم أم تشمل الزيادة ؟

---

(١) التمهيد (٦ : ١٨) وانظر : شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٩ : ١٦) وعمدة القاري (٧ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧) وإعلام الساجد (١١٥ ـ ١١٩) وشرح الأبي والسنوسي (٣ : ٤٧٨) وتنوير الحوالك (١ : ٢٠٢) ووفاء الوفاء (٢ : ٤١٨) وفتح الملهم (٣ : ٤١٧).

لقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة على قولين ؛ ذكرتُهما في الأصل .

أحدهما : هي خاصة بما كان في زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وثانيهما : تشمله ، كما تشمل مازاد بعد ذلك ، ولكن رحمة الله تعالى واسعة[1]، والله تعالى أعلم .

٥ـ هل المضاعفة تختص بالثواب أم تتعدى إلى الإجزاء ؟

إن المضاعفة ترجع : إلى زيادة الثواب والأجر في الصلاة لا غير ، ولا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الفوائت ، فمن فاتته صلوات ـ قليلة أو كثيرة ـ لا يُجزئ عنها مجردُ صلاةٍ في المسجد النبوي ، أو المسجد الحرام . بل لابد من قضائها . ولا أعلم خلافاً بين العلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم .

٦ـ إن الصلاة في المسجد النبوي تزيد على الألف ، لا أنها تعادل الألف ، لأن الروايات كلها جاءت بلفظ «خير من ألف» «أفضل من ألف» والله تعالى أعلم .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : واعلم أن الصلاة في مسجد المدينة تزيد على فضيلة الألف فيما سواه ـ إلا المسجد الحرام ـ لا أنها تعادل الألف ، بل هي زائدة على الألف ، كما صرحت به هذه الأحاديث.اهـ ، والله تعالى أعلم .

فضل من صلى فيه أربعين صلاة :

ومن فضائل المسجد النبوي الشريف ؛ أن من صلى فيه أربعين صلاةً

(١) انظر الأصل (٢ : ٢١٥ـ٢١٨).

متواصلةً ، لا تفوته صلاة ، أعطاه الله تعالى ثواباً جزيلاً ، ومنحه مزايا جليلة ، وأكرمه بعدد من الإكرامات .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاةً ، لا تفوته منها صلاةٌ ؛ كُتبت له براءةٌ من النار ، ونجاةٌ من العذاب ، وبَرِيَء من النفاق». رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات . وقال الهيثمي : روى الترمذي بعضَه ، وقال المنذري : رواته رواة الصحيح[1]. وله شواهد متعددة ، ذكرتُها في الأصل .

وقد يستكثر بعضُ الناس هذا الفضلَ من الله تعالى ، وتَكَرُّمَه على هذه الأمة . وهذه غفلة ، ولعلهم لم يتذكَّروا فضلَ الله تعالى ، وكرمَه على هذه الأمة ، وأن الله تعالى لا يُسأل عما يَفعل ، وقد يُكرِم عبداً على فعلٍ قليلٍ بإكرامات كثيرةٍ ، إذا علم صدقَ نيته وقصده ، كما قد يعاقب على الذنب الصغيرِ العقوبةَ الكبيرة ، لما فيها من جرأة وتجن . وأذكر بعض النماذج القليلة في ذلك .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «دخلت امرأةٌ النارَ في هرةٍ ربطتها ، فلم تُطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٥٥) والمعجم الأوسط (٥ : ٣٢٥) ومجمع البحرين (٣ : ٢٨٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٨) والترغيب والترهيب (٣ : ٥٠ ـ ٥١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب تحريم تعذيب الهرة ، رقم (١٥١).

وسلَّم : «بينما كلبٌ يُطيف بركِيَّةٍ قد كاد يقتله العطشُ ، إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت مُوقَها ، فاستقت له به ، فسقته إياه ، فغُفر لها به». متفق عليه[1].

فقد أدخل الله عز وجل النارَ امرأةً في هرة حبستها ، وغَفَر لِبَغِيٍّ بكلب سقته ، وشكر لها . فأيهما أولى بالفضل والعطاء والرحمة ؟

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ما من عبدٍ يصوم يوماً في سبيل الله ؛ إلا باعَدَ الله وجهَه عن النار سبعين خريفاً». متفق عليه[2].

صوم يومٍ تطوُّعاً ؛ جزاؤه الابتعاد عن النار سبعين سنة ؟!!!

وعن عثمان رضي الله تعالى عنه ـ وقد توضأ أمامهم ، ثم قال ـ : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم توضأَ نحوَ وُضوئي هذا ، ثم قال : «من توضأ نحوَ وُضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين ، لا يُحدِّثُ فيهما نفسَه ؛ غُفر له ما تقدَّم من ذنبه». متفق عليه[3].

وضوءٌ وصلاةُ ركعتين ـ من غير تحديث نفس ـ : سببٌ لغفران ما تقدَّم من الذنوب ؟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب حدثنا أبو اليمان ـ وهو آخر باب فيه . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب فضل ساقي البهائم ،... رقم (١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الصوم في سبيل الله . وصحيح مسلم : كتاب الصوم : باب فضل الصيام في سبيل الله ،... رقم (١٦٧ ، ١٦٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب المضمضة في الوضوء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب صفة الوضوء ، رقم (٤٥٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «بينما رَجلٌ يمشي في الطريق ، وجد غصنَ شوكٍ على الطريق فأخَّرَه ، فشكر الله له ، فغَفَر له». رواه مسلم[1].

رفعُ غصنِ شجرةٍ أو شوكٍ من الطريق ؛ حتى لا يؤذي المسلمين : سببٌ لشكر الله عز وجل ، وغفران ذنوب هذا الفاعل ، مع أنه فعل مرة واحدة .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا يلج النارَ رجلٌ بكى من خشية الله ، حتى يعود اللَّبَنُ في الضرع ،...». الحديث . رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجه ، في آخرين ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

من بكى مرة واحدة من خشية الله تعالى لم يدخل النار ، فما هذا الفضل والكرم ؟.

وعن عقبة بن عامر ، عن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «...ما منكم من أحد يتوضأ فيُبْلِغُ ـ أو فيُسْبغُ ـ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الرباط في سبيل الله عزوجل ، رقم (١٦٤).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٥٠٥) وسنن الترمذي : كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ، رقم (١٦٣٣) وكتاب الزهد : باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله ، رقم (٢٣١١) وسنن النسائي : كتاب الجهاد : باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (٦ : ١٢) وفي السنن الكبرى (٣ : ٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الجهاد : باب الخروج في النفير ، رقم (٢٧٧٤) مختصراً ، ومسند الطيالسي (٣٢٠) ومنحة المعبود (١ : ٢٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٥ : ٣٠٤) (١٣ : ٣٥١) موقوفاً ، وصحيح ابن حبان (١٠ : ٤٦٧) مختصراً ، والمستدرك (٤ : ٢٦٠) والزهد لوكيع (١ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠) والزهد لهناد (١ : ٢٦٨).

الوضوءَ ، ثم يقولُ : أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُ الله ورسولُه ؛ إلا فُتِحت له أبوابُ الجنة الثمانية ، يدخل من أيِّها شاء». رواه مسلم[1].

وضوءٌ ، ثم قولُ هذا الدعاء الكريم بعده : سببٌ لفتح أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء ، فما هذا العطاء والكرم الإلهي ؟؟؟

وهناك غيرها كثير .

من جاء هذا المسجد معلِّماً ، أو مُتعلِّماً ؛ فهو كالمجاهد في سبيل الله تعالى :

ومن فضائل هذا المسجد الشريف أن من جاءه معلِّماً ، أو متعلِّماً ، فهو كالمجاهد في سبيل الله عز وجل ، وهذه مرتبة عالية سامية شريفة ، حيث إنها شملت العالِم والمتعلِّم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «من جاء مسجدي هذا ـ يعني : مسجدَ المدينة ـ لم يأته إلا لخيرٍ يُعلِّمُه أو يَتَعَلَّمُه ؛ فهو بمنزلةِ المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءَه لغير ذلك ؛ فهو بمنزلة الرجل ينظرُ إلى متاعِ غيره». رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه وأبو يعلى ، وصححه الحاكم وابن حبان والبوصيري ، وأقره الذهبي[2]. وله شواهد متعددة .

وقد ورد هذا عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب الذكر المستحب عقب الوضوء ، رقم (١٧).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٥٠ ، ٤١٨ ، ٥٢٦ ـ ٥٢٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٧١) (١٢ : ٢٠٩) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب فضل العلماء ، والحث على طلب العلم ، رقم (٢٢٧) ومسند أبي يعلى (١١ : ٣٥٩) والمستدرك (١ : ٩١) وصحيح ابن حبان (١ : ٢٨٧ ـ ٢٨٨) ومصباح الزجاجة (١ : ٣١).

ثواب من يخرج من بيته يريد هذا المسجد :

ومن فضائل المسجد النبوي الشريف ؛ أن من خرج من بيته ـ ولو كان بأقصى الدنيا ـ يريد هذا المسجد الشريف لصلاةٍ فيه ، أو تعليم ، أو نحو ذلك ، فإن الله تعالى يكرمه بكتابة خُطاه ، وتكثيرِ حسناته ، وحطِّ سيئاته ـ إن كان له سيئات ـ ثم إن الله عز وجل عمَّم ذلك في جميع مساجد المسلمين بعد ذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «من حِين يَخرجُ أحدُكم من بيته إلى مسجدي ؛ فرجْلٌ تكتب حسنةً ، وأخرى تمحو سيئةً [حتى يرجع]». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وعبد بن حميد والمروزي ، والحاكم وابن حبان وصححاه ، وأقره الذهبي[1] .

وقد عنون ابن حبان رحمه الله على هذا الحديث بقوله : (ذكرُ الخبر الدَّال على أن الخارج من بيته : يريد مسجدَ المدينة ، من أي بلدٍ كان ؛ يُكتب له بإحدى خطوتيه حسنةٌ ، ويُحطُّ عنه بأخرى سيئة ، إلى أن يرجع إلى بلده).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رجلٌ من الأنصار ؛ بيتُه أقصى بيتٍ في المدينة ، فكان لا تخطئه الصلاةُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فتوجعنا له ، فقلت له : يا فلان ؛ لو أنك اشتريت حماراً ؛ يقيك من الرمضاء ، ويقيك من هوامِّ الأرض ، قال : أمَ والله ما أحبُّ أن بيتي

(١) مسند أحمد (٢ : ٣١٩ ، ٤٣١ ـ ٤٣٢ ، ٤٧٨) وسنن النسائي : كتاب المساجد : باب الفضل في إتيان المساجد (٢ : ٤٢) والمستدرك (١ : ٢١٧) وصحيح ابن حبان (٤ : ٥٠٣) ومسند عبد بن حُميد (٤٢٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٢٠٧) وتعظيم قدر الصلاة (١ : ١٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٦٢).

مطَنَّبٌ ببيت محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، قال : فحملتُ به حملاً ، حتى أتيتُ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأخبرته ، قال : فدعاه ، فقال له مثلَ ذلك ، وذكر له أنه يرجو في أَثَره الأجرَ ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن لك ما احتسبتَ». رواه مسلم[1].

وفي رواية له[2] عنه رضي الله عنه : قال : إني أريد أن يُكتب لي ممشايَ إلى المسجد ، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «قد جمع الله لك ذلك كلَّه».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : كانت ديارنا نائيةً عن المسجد ، فأردنا أن نبيع بيوتَنا ، فنقترب من المسجد ، فنهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : «إن لكم بكل خطوة درجةً». رواه مسلم[3].

وفي رواية له[4] عنه رضي الله تعالى عنه ، بنحوه ، وفيه ، فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلَّم : «يا بني سَلِمَة ؛ ديارَكُم ، تُكتَبْ آثارُكُم ، ديارَكُم ، تُكتَبْ آثارُكُم».

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : أراد بنو سَلِمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد [وفي رواية : أن يتحولوا عن منازلهم ، فينزلوا قريباً من النبي

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب فضل الخطا إلى المساجد ، رقم (٢٧٨).

ومعنى قوله : (فحملتُ به حملاً) أنه عظم عليَّ وثقل ، واستعظمته لبشاعة لفظه ، وهمني ذلك ، وليس المراد : الحمل على الظهر . أفاده القاضي عياض رحمه الله تعالى .

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٧٨).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٧٩).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٨٠ ـ ٢٨١).

صلى الله عليه وآله وسلَّم] فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تعرى المدينة ، وقال : «يا بني سَلِمة ؛ ألا تحتسبون آثارَكم ؟» فأقاموا . رواه البخاري[1].

عدم رفع الصوت فيه :

ومن فضائل هذا المسجد الشريف ؛ عدم جوازِ رفع الصوت فيه ، لأن الله عز وجل أدَّب المسلمين ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وشنَّع على قوم رفعوا أصواتهم فوق صوته صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، ومدح آخرين بإخفاضهم أصواتهم عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم . وسيأتي ذكر الآيات .

فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : كنت قائماً في المسجد ، فحصبني رجلٌ ، فنظرت ، فإذا عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما فقال : مَنْ أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتُكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . رواه البخاري[2].

وهذا الحديث : له حكم الرفع ، لأن عمر رضي الله تعالى عنه لا يتوعدهما بالجلد ، إلا على مخالفة أمرٍ توقيفي ، والله تعالى أعلم[3].

إن رفع الصوت فيه ليس كرفعه في غيره ، كيف وقد عاقب الله تعالى

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب احتساب الآثار ، وكتاب فضائل المدينة : باب كراهية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تعرى المدينة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب رفع الصوت في المسجد .

(٣) انظر : فتح الباري (١ : ٥٦١).

الأمةَ : فأخفى عنها معرفةَ ليلة القدر ، لتلاحي صحابيين رضي الله تعالى عنهما فيه ، وأُخذ ذلك من صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : «خرجتُ لأخبرَكم بليلة القدر ، فتلاحى فلانٌ وفلانٌ فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ،...». رواه البخاري[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اعتكف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم العشرَ الأوسطَ من رمضان ، يلتمس ليلةَ القَدْر ، قَبْل أن تُبان له ، فلما انقضَيْن ، أَمر بالبناء فقُوِّضَ ، ثم أُبينت له أنها في العشر الأواخر ، فأمر بالبناء فأُعيد ، ثم خرج على الناس فقال : «يا أيها الناسُ ؛ إنها كانت أُبِينَتْ لي ليلةُ القدر ، وإني خرجتُ لأخبرَكم بها ، فجاء رجلان يحتَقّان ، معهما الشيطانُ ، فنُسِّيتُها ، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان ،...». رواه مسلم[2].

لذا فإن رفعَ الصوت في مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إيذاءٌ له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد شنَّع الله عز وجل على هؤلاء الذين يرفعون أصواتَهم فيه ، ثم مدح الذين يغضُّون أصواتَهم عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، وكتاب فضل ليلة القدر : باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب فضيلة ليلة القدر ، والحث على طلبها وبيان محلها ،... رقم (٢١٧).

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ * وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1].

ومن هنا اختلف أهلُ العلم في رفع الصوت في العلم وغيره .

ـ فكرهه مالك رحمه الله تعالى مطلقاً ، سواء كان في العلم ، أو غيره ، وهذا صنيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، حيث بنى (البُطيحاء) في مؤخرة المسجد ، لمن أراد الكلامَ أو اللغطَ أو الشِّعرَ أو رفع الصوت .

ـ وكذا كرهه أبو حنيفة إلا للتدريس ، ما لم يشوِّش على المصلين ونحوهم .

ـ ومنهم من فرق بين أمرين ؛ فما كان يتعلق بأمر ديني ، أو نفعٍ دنيوي : أباحوه . وبَين ما لا فائدة فيه ، أو كان في معصية ، أو كان لغواً : منعوه ، والله تعالى أعلم .

البدء بالمسجد لمن قدم من سفر ، والصلاة فيه :

ومن عِظم مكانة هذا المسجد الشريف ؛ أن كان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يقدم من سفر إلا بدأ به ، وصلّى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه يستقبل الناس ، وحث صلى الله عليه وآله وسلَّم أصحابه رضي الله عنهم على ذلك .

---

(١) سورة الحجرات (٢ ـ ٥).

فعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان لا يَقْدَم من سفر إلا نهاراً في الضحى ، فإذا قدم ؛ بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه ،...». الحديث ، متفق عليه ، وهو جزء من حديثه الطويل[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : اشترى مني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بعيراً ، فلما قدم المدينةَ ؛ أمرني أن آتي المسجدَ ، فأصلي فيه ركعتين . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2] وله روايات عندهما بنحوه .

وقد ورد نحو هذا الحديث عن غير هذين الصحابيين أيضاً .

وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يأمر أصحابَه رضي الله تعالى عنهم ؛ ممن كانوا خارج المدينة ، إذا قدموا المدينة ، أن يأتوا هذا المسجد ، ويصلّوا فيه .

فعن مُسلم بن أَسلم بن بَجْرة رضي الله عنه قال : إن كان ليدخل المدينةَ فيقضي حاجتَه بالسوق ، ثم يرجع إلى أهله ، فإذا وضع رداءَه ، ذكر أنه لم يُصلِّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيقول : والله ماصليتُ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فإنه قد قال لنا : «من هبط منكم إلى هذه القرية ، فلا يرجعنَّ إلى أهله حتى يركعَ ركعتين في

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الصلاة إذا قدم من سفر . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب استحباب الركعتين لمن قدم من سفر أول قدومه ، رقم (٧٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة إذا قدم من سفر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٢ ، ٧٣) وكتاب البيوع : باب بيع البعير واستثناء ركوبه ، رقم (١١٥).

هذا المسجد ، ثم يرجع إلى أهله». رواه الطبراني برجال ثقات[1].

فقد كان رضي الله عنه يرجع من أهله إلى المدينة ليصلي في هذا المسجد الشريف ، لأنه لم يُصَلِّ فيه عند دخوله ، فرضي الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ما أحرصهم على فعل ما أمرهم به ، أو تركهم عليه حبيبُهم وقدوتُهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

شد الرحال إلى مسجدها :

ومن فضائل هذا المسجد الشريف ؛ أن من نذر أن يصليَ فيه ، أو أوجب على نفسه الصلاةَ فيه ؛ فقد وجب عليه أن يشدَّ الرحل إليه ، ولا يجزئه أن يصليَ في مسجد آخر مكانه ، وقد جعل الشارع الحكيم أن لا تُشدّ الرحالُ إلى مسجد من المساجد التي يصلى فيها ، إلا إلى هذا المسجد الشريف ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .

وقد تواتر هذا المعنى عن النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، حيث رواه العدد الكثير من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم . وإن لم يذكره من جَمَع التواتر ، مع أنه على شرطهم ، وهذا مما يُستدرك عليهم ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجد ؛ مسجدي هذا ، ومسجدِ الحرام ، والمسجد الأقصى». متفق عليه[2].

---

(١) المعجم الكبير (١٩ : ٤٣٥) ومجمع الزوائد (٤ : ٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة =

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا تَشدُّوا الرحالَ إلا إلى ثلاثةِ مساجد : مسجدي هذا ، والمسجدِ الحرام ، والمسجد الأقصى ،...». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وقد ورد هذا المعنى عن كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، منهم : جابر بن عبد الله وبَصْرة بن أبي بَصْرة الغفاري وابنُ عمر وابن عمرو وأبو الجعد الضمري وعمر وعلي وعائشة والمقدام وواثلة ، رضي الله عنهم ،...إلخ. وقد ذكرتُ رواياتهم في الأصل .

والمراد به : لا يُقصد موضع من المواضع ، بنية العبادة والتقرب إلى الله تعالى إلا إلى هذه الأماكن الثلاثة ، تعظيماً لشأنها ، وتشريفاً لها ، لأنها مساجد الأنبياء عليهم السلام .

فمن نذر أن يصلي في مسجد دمشق أو بغداد أو الأزهر أو عمان أو غيرها من المساجد ،... فليصل في مكانه ، لأنه لا فضيلة لمساجدِ هذه البلاد بعضها على بعض ؛ تقتضي إعمال المطي إليه ، إلا هذه المساجد الثلاثة .

ولكن هل يجوز شد الرحل إلى غير هذه المساجد ، ولو كان بغير نية التقرب والعبادة[2].

ـ ذهب الإمامُ أبو محمد الجويني والقاضي عياض والعلامة ابن تيمية ،

= مساجد». رقم (٥١١ ـ ٥١٢).

(١) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب مسجد بيت المقدس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب سفر المرأة مع محرم ،... رقم (٤١٥).

(٢) انظر الأصل (٢ : ٢٤٦ ـ ٢٥٩) حيث ذكرت الآراء والأقوال فيما يؤخذ من هذه الأحاديث وغيرها في الباب .

واختاره القاضي حسين من الشافعية : إلى منع ذلك فيما يقصد به التبرك والعبادة .

ـ وذهب عامة أهل العلم : إلى الجواز ، كالسفر لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لزيارة الأهل والإخوان ، أو للسياحة ،...إلخ.

وأن ما ورد في هذه الأحاديث : هو خاص بهذه المساجد الثلاثة فحسب ، ويشهدُ لذلك : حديثُ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا ينبغي للمطِيِّ أن تُشدَّ رحالُه إلى مسجد يُبتغى فيه الصلاةُ غير المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا ،..». رواه أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة وسعيد بن منصور والضياء ، بسند حسن[1].

الصلاة فيه تعدل حجة :

ومن فضائل هذا المسجد الشريف ؛ أن الصلاة فيه تعدل حجة .

فعن سهل بن حُنيف رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من خرج على طُهر لا يريد إلا مسجدَ قُباء ليصلِّيَ فيه ؛ كان بمنزلة عُمْرة . ومن خرج على طُهر لا يريد إلا مسجدي هذا ـ يريد مسجدَ المدينة ـ ليصلِّيَ فيه كان بمنزلة حجة». رواه البخاري في تاريخه ، والبيهقي في الشعب ، وفي إسنادهما ضعف[2]. لكن رواه البخاري من طريق آخر عنه ،

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٦٤) ومسند أبي يعلى (٢ : ٤٨٩ ـ ٤٩٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٣) وكنز العمال (١٢ : ٢٧٠ ـ ٢٧١). وإتحاف السادة المتقين (٤ : ٢٨٦).

(٢) التاريخ الكبير (٨ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وشعب الإيمان (٨ : ١٢٢) وكنز العمال (٢ : ٢٦٥).

وله شاهد آخر عنده من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وفي إسناده (محمد بن سليمان الكرماني القبائي) قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول ، وخير شاهد له ما يلي :

فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلَّم خيراً أو ليعلِّمَه ؛ فله أجر حاجٍّ تام الحجة». رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبراني في الكبير ؛ برجال موثقين كلهم ، وجوَّد الحافظ العراقيُّ سندَه ، ورواه أبو داود بنحوه[1]. فهو به حسن ، إن شاء الله ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة ، رقم (٥٥٨) والمستدرك (١ : ٩١) والمعجم الكبير (٨ : ١١١ ـ ١١٢) والمغني عن حمل الأسفار (٤ : ٣٧١) ومجمع الزوائد (١ : ١٢٢ ـ ١٢٣).

المبحث الثالث
الروضة والمنبر الشريف

ـ **أولاً : الروضة .**

ومن فضائل هذا المسجد الشريف : أن جعل الله تعالى قطعةً منه من الجنة . وقد حدَّدها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهي ما بين بيته العامر ومنبره الشريف . ولم يرد تعيينُ قطعة من الأرض أنها من الجنة إلا هذه . والروضةُ معلومةٌ في المسجد الشريف ، ومعروفة فيه إلى يومنا هذا .

وهي ما بين الحجرة الشريفة إلى المنبر الشريف ، من جهة الشرق والغرب . وأما من جهة الشمال والجنوب من جهة الحجرة الشريفة ؛ فتبدأ من الحجرة الشريفة حتى أسطوانة الوفود ، ومنهم من جعلها إلى أسطوانة عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وهو إلى الرواق الرابع . وأما من جهة الغرب ؛ فمن المنبر الشريف إلى ما يسامت أسطوانة الوفود ، وهي إلى نصف (المكبرية) اليوم ، وتضم الأروقة الثلاثة ، وهي المكسوة بالرخام الأبيض ، وهذا ما عليه غالب العلماء وعامة الناس . وقيل إلى مساماة أسطوانة علي رضي الله عنه ، والمعروفة بتربيعة القبر ، وهو ما يخرج من جهة الحجرة الشريفة مقدار نصف متر ، والله تعالى أعلم .

وقد تواترت النصوص في ذلك عن النبي الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم . لكني سأقتصر على ذكر بعضها ، إن شاء الله تعالى :

فعن عبد الله بن زيد المازني رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلَّم قال : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي». متفق عليه[2].

وقد ورد هذا الحديث عن كثير من الصحابة الكرام ؛ منهم : أبو بكر وعمر وعلي وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وأبو سعيد الخدري وأم سلمة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وسهل بن سعد وعائشة وزيد وأنس في آخرين رضي الله عنهم .

وقد جاء بيان المقصود من بيته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو : حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «منبري على ترعة من ترع الجنة ، وما بين المنبر وبيتِ عائشة روضةٌ من رياض الجنة». رواه الطبراني والطحاوي وهو حديث حسن[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل ما بين القبر والمنبر . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ، رقم (٥٠٠ ، ٥٠١).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٠٢).

(٣) مشكل الآثار (٤ : ٧٠) والمعجم الأوسط (٣ : ٢٦٩) ومجمع البحرين (٣ : ٢٨٢ ـ =

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم «إن ما بين منبري إلى حجرتي روضة من رياض الجنة ،...». رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وأبو نعيم والخطيب في آخرين . وهو حسن[1].

لكن جاء في بعض الروايات . «ما بين قبري ومنبري».

فقد ورد من حديث عبد الله بن زيد وأبي سعيد وابن عمر وسعد وعلي وجابر وأم سلمة في آخرين رضي الله عنهم ، وهي سوى الروايات السابقة «ما بين بيتي ومنبري». وأغلبها برجال ثقات وأسانيد صحيحة سوى حديث علي وجابر ففيهما ضعف لكن يشهد لهما ما قبلهما[2]. وقد أفردت له رسالة مستقلة خاصة به .

ولا تعارض بين هذه النصوص «ما بين بيتي» وَ «ما بين قبري» والله تعالى أعلم ، لأن بيتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو بيتُ عائشة رضي الله عنها ، كما مر في حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، وهو حجرتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما مر في حديث جابر رضي الله عنه . وبيته هو الذي صار

= ٢٨٣) ومجمع الزوائد (٤ : ٩).

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٨٩) وكشف الأستار (٢ : ٥٧) ومسند أبي يعلى (٣ : ٣١٩ ـ ٣٢٠ ، ٤٦٢) وحلية الأولياء (٣ : ٢٦) ومشكل الآثار (٤ : ٧٠) وشعب الإيمان (٨ : ٩٨ ـ ٩٩) وتاريخ بغداد (٣ : ٣٦٠) (١١ : ٣٩٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٨ ـ ٩) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٠).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٦٤) مشكل الآثار (٤ : ٦٨ ـ ٧٠) وتاريخ بغداد (٤ : ٤٠٣) (١١ : ٢٢٨ ، ٢٩٠) (١٢ : ١٦٠) والمعجم الأوسط (١ : ٣٦٠ ، ٤١٢) وكشف الأستار (٢ : ٥٦) ومجمع الزوائد (٤ : ٦ ، ٩) وفتح الباري (٤ : ١٠٠) وعمدة القاري (١٠ : ٢٤٩) وجامع الأحاديث (٥ : ٦٤٢) وكنز العمال (١٢ : ٢٦١).

قبرَه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيحمل على أن الله تعالى أطلعه عليه الصلاة والسلام بأن بيتَه سيكون موضعَ قبرِهِ ، فقال ذلك باعتبار المآل .
وذلك لأن الله جلت قدرته قد أخفى على كل نفس ـ سواه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ الأرضَ التي يموت فيها ، فقال الله تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[1] .

لكن الله عز وجل أعلم رسولَه المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم الموضعَ الذي يموت فيه ، والموضعَ الذي فيه قبره ، حتى علم ذلك في حياته ، وحتى أعلمه من أعلمه من أمته .

فهذه منزلة لا منزلة فوقها ، زاده الله تعالى شرفاً وخيراً.اهـ. من الطحاوي ، وقد سبق الحديث عن الحجرة الشريفة .

ويكون ذلك علامةً من علامات النبوة ، جليلة المقدار والاعتبار ، والله تعالى أعلم .

وفي هذه الأحاديث أمور :

١ـ كون بعض بقاع المسجد أفضل من بعض ، وتكون تلك الفضيلة لخاصية في تلك البقعة ، لا يعلمها إلا الله تعالى ، إذ لو لم يكن كذلك لما خُصَّت الروضة بذلك الفضل ، وهو ثابت لها ، والله تعالى أعلم .

٢ـ خصوصية الروضة في الذكر ، إذ لا يُعلم بقعةٌ في الأرض ذُكر أنها من الجنة سواها ، وهذه خاصية ومزية تضاف إلى مزايا هذه الأمة فيما أكرمها الله تعالى به .

---

(١) سورة لقمان (٣٤).

٣ـ معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «روضة من رياض الجنة» فمع اتفاق العلماء على أن هذا اللفظ مفهوم الحكمة ، معقول المعنى ؛ إلا أنهم اختلفوا في المراد بالمعنى على أقوال ، لكن الأظهر أنها على الحقيقة ، وذلك :

ـ إما أن تكون تلك البقعةُ مقتطعةً من الجنة ، كما هو الحال في الحجر الأسود والنيل والفرات ،...إلخ.

ـ أو أن تلك البقعةَ الشريفةَ تُنقل يومَ القيامة إلى الجنة ، فتكون روضةً من رياضها ، كالجذع الذي حَنَّ إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ونَقْلِ منبره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما سيأتي بيانهما ، إن شاء الله تعالى .

وذلك : لأن القدرة الإلهية ليست عاجزةً عن مثل ذلك ، وأن كل الروايات جاءت من غير تشبيه بذكر أداة ولا مجاز .

ومما يستدل على ذلك أيضاً : كون قوائم هذا المنبر ؛ الذي يحدها من الجهة الغربية ستكون رواتبَ في الجنة ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى بعد قليل . وهناك أقوال أخرى ذكرتُها في الأصل .

٤ـ إن تحديد الروضة الشريفة «ما بين بيتي ومنبري» قد وردت أحاديث أخرى تبين اتساعها على ما ذكر في هذه الأحاديث .

فمن الجهة الشرقية :

لقد جاءت روايات فيها زيادة على ما مر في الأحاديث السابقة ، وهذه الزيادة تشمل حُجَرَ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

فعن عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلَّم قال : «ما بين هذه البيوت - يعني بيوتَه - إلى منبري روضة من رياض الجنة ، والمنبر على تُرعَةٍ من ترع الجنة». رواه أحمد برجال الصحيح[1].

وهذا في بيان زيادة الروضة الشريفة من الجهة الشرقية ، إذ عامة بيوت أزواج النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم كانت من الجهتين الجنوبية والشرقية ، فالشرقية هي المعروفة الآن عند الأقدام الشريفة ، فتدخل الحجرة الشريفة وما يسامتها ، إذ حُجَر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن كانت في جنوب الحجرة الشريفة ، وهو بيت السيدة حفصة رضي الله عنها ، ثم يمتد البناء إلى باب البقيع - اليوم - وهي حجرة أم سلمة رضي الله عنها ، ثم يمتد إلى جهة الشمال حتى باب النساء ، ثم من الجهة الشمالية ، وليس في الجهة الغربية شيء .

وأما من الجهة الغربية :

فتمتد من الروضة الشريفة إلى (مُصَلَّى العيد) وهو المعروف الآن : بـ (مسجد الغمامة)، والله تعالى أعلم .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «ما بين بيتي ومُصَلاَّي روضةٌ من رياض الجنة ،...». رواه الطبراني والبزار وابن شبة وأبو نعيم في معرفة الصحابة برجال ثقات[2].

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٤٠ - ٤١).

(٢) المعجم الكبير (١ : ١١٠) وتاريخ المدينة (١ : ١٣٨) ومعرفة الصحابة (١ : ٤٢١ - ٤٢٢) ومجمع الزوائد (٤ : ٩).

وانظر : فتح الباري (٤ : ١٠٠) والتاريخ الكبير (٢ : ٢٤٥ ، ٢٧٧) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٠) وجامع الأحاديث (٥ : ٦٤٢).

وقد ورد عن غيره أيضاً .

والمراد بالمُصَلَّى : هو مُصَلّى العيد ، وهو المعروف اليوم : بمسجد الغمامة . ولا يمكن أن يكون المرادُ به : الموضعَ الذي كان يصلي فيه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم (المحراب) لأنه يقصر الروضة على جزء منها ، وهي ما بين الحجرة والمحراب ، وهذا مردود ، والله تعالى أعلم .

ويكون الله تعالى قد أعلم نبيَّه المصطفى الكريمَ صلوات الله عليه وآله وسلَّم أن الروضة ما بين بيته ومنبره الشريفين ، ثم زاده الله جلت قدرته حتى شملت بيوتَه الشريفةَ ، إلى مصلاه (مسجد الغمامة) تكريماً وتفضلاً ، ورحمة بهذه الأمة ، والله تعالى أعلم .

ـ ثانياً : المنبر الشريف .

لم يكن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يخطب على منبر ، لأنه عندما قدم المدينةَ ؛ وبنى مسجدَه العامر ، لم يكن قد اتخذ منبراً فيه ، إنما كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يخطب قائماً ، على يسار محرابه الآن .

ولما جاءت السنوات الأخيرة من الهجرة وتقدَّمت بالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم السنُّ ، وكثر عددُ المصلين ،... أشار بعض الصحابة رضي تعالى الله عنهم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم بِصُنع هذا المنبر ، فصُنع له من طَرْفاء الغابة ، وجُعل ثلاثَ درجات ، كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، المتفق عليه[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة على السطوح والمنبر والخشب ، وكتاب البيوع : باب النجار . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب جواز الخطوة والخطوتين في =

وبقي هذا المنبر مكانه ؛ الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعلى حاله ، حتى زاد فيه مروان بن الحكم ـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ـ ست درجات من أسفله .

ولما أراد الخليفةُ المهدي العباسي رحمه الله تعالى ـ في سنة احدى وستين ومائة ـ إعادتَه إلى ما كان عليه في زمن النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، نهاه الإمام مالك رحمه الله تعالى ، ولم ير تغييرَه ، خشيةَ أن يتهافت ويهلك ، وحتى لا يكون ألعوبةً بيد السلاطين وغيرهم ، فانصرف رأي المهدي .

وبقي المنبر الشريف على حالته هذه ؛ بعد زيادة مروان بن الحكم فيه من أسفله ، إلا ما أُصلح منه ، حتى احترق ، مع احتراق المسجد سنة (٦٥٤هـ) أربع وخمسين وستمائة . كما قال ابن النجار رحمه الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

مزايا المنبر الشريف وفضائله :

ولهذا المنبر الشريف ؛ الذي صُنع بأمر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ووُضع في المكان الذي حدَّده صلى الله عليه وآله وسلَّم : مزايا وفضائل كثيرة ، أقتصر على ذكر بعضها .

صلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه أولَ نصبه :

لما نصب المنبر الشريف في مكانه المحدَّد ، صعد عليه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فصلّى عليه ، والناس خلفه ، حتى يروا كيفيةَ صلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ فيتبعونه .

فعن أبي حازم [سلمة بن دينار] رحمه الله تعالى ، أن نفراً جاءوا إلى

= الصلاة ، رقم (٤٤).

سهل بن سعد ، قد تمارَوا في المنبر ؛ مِن أيِّ عُودٍ هو ؟ فقال : أما والله ، إني لأعرف من أي عود هو ، ومَن عَمِلَه ، ورأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أولَ يوم جلس عليه .

وفي رواية عن أبي حازم قال : سألوا سهلَ بن سعد : مِن أي شيءٍ المنبر ؟ فقال : ما بقي في الناس أعلم مني ، هو من أَثْلِ الغابة ، عمله فلانٌ - مولى فلانة - لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقام عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حين عُمل ووُضع . فاستقبل القبلةَ ، كبَّر ، وقام الناسُ خلفه ، فقرأ ، وركع ، وركع الناسُ خلفه ، ثم رفع رأسَه ، ثم رجع القهقرى ، فسجد على الأرض ، ثم عاد إلى المنبر ، ثم ركع ، ثم رفع رأسَه ، ثم رجع القهقرى حتى سجد بالأرض .

زاد في الرواية الأولى : ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ، ثم أقبل على الناس فقال : «يا أيها الناس ؛ إني صنعت هذا لتأتمّوا بي ، ولتعلموا صلاتي». متفق عليه[1].

وقوله رضي الله تعالى عنه : (ما بقي في الناس أعلم مني) لأنه حدَّث به في آخر حياته ، ولم يبق أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم الذين حضروا ذلك اليوم أحد سواه ، والله تعالى أعلم .

وقوله : (من أَثْل الغابة) وفي بعض الروايات (من طرفاء الغابة) فلا تعارض في ذلك ، لأن الأثل من الطرفاء ، والطرفاء أربعة أصناف ، منها

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة على السطوح والمنبر والخشب ، وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ، رقم (٤٤ ، ٤٥).

الأثل ، فمن قال : طرفاء ، فقد أراد الأصل ، ومن قال : أثل ، فقد حدَّد . والغابة غيضة كثيرة الشجر ؛ في الجهة الشمالية الغربية تقريباً من المدينة ، والله تعالى أعلم .

الاستسقاء عليه :

ومما يعد من فضائل هذا المنبر الشريف : أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم استسقى عليه ـ عندما سأله الأعرابي ذلك ، فاستجاب الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأنزل المطر قبل أن ينزل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم عن المنبر ، واستمر نزول المطر أسبوعاً كاملاً ، حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم تحويلَه عن المدينة ، فاستُجيب له صلى الله عليه وآله وسلَّم في الحال أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أصابت الناسَ سنةٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام أعرابيٌّ فقال : يا رسول الله ؛ هلك المالُ ، وجاع العيالُ ، فادع الله لنا أن يسقينا ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يديه ، وما في السماء قزعةٌ ، قال : فثار سحابٌ أمثالَ الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته ، قال : فمطرنا يومنا ، وفي الغد ، ومن بعد الغد والذي يليه ، إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابيُّ أو رجل غيرُه ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، تهدَّم البناء ، وغرق المالُ ، فادع الله لنا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلَّم يديه وقال : «اللهم حوالينا ولا علينا». قال : فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت ، حتى صارت المدينةُ مثلَ الجَوبَة ، حتى سال الوادي ـ وادي قناة ـ شهراً ، قال : فلم يجِئ أحدٌ من ناحية إلا حدَّث بالجود . متفق عليه[1] وله روايات متعددة .

هو على ترعة من ترع الجنة :

ومن مزايا هذا المنبر الشريف وفضائله ؛ أنه سيكون على ترعة من ترع الجنة يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «منبري هذا على ترعة من ترع الجنة ،...». رواه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني في الصغير والبغوي ، برجال الصحيح[2].

وقد ورد نحوه من حديث أبي بكر االصديق وعمر وأبي سعيد وأنس وجابر وسهل بن سعد وعبد الله بن زيد ،... وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

والترعة ترد بخمسة معان ، قيل : الروضة ، وقيل : الباب ، وقيل : الدرجة ، وقيل : مفتح الماء ، وقيل : الكوة .

فهو : على الحوض ، وهو على باب الجنة من الداخل ، فمن دخل الجنةَ يشرب من الحوض ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء ، رقم (٨ ـ ١٢).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٦٠ ، ٤٠١ ـ ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤٥٠ ، ٥٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٨) والسنن الكبرى (٥ : ٢٤٧) والروض الداني (٢ : ٢٤٩ رقم ١١١٠) والشمائل للبغوي (١ : ٧٥).

هو على الحوض :

ومن فضائل هذا المنبر الشريف ، الذي كان يخطب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه ، أنه يكون يوم القيامة منصوباً على حوضه الشريف . وهذه مزية عظيمة ، وكريمة ؛ نالها لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وارتقائه عليه ، وخُطَبه صلى الله عليه وآله وسلَّم من فوقه ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «...ومنبري على حوضي». متفق عليه[1].

وقد ورد مثل هذا عن عدد من الصحابة ؛ كأبي سعيد الخدري ، وعبد الله ابن عمر والزبير بن العوام وجابر بن عبد الله ،... رضي الله تعالى عنهم .

وفي هذا النص أمور :

١ـ إثبات الحوض لنبينا المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، والحديث في هذا متواتر ، إذ رواه ما يقرب من ثمانين صحابياً .

٢ـ إن هذا المنبر الشريف بعينه ؛ الذي كان يخطب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه في الدنيا ؛ سيُنْقل إلى الجنة يوم القيامة ، ويكون على حوضه الشريف ـ كما ذهب إليه أكثر العلماء ـ وهو الأظهر ، كما قال القاضي عياض رحمه الله تعالى .

وذلك لأن القدرةَ الإلهيةَ صالحةٌ لمثل هذا الأمر ، وقد أضاف النبي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة : باب فضل ما بين القبر والمنبر . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ، رقم (٥٠٠ ، ٥٠١).

المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم المنبرَ إليه في كل الروايات فقال : «منبري» ولا يعدل عن الظاهر إلا لقرينة ، ولا توجد .

كما جاء في بعض الروايات تحديدُ المنبر ، وذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «منبري هذا» فيكون قد اجتمعت فيه : الإضافةُ والإشارةُ ، إضافة إلى أن قوائم هذا المنبر الشريف رواتب في الجنة . كما سيأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

قواعد المنبر رواتب في الجنة :

ومن فضائل هذا المنبر الشريف ؛ الذي كان يخطب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه ؛ أن قوائمَه ستكون رواتبَ في الجنة يوم القيامة .

فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن قوائم منبري هذا رواتبُ في الجنة». رواه عبد الرزاق والحميدي وابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والطحاوي وابن حبان والطبراني وأبو يعلى في آخرين[1].

وقد ورد عن غيرها ، حيث ورد من حديث سهل بن سعد وأبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٣ : ١٨٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٨٠) ومسند الحميدي (١ : ١٣٩) ومسند أحمد (٦ : ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٨) وسنن النسائي : كتاب المساجد : باب مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٢ : ٣٥ ـ ٣٦) وتحفة الأشراف (١٣ : ٤١) والطبقات الكبرى (١ : ٢٥٣) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦٤) ومشكل الآثار (٤ : ٦٨) والمعجم الكبير (٢٣ : ٢٥٤) وفضائل المدينة للجندي (٣٩) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٤٠٩) والسنن الكبرى (٥ : ٢٤٨) ودلائل النبوة (٢ : ٥٦٤).

ورواتب جمع راتب ، وهو الشيء الثابت المقيم ، يقال : رتب في المكان إذا قام .

فيكون هذا المنبر الذي كان يخطب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ والذي هو من طرفاء الغابة ـ ثابتاً مقيماً على حوضه الشريف ، في الجنة يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

وبذلك تكون الروضة الشريفة والمنبر الشريف في الجنة ، تنقلان إليها بعينيهما ، والله تعالى أعلم .

عقوبة من حلف عليه كاذباً :

ولعظم مكانة هذا المنبر الشريف ؛ أن من حلف عليه بيمين آثمة كاذبة ، يقتطع بها مال مسلم ـ ولو كان شيئاً يسيراً ؛ كسواك مثلاً ـ فإن نارَ جهنم موعدُه ، وعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «من حلف على منبري بيمين آثمة [زاد في رواية : ولو على سواك أخضر] تبوأ مقعدَه من النار». رواه مالك والشافعي وأحمد وابن أبي شيبة وابن سعد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححوه ، في آخرين[1] .

---

(١) الموطأ : كتاب الأقضية : باب ما جاء في الحنث على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١١) والأم (٧ : ٣٣ ، ١٨٣) والمسند (١٥٣) والسنن (٤ : ١٦٤ رقم ٥٢٥) ومسند أحمد (٣ : ٣٤٤ ، ٣٧٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٧ : ٢ ـ ٣) والطبقات الكبرى (١ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وسنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور : باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٢٤٦) والسنن الكبرى للنسائي (٣ : ٤٩١) وتحفة =

وقد ورد عن عدد من الصحابة ؛ كأبي هريرة وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهم .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «...من حلف عند منبري هذا بيمين كاذبةٍ ، يستحلُّ بها مالَ امرئ مُسلمٍ بغير حقٍّ ؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صَرْفٌ ولا عَدل». رواه النسائي والدولابي والطبراني في الأوسط ، برجال ثقات[1]، وأصله عند مسلم .

وفي هذه الأحاديث الشريفة أمور :

١ـ اليمين تعظم في بعض الأماكن ، كما تعظم في بعض الأزمنة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ

= الأشراف (٢ : ٢١٣) وسنن ابن ماجه : كتاب الأحكام : باب اليمين عند مقاطع الحقوق ، رقم (٢٣٢٥) والمنتقى لابن الجارود (٣١٠ رقم ٩٢٧) ومسند أبي يعلى (٣ : ٣١٧ـ٣١٨) والمستدرك (٤ : ٢٩٦ ، ٢٩٦ ـ ٢٩٧) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٢١٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٣٩٨) (١٠ : ١٧٦) والسنن الصغرى (٤ : ١٦٣) والتمهيد (٢٢ : ٨٧). وانظر الزرقاني على الموطأ (٤ : ٢).

(١) السنن الكبرى للنسائي (٣ : ٤٩٢) وتحفة الأشراف (٢ : ٨) والكنى للدولابي (١٢ ـ ١٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٧). وانظر : تعليقي على حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، في سنن الشافعي (٢ : ١٦٥ رقم ٥٢٦) حيث روى أوله ، وهو عند مالك والشافعي وأحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه ...

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ...﴾ الآية[1]. حيث قال : ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

٢ـ تعظيم اليمين على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهذا لا خلاف فيه ـ كما قال ابن التركماني رحمه الله تعالى ، ويلحق به : الحلفُ في حِجْر إسماعيل عليه السلام ، أو بين الركن والمقام ، ونحوها... وذلك لعظم ذلك المكان[2].

٣ـ من عظم اليمين على هذا المنبر الشريف ؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتهيبون القسمَ عنده ، كما حصل مع زيد بن ثابت رضي الله عنه عندما طلب منه مروان بن الحكم أن يحلف على المنبر ، فأبى زيد أن يحلف على المنبر ، وقال : إنه يحلف في مكانه . كما رواه مالك والشافعي والبيهقي برجال الصحيح[3].

٤ـ بيان عقوبة من حلف كاذباً على هذا المنبر الشريف ، حيث يتبوأ الحالفُ الكاذبُ مقعدَه من النار ، وعليه اللعنة من الله تعالى ومن ملائكته والناس أجمعين .

لكن ذلك مقيد بقيدين : الأول : بكونه كاذباً آثماً ،... فلا يقع الوعيد إلا لمن يتعمد الإثم في يمينه ، والثاني : بكونه يريد اقتطاعَ حقّ المسلم بهذه اليمين .

٥ـ بيان مكانة هذا المنبر الشريف . وكيف لا تكون له هذه المكانة والمنزلة ،

---

(١) سورة المائدة (١٠٦) وانظر : تفسير الطبري وابن كثير وغيرهما عند هذه الآية الكريمة .

(٢) انظر : الأم للإمام الشافعي (٧ : ٣١ ـ ٣٣).

(٣) الموطأ : كتاب الأقضية : باب ما جاء في اليمين على المنبر ، رقم (١٢) والأم (٧ : ٣٣) والمسند (١٥٣) والسنن الكبرى (١٠ : ١٧٧) والسنن الصغرى (٤ : ١٦٤) والتمهيد (٢٢ : ٨٤ ـ ٨٥) وانظر الأم ، ففيه نقول عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

وهو منبره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والذي سينقل إلى الجنة ، ويُثَبَّت فيها على حوض رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، عند باب الجنة من الداخل .

وهكذا يقال في سائر ما يُنسب إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ولهذا يقال لهذا المنبر الشريف : مقاطع الحقوق ، كما مر في العزو ، والله تعالى أعلم .

ارتجاف هذا المنبر الشريف تحت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما يعد من المكرمات والفضائل لهذا المنبر الشريف ؛ أن النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم حينما قرأ عليه آية من كتاب الله تعالى أخذته الهيبة والخشية والفزع ، فارتجف ارتجافاً شديداً ، وتحرك تحركاً شديداً ، حتى خشي الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم سقوطَه بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عُبيدالله بن مِقْسَم رحمه الله تعالى ، أنه نظر إلى عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كيف يحكي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، قال : «يأخذُ الله عز وجل سمٰواته وأَرَضيه بيده ، فيقول : أنا الله ، (ويقبض أصابعَه ويبسطها) أنا الملك» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفلِ شيءٍ منه ، حتى إني لأقول : أساقطٌ هو برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ رواه مسلم[1].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب صفة القيامة والجنة والنار ، رقم (٢٥ ، ٢٦) وعزاه ابن كثير في تفسيره (٤ : ٦٣) لحديث ابن عمرو رضي الله عنهما .

وفي رواية لأحمد وابن حبان وغيرهما[1]، برجال الصحيح : عنه رضي الله عنهما قال : قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية ـ وهو على المنبر ـ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال : «يقول الله : أنا الجبار ، أنا المتكبِّرُ ، أنا الملِكُ ، أنا المتعال [أنا العزيز ، أنا الكريم] يمجِّدُ نفسَه» قال : فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يردِّدها ، حتى رجف بها المنبر ، حتى ظننا أنه سيخِرُّ به .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سألت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ...﴾ قال : «يقول : أنا الجبار ، أنا ، أنا ، ويمجِّدُ الربُّ نفسَه». قال : فرجف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم منبرُه ؛ حتى قلنا : ليخِرَّنَّ . رواه أحمد ، والترمذي والحاكم وصححاه ، والنسائي والبيهقي ، واللفظ للحاكم[2]، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٧٢ ، ٨٨) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٤٠٠ ـ ٤٠١) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٣٢٢) والسنة لابن أبي عاصم (١ : ٢٤٠ ـ ٢٤١) والتوحيد (٧٢) والأسماء والصفات (٣٣٩) والعظمة (٢ : ٤٥٠ ـ ٤٥١) والمعجم الكبير (١٠ : ٣٥٢ـ٣٥٣).

(٢) المستدرك (٢ : ٢٥٢) ومسند أحمد (٦ : ١١٦ ـ ١١٧) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : سورة الزمر ، رقم (٣٢٤١) والسنن الكبرى (٦ : ٤٤٧) والتفسير له (٢ : ٢٤٠) مختصراً ، وتحفة الأشراف (١١ : ٤٥٠) والبعث والنشور (٣١٧) والدر المنثور (٥ : ٣٣٥).

المبحث الرابع
الجذع والأسطوانات

أولاً : الجذع ، وحنينه :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل صُنْع المنبر الشريف : يخطب قائماً ، وإذا شعر بالتعب ؛ من طول القيام ؛... وضع يدَه الشريفةَ على جِذْعٍ منصوبٍ بجوار الأسطوانة ـ وهي الملاصقة للمحراب الشريف الآن ـ فلما صُنع له المنبر الشريف ، وخرج صلى الله عليه وآله وسلَّم يريد المنبرَ ؛ ليخطب عليه أولَ خطبة عليه يوم الجمعة ، وجاوز الجذعَ ؛ حنَّ الجذع حنيناً شديداً ، وصاح صياحاً مؤلماً ، حتى تشقق ، وارتج المسجدُ ، وتساقط الغبارُ من سقفه ، فنزل صلى الله عليه وآله وسلَّم من المنبر ، ومسح الجذعَ ، ثم ضمه صلى الله عليه وآله وسلَّم بين يديه ، وخيَّره بين أن يُعيده إلى بستانه الذي كان فيه فيعود شجرةً مثمرةً من جديد ، يأكل منه المؤمنون ، وبين أن يكون شجرةً في الجنة ، تشرب عُروقُه من مياهها ، ويأكل ثمرَه المؤمنون فيها .

فاختار الجذع المشوق أن يكون شجرة في الجنة ، لأنه يريد القُربَ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لا المفارقة ، إذ لو اختار أن يعود إلى بستانه ، فيثمر من جديد : فلن يكون قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل يكون بعيداً عنه مئات الأمتار ، ثم سيفارقه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فراقاً طويلاً ؛ بعد موت أحدهما ، فإذا لم يُطِق بُعْدَ

خمسةِ أمتار فكيف يطيق بُعْدَ مئات الأمتار ؟ مع أنه يراه ويسمع صوته صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وأما بالنسبة للجنة ؛ فهو وإن فارقه الآن ، لكنه فراقٌ مؤقتٌ ، ثم يكون اللقاء الدائم ، لأن الجنة لا موت فيها ، بل فيها البقاء الدائم .

وقد بيَّن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه لو لم يلتزمه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ لبقي يحنُّ إلى قيام الساعة ، شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحزناً على فراقه .

وقد **تواتر حنين الجذع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم** عندما فارقه ، وثبت في الصحيحين وغيرهما ، عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، خاصة : وأن الأمر قد وقع أَمامَهم ، يوم الجمعة ، وقت الصلاة[1].

قال الإمام البيهقي[2] رحمه الله تعالى ـ بعد ذكره لعدة أحاديث : هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنَّانَة كلها صحيحة وأمرُ الحنَّانَةِ من الأمور الظاهرة ، والأعلام النَّيِّرةِ ، التي أخذها الخلف عن السلف ، وروايةُ الأحاديث فيه كالتكلف ، والحمد لله على الإسلام والسنة ، وبه العياذ والعصمة.اهـ.

وقد نص على تواتره جمعٌ من العلماء رحمهم الله تعالى[3].

---

(١) انظر لقط اللآلئ المتناثرة (٢٨ ـ ٣٠) وقطف الأزهار (٢٦٨ ـ ٢٧٠) والأزهار المتناثرة (٣٦) والخصائص الكبرى (٢ : ٧٥ ـ ٧٦) والزرقاني على المواهب (٥ : ١٣٣ ـ ١٤٠) ونظم المتناثر (١٣٤ ـ ١٣٥) وحجة الله على العالمين (٢ : ١٢ ـ ١٤).

(٢) دلائل النبوة (٢ : ٥٦٣).

(٣) انظر : الشفا للقاضي عياض (١ : ٤٢٧) وحجة الله على العالمين (٢ : ١٢) ـ لقول الإمام =

وسوف **أذكر بعض الأحاديث** للتذكار .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرةٍ - أو نخلة - فقالت امرأةٌ من الأنصار - أو رجل - : يا رسول الله ؛ ألا نجعلُ لك منبراً ؛ [تقعد عليه ؟ فإن لي غلاماً نجاراً] قال : «إن شئتم». فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة [قعد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر الذي صُنع] فصاحت النخلةُ [التي كان يخطبُ عندها ، حتى كادت تنشق ، فنزل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى أخذها ، فضمها إليه ، فجعلت تئن] أَنينَ الصبيِّ الذي يُسكن [حتى استقرت] قال : «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها». رواه البخاري[1].

وفي رواية عنه رضي الله عنه ، قال : كان المسجدُ مسقوفاً على جذوعٍ من نخل ، فكان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صُنع له المنبرُ ، فكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار ، حتى جاء النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فوضع يدَه عليه فسكنت . رواه البخاري[2].

وفي رواية : وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لو لم أحتضنه لَحَنَّ إلى

= السبكي رحمه الله تعالى - وفتح الباري (٦ : ٥٩٢).

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب النجار ، وكتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام . وقد لفقته من الموضعين ، لأن السند واحد .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب : الباب السابق .

والعِشار : جمع عشراء ، وهي الناقة الحامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها .

يوم القيامة».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يَخطب إلى جذع ، فلما اتَّخَذ المنبرَ تَحَوَّل إليه ، فحنَّ الجذعُ ، فأتاه فمسح يده عليه . رواه البخاري[1].

وفي رواية أحمد وغيره[2]: فخار الجذع كما تخور البقرة ؛ جَزَعاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فالتزمه ، ومسحه حتى سكن .

وزاد في رواية الإسماعيلي[3]، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...لو لم أفعل لما سكن».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يقوم يوم الجمعة ، فيسند ظهره إلى جذعٍ منصوب في المسجد ـ الحديث ،... وفيه ذكر صنع المنبر ، وفيه : «...فلما قعد نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على ذلك المنبر خار الجذعُ كخوار الثور ، حتى ارتج المسجد ، حزناً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من المنبر ، فالتزمه وهو يخور ، فلما التزمه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سكن . ثم قال : «أما والذي نفسُ محمدٍ بيده ؛ لولم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة ، حزناً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم». فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فدُفِن . رواه أحمد

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٠٩) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في الخطبة على المنبر ، رقم (٥٠٥).

(٣) فتح الباري (٦ : ٦٠٢).

والدارمي وابن المبارك وعبد بن حُميد ، وابن حبان وابن خزيمة والحاكم وصححوه ، وأبو عوانة . في آخرين[1].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه ، نحوه ، وفيه : فلما صُنع المنبر ووُضع موضعَه الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بدا للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يقوم على ذلك المنبر ، فيخطب عليه ، فمر إليه ، فلما جاوز ذلك الجذعَ ؛ الذي كان يخطب إليه ؛ خار ، حتى تصدع وانشق ،... الحديث ، رواه الإمام الشافعي وأحمد والدارمي وابن ماجه والبيهقي وأبو نعيم في آخرين[2].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنهما ، بنحوه ، وفي آخره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة ؟» فأقبل الناس عليها ، فرقُّوا من حنينها ، حتى كثر بكاؤهم ..». الحديث ، رواه البيهقي برجال الصحيح ، وأبو نعيم بسند حسن ، والطبراني[3].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٢٦) وسنن الدارمي (١ : ٢٥ ـ ٢٦) ومسند ابن المبارك (٢٨ ـ ٢٩) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في بدء شأن المنبر ، رقم (١٤١٥) ومسند عبد بن حميد (٣ : ١٦١) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١٤٠) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٤٣٦ ـ ٤٣٧) ومسند أبي يعلى (٥ : ١٤٢) والطبقات الكبرى (١ : ٢٥١ ـ ٢٥٢) ودلائل النبوة (٢ : ٥٥٨). وانظر : الشمائل للترمذي (٢٤٠) وفتح الباري (٦ : ٦٠٢) والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني (٥ : ١٣٤).

(٢) الأم (١ : ١٧٦) والمسند (٦٥) ومسند أحمد (٥ : ١٣٣ ، ١٣٨) وسنن الدارمي (١ : ٢٤) وسنن ابن ماجه : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٤١٤) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥١٥ ـ ٥١٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٦٧).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٥٥٩ ـ ٥٦٠) ولأبي نعيم (٢ : ٥١٨) والمعجم الكبير (٦ : ١٥٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يخطب إلى جذعٍ ، قبل أن يتخذ المنبر ، فلما اتخذ المنبر وتحوَّل إليه ؛ حنَّ عليه فأتاه ، فاحتضنه ، فسكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة». رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وابن ماجه وابن سعد ، وقال ابن كثير : على شرط مسلم[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، بنحوه ، وفي آخره ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن هذه النخلة إنما حَنَّت شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لما فارقها ، فوالله لو لم أنزل إليها فأعتنقها ، لما سكنت إلى يوم القيامة». رواه عبد بن حُميد بسند صحيح على شرط مسلم ، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى[2].

وهناك أحاديث غيرها كثير ، ولله الحمد والفضل .

وفي هذه الأحاديث :

١ ـ إن الجمادات تدرك ، ولكننا لا نعلم من إدراكها ، إلا ما ظهر للإنسان على سبيل المعجزة ، أو الكرامة . وقد توسعت في بيان ذلك في : (الإدراك عند الجمادات).

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٤٩ ، ٢٦٦ ـ ٢٦٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٨٤) وسنن الدارمي (١ : ٢٥ ، ٣٠٥) وسنن ابن ماجه : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٤١٥) والطبقات الكبرى (١ : ٢٥٢) والشمائل لابن كثير (٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٢) مسند عبد بن حميد (٢٧٦ رقم ٨٧٣) والمطالب العالية (١ : ١٦٩ ـ ١٧٠) والشمائل لابن كثير (٢٤٨ ـ ٢٤٩). وانظر : مجمع الزوائد (٢ : ١٨١ ـ ١٨٢) فقد ذكر نحوه عن جابر رضي الله عنه .

٢ـ شوق الجمادات واستجابتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد توسعت في بيان ذلك في : (شوق الجمادات واستجابتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم) وذكرت مختصراً له في (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد).

٣ـ المقارنة بين الإنسان والجماد ، في شوقه ، ومحبته ، وطاعته ،... لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد توسعت في بيان ذلك في (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد).

كان الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : يا معشر المسلمين ؛ الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شوقاً إلى لقائه ؛ فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه[1].

٤ـ عظم معجزة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فحنين الجذع أعظمُ من إحياء الموتى ، لإن إحياء الميت : هي إعادته إلى ما كان عليه قبل موته ، ولو فُعل ذلك بالجذع لكان شجرة مثمرة ، والشجرةُ في العادة لا يظهر منها الحب والشوق والحزن ،... بخلاف ما حصل لهذا الجذع .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : ما أعطى الله تعالى نبياً ؛ ما أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) مسند ابن المبارك (٢٩) وفضائل المدينة للجندي (٣٧) وسنن الدارمي (١ : ٢٥) ومسند علي بن الجعد (٤٦٦) صحيح ابن حبان (١٤ : ٤٣٧) ومسند أبي يعلى (٥ : ١٤٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٥٥٩) وسير أعلام النبلاء (٤ : ٥٧٠) والشمائل لابن كثير (٢٤٠) وفتح الباري (٦ : ٦٠٢).

فقال له عَمْرو بن سَوّاد : أَعطى عيسى عليه السلام إحياءَ الموتى .

فقال الشافعي رحمه الله تعالى : أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم حنين الجذع ، حتى سُمع صوته ، هذا أكبر من ذلك[١].اهـ.

٥ـ معاملة النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم ذلك الجذع معاملة العاقل ، حيث (ضمه ، والتزمه ، فسارَّه ، فخيره ، إن شئت...) فهل يعي قُساةُ القلوب من المسلمين عظمَ مكانة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويبادلوا الجذعَ بعضاً مما عنده ، ويستلهمون منه بعض حاله ؟؟؟ أرجو الله تعالى .

قال ابن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى[٢]: لا ينبغي أن يُتعجبَ من حنين الجذع ، ومَجيء الأشجار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإن الذي جعل في المغناطيس خاصيةً تجذب الحديد إليه ، يجوز أن يجعل في الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم خاصيةً تجذب إليه.اهـ.

٦ـ لقد أكثر الشعراء المحبون ذكرَ حنين الجذع ، وكتبوا القصائدَ الكثيرةَ في ذلك ، فمن ذلك :

وَحَنَّ إليه الجذعُ شَوْقاً وَرِقَّةً ... وَرَجَّعَ صوتاً كالعِشارِ مُرَدِّدَاً

فَبَادَرَهُ ضَمّاً فَقَرَّ لوقتِه ... لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْ دَهرِهِ ما تَعَوَّدَا

وقال آخر :

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه (٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٦٨) وفتح الباري (٦ : ٦٠٣) والشمائل لابن كثير (٢٥١).

(٢) انظر : الوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم لابن الجوزي (١ : ٣٢٤).

وَأُلْقِيَ حتى في الجَمادات حُبُّهُ   فَكانتْ لإهْداءِ السَّلام له تُهدى
وَفارَقَ جِذْعَاً كانَ يَخْطُبُ عِنده   فَأَنَّ أَنينَ الأمِّ إذ تَجِدُ الفَقْدا
يَحِنُّ إليهِ الجِذعُ يا قَوْمُ هَكَذا   أَما نحنُ أَوْلى أَنْ نَحِنَّ لَه وَجْداً
إذا كان جِذْعٌ لم يُطِقْ بُعْدَ ساعةٍ   فَلَيْسَ وَفاءً أن نطيقَ له بُعْدا

أسأله تعالى أن يكرمنا بفضله وكرمه وإحسانه ، ويرزقنا محبتَه ومحبةَ نبيِّه وصفيِّه المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، ومتابعتَه ، والحشرَ معه ، إنه جوادٌ كريم .

ثانياً : أُسطوانات الحرم :

إن أسطوانات الحرم النبوي الشريف كلها فاضلة ، لأنها من هذا المسجد الشريف ، ولذا فقد كان كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم يبتدرونها ؛ للصلاة عندها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد رأيت كبارَ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يبتدرون السواري عند المغرب ، حتى يَخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . متفق عليه[1] ، واللفظ للبخاري .

وأما لفظ مسلم ، فعنه رضي الله عنه قال : كنا بالمدينة ، فإذا أذَّن المؤذنُ لصلاة المغرب ؛ ابتدروا السواريَ ، فيركعون ركعتين ركعتين ، حتى إن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة إلى الاسطوانة ، وكتاب الأذان : باب كم بين الأذان والإقامة . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب ، رقم (٣٠٣).

وقد أفردتُ لهاتين الركعتين : رسالةً خاصةً بها ، ذكرت ثبوتها بالأقسام الثلاثة ؛ من القول ، والفعل ، والتقرير .

الرجلَ الغريبَ ليدخل المسجدَ فيحسِب أن الصلاةَ قد صُلِّيت من كثرة من يصلِّيها .

لكني سأقتصر على أسطوانات الروضة :

إن الشيء يفضل بما يجاوره ، ويسعد بما يقاربه ، ويغلو بما حاذاه ، وجاوره ،... وهكذا الروضة ، فسواريها فاضلة هي الأخرى ، وذلك لتردد المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم إليها ، وجلوسه واعتكافه عندها ، أو صلاته ـ بعد تحول القبلة نحوها ـ أو لإخباره عن كثرة الثواب لمن صلى عندها ، أو لنومه صلى الله عليه وآله وسلَّم عندها ، أو لاستقباله صلى الله عليه وآله وسلَّم الوفود بجوارها ،...إلخ. لكني سأذكر بعض ما ورد فيها .

١ـ **أُسطوانة المصحف الشريف** : وهي التي بين المنبر والمحراب .

فعن يزيد بن أبي عبيد رحمه الله تعالى قال : كنت آتي مع سلمةَ بن الأكوع رضي الله عنه فيصلي عند الأُسطوانة التي عند المصحف ، فقلت : يا أبا مسلم ؛ أراك تتحرى الصلاةَ عند هذه الأُسطوانة ؟ قال : فإني رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يتحرى الصلاة عندها . متفق عليه[1].

وهذا الحديث يدل على مشروعية إدامة الصلاة في موضع واحد ، إذا كان فيه فضل ، وكذا تخصيص موضع معين في المسجد لمصلحة ، وأما ما ورد من النهي عن إيطان الرجل موضعاً من المسجد يلازمه ؛ فهو فيما لا فضل فيه ، ولا حاجة فيه ،... وأما من يحتاج إليه لتدريس علم ، أو للإفتاء ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة إلى الأسطوانة . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب دنو المصلي من السترة ، رقم (٢٦٣ ، ٢٦٤).

أو سماع حديث ، ونحو ذلك ، فلا كراهة فيه ، بل هو مستحب ، لأنه من تسهيل طرق الخير .

ونقل القاضي عياض رحمه الله تعالى خلافَ السلف رحمهم الله تعالى في كراهة الإيطان لغير حاجة ، والاتفاق عليه لحاجة[1].

٢ـ **أُسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها** : وهي شمال المحراب إلى جهة اليسار ، وعن يمين أسطوانة التوبة ، ومكتوب عليها الآن لوحة تحمل اسم : (أسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها) وكانت تعرف أيضاً بالأسطوانة المُخلَّقة ، وأسطوانة المهاجرين .

وهي التي صلى إليها النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم المكتوبةَ ، بضع عشرة ليلةً ، عندما تحوَّلت القبلةُ إلى الكعبة ، ثم تقدم إلى مصلاه اليوم ، وكان يجعلها صلى الله عليه وآله وسلَّم خلفَ ظهره ، وإن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله بن الزبير ،... رضي الله عنهم : كانوا يُصلُّون إليها ، وإن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها ، وكان يقال لها : مجلس المهاجرين[2]. رضي الله تعالى عنهم .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن في المسجد لبقعةً قِبل هذه الأُسطوانة ، لو يعلمُ الناسُ ؛ ما صلُّوا فيها إلا أن يُطَيَّرَ لهم فيها قرعة ،...». الحديث ، رواه الطبراني في

(١) انظر : شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤ : ٢٢٦).

(٢) أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم لابن النجار ، المعروف بـ (الدرة الثمينة) (٩١).

الأوسط ، ولم يذكر الهيثمي فيه شيئاً[1]، وله طرق غير طريق الطبراني يشدُّ بعضُها بعضاً ، والله تعالى أعلم .

ويقال : إن الدعاء عندها مستجاب[2]، والله تعالى أعلم .

٣ـ أُسطوانة التوبة : وهي معروفة بأُسطوانة أبي لُبابة رضي الله عنه ، وهي بين الحجرة الشريفة ، وأُسطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها .

وتسمى بأُسطوانة أبي لبابة رضي الله عنه ، لأنه ربط نفسَه عليها لما حصل معه رضي الله عنه يوم بني قريظة من اليهود ، وبقي مربوطاً عليها حتى تاب الله تعالى عليه ، وأطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ وهو خارج لصلاة الصبح .

وقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إذا اعتكف : يُطرِح له فراشٌ ، أو يوضع له سرير وراءها .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه كان إذا اعتكف طُرح له فراشُه ، أو يوضع له سريرُه ، وراء أُسطوانة التوبة . رواه ابن ماجه وابن خزيمة والبيهقي بإسناد صحيح ، كما قال الإمامُ البوصيري رحمه الله تعالى[3].

---

(١) المعجم الأوسط (١ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦) ومجمع البحرين (٣ : ٢٨٤) ومجمع الزوائد (٤ : ٩ ـ ١٠). وانظر أخبار المدينة (٩١ ـ ٩٢) وفتح الباري (١ : ٥٧٧) ووفاء الوفاء (٤٤٠ ـ ٤٤٢).

(٢) انظر : أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم (٩٢) وشرح ثلاثيات الإمام أحمد (٢ : ٧٨١) والتعريف بما آنست الهجرة (٣٤) ووفاء الوفاء (٤٤٠).

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب الصيام : باب في المعتكف يلزم مكاناً في المسجد ، رقم (١٧٧٤) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ٣٥٠) والسنن الكبرى (٥ : ٢٤٧) ومصباح الزجاجة (٢ : ٨٤).

٤ـ أما الأسطوانات الأخرى :

فالأُسطوانة الحنَّانة ، ويقال لها : المُخَلَّقَة ، وهي التي حن الجذع عندها . وقد سبق الحديث عن حنين الجذع ، وموضعه في المسجد .

وأما الأُسطوانات الملاصقة للحجرة الشريفة :

فأُسطوانة السرير ، وهي التي تقابل أُسطوانة التوبة . وقد سميت بذلك لوجود سرير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عندها ، وهو مصنوع من جريد ، وكان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يضطجع عليه .

ثم **أُسطوانة الحرس** ، وهي شمال أسطوانة السرير ، على يمين باب حجرة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، وأمام الباب الآن دولاب للمصاحف .

وقد كان بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم يجلس في صفحتها يحرس النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وذلك قبل نزول قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[1] .

ثم **أُسطوانة الوفود** ، وهي شمال أسطوانة الحرس ، وهي على يسار الباب المذكور ، وسميت بأُسطوانة الوفود ؛ لأن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يجلس إليها ، فيستقبل الوفودَ القادمةَ إليه ، وكان يقال لها أيضاً : مجلس القلادة ، لأن كبارَ الصحابة وأفاضلَهم رضي الله تعالى عنهم يجلسون إليها أيضاً ، والله تعالى أعلم .

ثم أسطوانة تربيعة القبر ، ويقال لها أيضاً : أسطوانة مقام جبريل عليه السلام ، وهي شمال أسطوانة الوفود ، وقد كان النبي المصطفى الكريم

---

(١) سورة المائدة (٦٧).

صلى الله عليه وآله وسلَّم يقف عندها ـ وكان هناك باب بيت السيدة فاطمة رضي الله عنها ـ وينادي بالصلاة ؛ لعَلِيٍّ وفاطمة رضي الله عنهما ، وكانت هذه الأسطوانة مكانَ معرس عليٍّ بفاطمة رضي الله عنهما .

وهناك غير ما ذكرت من الأسطوانات في الحرم النبوي الشريف ، والله تعالى أعلم .



المبحث الخامس
مسجد قباء

إن من فضائل المدينة المنورة وجودَ عددٍ كبير من المساجد الفاضلة التي كانت موجودةً في زمن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وورد فيها بعضُ الفضائل والمناقب ، وذلك : بأن يكون صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي أسَّسها وأنشأها ، أو وضع قبلتها ، أو بيَّن فضلَها ، أو ثوابَ من أتاها ، أو صلّى فيها ،... أو نزل فيها شيء من القرآن الكريم بخصوصها ،...إلخ.

ومن هذه المساجد التي ورد فيها فضلٌ كثير ، وخير عميم : هذا المسجد الشريف :

فضائله على الإجمال :

فهو أول مسجد أسسه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ؛ يوم وصوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة مهاجِراً ، وقد كان له حظوة كبيرة عند رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، فقد بناه صلى الله عليه وآله وسلَّم مرتين ؛ الأولى : عندما كانت قبلته إلى بيت المقدس ، والثانية : بعد أن تحوَّلت القبلة إلى الكعبة المشرفة ، وخطَّ قبلتَه مرتين ، فقبلتُه أعدلُ قبلةٍ في المساجد مع المسجد النبوي الشريف ، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يتعهده ويتفقده باستمرار ، وكذا فعل أصحابه رضي الله عنهم من بعده ، كما بيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم فضلَ الصلاة فيه ، وأن فيه خيراً كثيراً ، وقد نزل فيه قرآن يتلى ، يخبر الله تعالى فيه :

أنه أُسس على التقوى ، ويأمر نبيَّه المصطفى الكريمَ صلوات الله عليه وآله وسلَّم القيامَ فيه ، ولأهميته أفردته في مبحث مستقل ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

تأسيسه على التقوى من أول يوم :

وذلك لأن الذي بناه في المرتين إنما هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، سواء عندما قدم المدينة ، أو بعد تحويل القبلة .

وقد أنزل الله جل شأنه في شأن هذا المسجد الكريم وأهله قوله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

فهذه الآيات الكريمات تتحدث عن مسجدين ؛ الأول : مسجد الضرار ، الذي بناه بعض المنافقين في قباء ، ليكون تفرقةً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله ، فلا يزال بنيانهم ريبةً في قلوبهم ، حتى ينهارَ بهم ـ والعياذ

---

(١) سورة التوبة (١٠٧ ـ ١١٠).

بالله ـ في نار جهنم ، لذا أمرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم به فهُدم ، ثم حرِّق ، في قصة معروفة .

وأما المسجد الثاني ؛ فهو الذي أُسس على التقوى من أول يوم ؛ فهو أحقُّ أن يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو خيرٌ لأنه بُني من أول يوم على تقوى من الله تعالى ، وفيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطَّهِرين .

وقد ذهب الجمهور : إلى أن الآية الكريمةَ نزلت في مسجد قباء ، ويدل على ذلك أمور :

١ـ ظاهر الآيات ، حيث تحدثت عن مسجدين ، الأول : مسجد الضرار ، وهو في قباء ، والثاني : فمن سياق النص الكريم يظهر أيضاً أنه مسجد قباء .

٢ـ إن أول شيء فعله النبي الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم عندما وصل إلى المدينة ـ ونزل في بني عمرو بن عوف ـ هو بناء مسجد قباء على تقوى ، فكان له الأولية : ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ .

ففي رواية البخاري[1]: ...فلبث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في بني عمرو بن عوف بضعَ عشرةَ ليلةً ، وأسس المسجدَ الذي أُسس على التقوى ، وصلَّى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم ركب راحلته ، فسار يمشي معه الناس ، حتى بَرَكَت عند مسجدِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة ،... الحديث .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

٣ـ ختم الآية الكريمة الثانية بقوله تعالى : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ وقد جاءت النصوص الكريمةُ مبينةً أن هذا الثناء قد ورد في أهل قباء . كما سيأتي ، والله تعالى أعلم .

٤ـ ما ورد عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من سؤاله أهلَ قباء عن هذا الثناء الذي أثنى الله تعالى عليهم به .

فعن عُوَيم بن ساعدة الأنصاري ، ثم العجلي رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال لأهل قباء : «إن الله قد أحسن الثناءَ عليكم في الطهور ، وقال : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ حتى انقضت الآية ، فقال لهم : ما هذا الطهور ؟». الحديث ، رواه أحمد ، وابن خزيمة والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، والطبراني في الثلاثة ، والطبري[1]،...

وقد ورد نحوُ هذا الحديث ؛ عن عدد من الصحابة ؛ كأبي هريرة وأبي أيوب وجابر وأنس وابن عباس ،... رضي الله تعالى عنهم ، فهو يتقوى بها ، وانظرها في الأصل .

فهذه الآية الشريفة نزلت في مسجد قباء وأهله .

وأنه المسجد الكريم الذي أُسس على التقوى من أول يوم ، كما أن المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة أُسس ـ هو الآخر ـ على التقوى من أول يوم ، لأن كلاً منهما : أسسه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ،

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٢٢) وصحيح ابن خزيمة (١ : ٤٥ ـ ٤٦) والمستدرك (١ : ١٥٥) والمعجم الكبير (١٧ : ١٤٠) والمعجم الأوسط (٦ : ٨٩) والروض الداني (٢ : ٨٦) ومجمع البحرين (١ : ٢٩٨) ومجمع الزوائد (١ : ٢١٢) وتفسير الطبري (١٤ : ٤٨٦).

وبناه ، وإن كانت الآية الكريمةُ : نزلت في مسجد قباء ، وخُص أهله بزيادة التطهر ، والله تعالى أعلم .

القيام في هذا المسجد الشريف :

ومن عظم مكانة هذا المسجد الشريف ـ مسجد قباء ـ : أن جعله الله تعالى أهلاً ومحلاً للقيام فيه ، وللذكر ، والعبادة ،... ولهذا بيَّن الله سبحانه وتعالى أحقيةَ القيام في هذا المسجد الكريم ، ونهى نبيَّه وصفيَّه الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم أن يقوم في مسجد الضرار ؛ الذي اتخذه المنافقون إرصاداً لمن حارب الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ،... وتفريقاً بين المؤمنين . وقد ذكرت الآيات في الفقرة السابقة ، وفيها :

قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ * لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ .

فبعد أن بيَّن الله عز وجل حال مسجد الضرار ، وذكر النهيَ عن القيام فيه ؛ أمر الله عز وجل أن يقوم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في المسجد الذي أُسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد قباء . كما مر في الفقرة السابقة ، وأن هذا هو مذهب الجمهور .

قِبلتُه أعدلُ قبلة مع المسجد النبوي :

ومن فضائل هذا المسجد الشريف : أن قِبلتَه ـ كما هي الحال في المسجد النبوي الشريف ـ أعدلُ قِبلة ، لذا لا يصح الاجتهادُ فيها ، لأن الذي أسسه وبناه : هو رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وكان جبريل عليه السلام هو الذي حدَّد قبلتَه . وذلك بعد تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة .

عن الشَّموس بنتِ النعمان رضي الله تعالى عنها قالت : نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حين قدم ونزل ، وأَسَّس هذا المسجدَ ـ مسجدَ قباء ـ فرأيتُه يأخذ الحجر ، أو الصخرة ، حتى يهصره الحجرُ ، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه ـ أو سُرَّتِه ـ فيأتي الرجل من أصحابه ويقول : بأبي وأمي يا رسول الله أعطني أَكْفِك . فيقول : «لا ، خذ مثلَه» حتى أسَّسه ، ويقول : «إن جبريلَ عليه السلام هو يؤمُّ الكعبةَ».

قال : فكان يقال : إنه أقومُ مسجدٍ قبلةً . رواه الطبراني في الكبير برجال ثقات[1].

وقد ورد نحوُه من حديث سهل بن سعد ، وأبي غُزية الأنصاري ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم .

تحويل القبلة فيه إلى الكعبة :

هذا المسجد هو أحد المساجد التي صُلِّيَ فيها إلى القبلتين ، وذلك لأنه كان أولَ مسجد بني في الإسلام ، فكانت قبلتُه ـ عندما قدم النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم المدينة إلى بيت المقدس ، ثم حُوِّلت الصلاةُ فيه إلى الكعبة المشرفة ، وكان ذلك في صلاة الفجر ، بعد المسجد

---

(١) المعجم الكبير (٢٤ : ٣١٧ ، ٣١٨) ومجمع الزوائد (٤ : ١١).

النبوي الشريف .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : بينما الناس بقباء في صلاة الصبح ، إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أُنزل عليه الليلةَ قرآنٌ ، وقد أُمر أن يستقبلَ الكعبةَ ، فاستقبلوها .

وكانت وجوهُهم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة . متفق عليه[1] .

وقد ورد من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه بنحوه أيضاً .

وقوله في الحديث : (قد أُنزل عليه الليلة قرآن) . : فيه دلالة على إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والليلة التي تليه مجازاً . والتنكيرُ في قوله : (قرآن) لإرادة البعضية . والمراد به هو قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية الواردة به في ذلك ، والله تعالى أعلم .

وكان تَحَوُّلُ القبلةِ في المسجد النبوي الشريف في صلاة الظهر ، لكن تأخر وصولُ الخبر إلى أهل قباء : إلى صلاة الفجر ، وأما من كان داخل المدينة ؛ فقد وصلهم الخبر في صلاة العصر ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

كما في هذا الحديث دلالة على قبول رواية الواحد ، والله تعالى أعلم .

فيه خير كثير :

لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن مسجد قباء فيه خير كثير .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رجلاً من بني عمرو بن عوف

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب ما جاء في القبلة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، رقم (١٣ ـ ١٤).

ورجلاً من بني خُدْرَة امتريا في المسجد الذي أُسس على التقوى فقال الخُدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . وقال العَمْري : هو مسجد قباء ، قال : فخرجا حتى جاءا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فسألاه عن ذلك فقال : «هو هذا المسجد ، مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي ذلك خير كثير». رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه ، وأقره الذهبي ، في آخرين[١].

الصلاة فيه تعدل عمرة :

ومن فضائل هذا المسجد الشريف : أن من أتاه وصلّى فيه ركعتين كان له من الأجر كأجر عمرة كاملة ، وهذا كله فضل من الله تعالى ونعمة ، أنعم الله جلت قدرته بها على عباده ، وتكرَّم بها على المدينة وساكنيها ، والله تعالى أعلم .

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

فعن سهل بن حُنَيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من تطهَّر في بيته ؛ ثم أتى مسجدَ قباء ، فصلى فيه صلاةً ، كان له كأجر عمرة». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وابن شبة في آخرين[٢].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٣ ، ٩١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٧٢) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى ، رقم (٣٢٣) وصحيح ابن حبان (٤ : ٥٠٦) والمستدرك (١ : ٤٨٧) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٧٢ ـ ٢٧٣) وتفسير الطبري (١٤ : ٤٨١ ، ٤٨٢) وشرح السنة (٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤١) وانظر الدر المنثور (٤ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٤٨٧) وسنن النسائي : كتاب المساجد : باب فضل مسجد قباء (٢ : =

وقد ورد نحوه أيضاً عن عدد من الصحابة منهم : أُسَيْد بن ظُهير ، وعبد الله بن عُمر ، وسهل بن سعد ، وأبو غُزية ، وأبو سعيد الخدري ، وكعب بن عُجرة ، وأبو أمامة ،... رضي الله عنهم .

وفي هذه الأحاديث أمور :

١ـ فضل مسجد قباء وأهميته ، وكيف لا يكون كذلك ؛ وقد أسسه وبناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على التقوى من أول يوم .

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لو كان مسجدُ قباء في أفقٍ من آفاق الأرض ضربنا له أكبادَ المطي . رواه عبد الرزاق ـ موصولاً ومنقطعاً ـ وابن سعد وابن شبة[1].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

٢ـ فضل الصلاة في مسجد قباء ، حيث إنها تعدل عمرةً كاملةً في الأجر والثواب ، والمراد بالصلاة هنا : مطلق الصلاة ، فيشمل صلاة النافلة ، وأقلها ركعتان ، والله تعالى أعلم .

٣ـ في هذه الأحاديث الشريفة دلالةٌ على تفضيل بعض الأماكن على

= ٣٧) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء ، رقم (١٤١٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٧٣) (١٢ : ٢١٠) ومسند عبد بن حميد (١٧١ ـ ١٧٢) وفضائل المدينة للجندي (٤١) والمعجم الكبير (٦ : ٩٠ ، ٩١) والمستدرك (٣ : ١٢) وتاريخ المدينة (١ : ٤٠) والتاريخ الكبير (٨ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٦) ومجمع الزوائد (٤ : ١١).

(١) مصنف عبد الرزاق (٥ : ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ١٣٣) والطبقات الكبرى (١ : ٢٤٤ ، ٢٤٥) وتاريخ المدينة (١ : ٤٦).

بعض ، فكما فضَّل مكة والمدينة ؛ فضَّل أماكن فيهما ، لذا كان من جملة الفضل في هذا المسجد أن جعل الصلاةَ فيه تعدل ثوابَ عُمْرة كاملة ، والله تعالى أعلم .

زيادة فضل الصلاة فيه على إتيان بيت المقدس :

ومن فضائل مسجد قباء ؛ أن الصلاةَ فيه : أفضلُ من إتيان بيت المقدس ، وهذا غايةٌ في التكريم ، حيث جعله أولاً كعدل عمرة ، ثم جعله خيراً من إتيان بيت المقدس ، والله تعالى أعلم .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : لأَن أُصلِّي في مسجد قباء ركعتين ؛ أَحبُّ إليَّ من أن آتي بيتَ المقدس مرتين ، ولو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكبادَ الإبل . رواه ابن شبة ، والحاكم وصححه على شرطهما ، وأقره الذهبي ، والحافظ في الفتح أيضاً(١).

وقد ورد نحو القسم الأخير منه : قولُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد ورد ذكره قبل قليل .

ومثل هذا مما لا مجال للعقل فيه ، والله تعالى أعلم .

كما يدل على فضل هذا المسجد الشريف ، بحيث لو كان في أفق من آفاق الأرض لضُربت إليه أكبادُ الإبل ، ولكن الله تعالى الرحيم بعباده جعله في بلد نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلم يحتج لشدِّ الرحال ، والله تعالى أعلم .

تعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمجيء إليه دائماً :

ومن عظم مكانة هذا المسجد الشريف ، ورفعة مكانته عند النبي المصطفى

---

(١) المستدرك (٣ : ١٢) وتاريخ المدينة (١ : ٤٢) وفتح الباري (٣ : ٦٩).

الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يتعهده بالمجيء إليه دائماً ، ويأتيه صلى الله عليه وآله وسلَّم راكباً وماشياً ، ولا يمر أسبوع إلا ويأتيه ، ويصلي فيه ،... مما يدل على مكانة هذا المسجد الشريف في الإسلام ، ومنزلته عند النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكيف لا ، وهو أول مسجد بناه صلى الله عليه وآله وسلَّم لجماعة المسلمين ، يُصلُّون فيه بشكل علني ، وقد أُسس على التقوى من أول يوم ، وذلك قبل انتقاله صلى الله عليه وآله وسلَّم من قباء إلى المدينة ، ليبني فيها مسجدَه العامر .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يأتي مسجدَ قباء راكباً وماشياً ، فيصلي فيه ركعتين . متفق عليه[1] .

وعنه رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يأتي مسجدَ قباء كلَّ سبت ماشياً وراكباً .

وكان عبد الله رضي الله عنهما يفعله . متفق عليه[2] وله روايات أخرى بنحوه .

قلت : قوله : (يأتي مسجد قباء كل سبت) وإن كان يفهم منه الدوامُ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب إتيان مسجد قباء ماشياً وراكباً . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل مسجد قباء ، رقم (٥١٦).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب السابق : باب من أتى مسجد قباء . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٢٠ ـ ٥٢١).

على ذلك ، لكنه لا يعني أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يأتيه في غير هذا اليوم ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يأتيه في غيره أيضاً .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الإثنين إلى قباء ، حتى إذا كنا في بني سالم ؛ وقف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على باب عتبان [بن مالك] فصرخ به ، فخرج يجر إزارَه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أعجلنا الرجل ،...». الحديث . رواه مسلم(١).

كما وردت أحاديث أخرى بخلاف ذلك أيضاً .

ففي هذه الأحاديث :

ـ تعهد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لمسجد قباء ، حيث كان يتفقده وأهلَه ، من حرصه صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه ، وعلى أهله ، ووداده صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم .

ـ عظم مكانة هذا المسجد الشريف ،... حتى صار النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يتعهده ويتفقده ، ويُكثر الاختلافَ إليه ؛ ماشياً وراكباً ، حسب ما يتيسر له ، علماً بأن قباء كانت قريةً منفصلة عن المدينة ، ومع هذا فقد كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يأتيه كل أسبوع .

ولهذا اشتهر مسجدُ قباء باسم (مسجد التقوى)، والله تعالى أعلم .

ولذا صار الصحابة رضي الله عنهم يتعهدون هذا المسجد بالمجيء إليه ، وتنظيفه والعناية به . وقد ذكرتُ بعض النصوص في الأصل .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب إنما الماء من الماء ، رقم (٨٠).

ـ كما أن في هذه الأحاديث الشريفة : دلالة على جواز تخصيص بعض الأيام ببعض الأعمال الصالحة ، والمداومة عليها[1]. حيث كان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يأتي مسجد قباء كل سبت ، ماشياً وراكباً ، فيصلي فيه ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) انظر : فتح الباري (٣ : ٦٩).

المبحث السادس
المساجد الأخرى في المدينة المنورة

إن من فضائل المدينة المنورة وجودَ عددٍ كبير من المساجد الفاضلة التي كانت موجودةً في زمن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وورد فيها بعضُ الفضائل والمناقب ، وذلك : بأن يكون صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي أسَّسها وأنشأها ، أو وضع قبلتها ، أو بيَّن فضلَها ، أو ثوابَ من أتاها ، أو صلّى فيها ،... أو كان صلوات الله عليه وآله وسلَّم قد دعا فيها فاستجاب الله تعالى دعاءَه ،... أو نزل فيها شيء من القرآن الكريم بخصوصها ، أو شهدت حدثاً إسلامياً مهماً ،...إلخ.

ولكني لن أستطيع أن أذكر كل المساجد ؛ التي كانت موجودةً في زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم لكثرتها . لذا سأذكر بعضها ، مع ذكر بعض فضائلها .

ومن هذه المساجد التي ورد فيها فضلٌ كثير ، وخير عميم :

مسجد الفتح :

وهو أحد المساجد السبعة المعروفة في المدينة ، وهو غربي جبل سلع ، وهو المسجد الأعلى فيها ، في شمالها ، يُصعد إليه بدرج من قِبْلِيِّه ، وآخر من شماله ، وقد أزيل هذا الدرج الشمالي قبل سنوات ، وجُعل مكانه حديقة صغيرة .

وهذه المساجد المباركة كانت موجودة خلف الخندق أثناء حصار الأحزاب (كفار قريش ومن معهم) للمدينة ، وهذه المنطقة كانت أخطر الأماكن ، لذا كثر تردُّدُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ، وصلاته في هذه

المساجد التي كانت لكبار الصحابة رضي الله عنهم ؛ الذين كانوا يرابطون ، ويتناوبون فيها ، لذا عُرفت بأسمائهم ، والله تعالى أعلم .

وهذا المسجد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أثناء غزوة الخندق ، ودعا صلوات الله عليه وآله وسلَّم فيه على الأحزاب ، فاستجاب الله تعالى دعاءَه ، لذا صار الدعاء فيه بعد ذلك مستجاباً ، بإذن الله تعالى .

وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم ـ الذين رووا الحديث ـ جرَّبوا الوقتَ الذي دعا فيه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، فاستجاب الله جل شأنه دعاءَهم في ذلك الموضع .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم دعا في مسجد الفتح ثلاثاً : يومَ الإثنين ، ويومَ الثلاثاء ، ويومَ الأربعاء ، فاسْتُجيب له يومَ الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرف البِشْرُ في وجهه .

قال جابر رضي الله تعالى عنه : فلم ينزل بي أمرٌ مهمٌّ غَليظٌ ؛ إلا توخيت تلك الساعة ، فأدعو فيها ، فأعرف الإجابة . رواه أحمد وابن شبة ـ من طرق ـ والبزار ، ورجال أحمد والبزار ثقات[1].

وقول جابر رضي الله تعالى عنه : (بين الصلاتين) أي بين صلاتي الظهر والعصر ، والله تعالى أعلم .

مسجد الإجابة :

وهو مسجد بني معاوية بن مالك بن عوف ، من الأوس ، ومكانه اليوم :

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٣٢) وكشف الأستار (١ : ٢١٦) وتاريخ المدينة (١ : ٥٨ ـ ٦٠) ومجمع الزوائد (٤ : ١٢).

شمال شرق البقيع ، على يمين شارع الستين للذاهب من شرق البقيع إلى طريق أبي بكر الصديق رضي الله عنه [طريق سلطانة] وهو أمام مستشفى الأنصار ، وهو مسجد قائم ومعروف اليوم ، وتقام فيه صلاة الجمعة أيضاً .

وقد دعا فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فاستجاب الله تعالى دعاءه .

فعن سعد بن وقاص رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أقبل ذاتَ يوم من العالية ، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية ، دخل ، فركع فيه ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربَّه طويلاً ، ثم انصرف إلينا ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «سألتُ ربي ثلاثاً ، فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدةً . سألتُ ربي أن لا يُهلِك أُمتي بالسَّنَةِ ، فأعطانيها . وسألتُه أن لا يُهلِك أُمتي بالغرق ، فأعطانيها . وسألته أن لا يَجعلَ بأسَهم بينهم ، فمنعنيها». رواه مسلم[1].

لكن جاء في حديث عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عَتيك ، وابن عمر ، وخبَّاب بن الأَرَت ، وحذيفة بن اليمان ، ومعاذ بن جبل ، وجَبْر بن عَتيك ، وثوبان رضي الله عنهم بدلاً من قوله : «وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق» جاء في تلك الأحاديث : «وسألته أن لا يسلِّط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها».

زاد في حديث ثوبان عند مسلم : «وإن ربي قال : يا محمد ؛ إني إذا قضيتُ قضاءً لا يُرَدُّ ، وإني أعطيتُك لأمتك أن لا أُهلِكم بسَنَةٍ عامَّة ، وأن

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، رقم (٢٠ ، ٢١). ورقم حديث ثوبان رضي الله عنه عند مسلم (١٩).

لا أُسلِّطَ عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم يستبيح بيضَتَهم ، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها ـ أو قال : مَن بَيْن أقطارها ـ حتى يكون بعضُهم يُهلك بعضاً ، ويَسبي بعضُهم بعضاً»[1].

فيكون السؤال عن أربع مسائل ، أعطي صلوات الله عليه وآله وسلَّم ثلاثة ، وهي :

ـ ألا يُهلكهم بقحط أو جوع أو مَحْل يعمهم .

ـ ألا يسلط عليهم عدواً غريباً عنهم ، فيستأصل شأفتهم ويقضي على جميعهم .

ـ ألا يهلكهم بغرق يعمهم أو يعم بلادهم .

وبقيت واحدة ، وهي :

ـ «أن يكون بأس هذه الأمة بينها ، حتى يُهلك بعضُهم بعضاً ، ويَسبي بعضُهم بعضاً». وهذا هو البأس الذي لم يرفعه الله تعالى عن هذه الأمة ، وهو المشاهَدُ منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا ، والمشتكى إلى الله تعالى . حيث إذا هدأ في مكان ؛ نشب في مكان آخر ، وإذا خمد في موطن ؛ استعر في موطن آخر ، والله المستعان .

فهذا المسجد استجاب الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم دعاءَه لأمته فيه ، لذا سمي بهذا الاسم ، فصار من خصوصياته ، والله تعالى أعلم .

مسجد القبلتين :

لقد كانت الصلاة تُصلَّى في هذا المسجد ـ منذ قدم صلى الله عليه وآله

---

(١) انظر تلك الروايات في الأصل (٢ : ٣٩٣ ـ ٣٩٧).

وسلَّم المدينة ـ إلى جهة بيت المقدس ، فلما تحُوِّلت القبلة إلى الكعبة المشرفة ، وجاءهم الخبر ، والناس في الصلاة ، استدار الناس مع إمامهم ، وهم يُصَلّون ، إلى الكعبة المشرفة ، بعد ما صلوا ركعتين إلى جهة بيت المقدس ، وكان ذلك في صلاة العصر على الراجح ، والله تعالى أعلم .

لكن اختُلف : هل كان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الإمام آنذاك ، وأن أولَ صلاة تحولت إلى الكعبة المشرفة كانت فيه ، أم أن أولَ صلاة حُوِّلت إلى الكعبة المشرفة كانت في المسجد النبوي الشريف ، وهي في وقت الظهر ، وتَحول أهلُ هذا المسجد في صلاة العصر ، كما تحول أهل قباء في صلاة الصبح ؟ على قولين :

الأول : أن مسجد القبلتين : هو أول مسجد حُوِّلت فيه الصلاة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الإمام فيه آنذاك ، حيث إنه صلى الله عليه وآله وسلَّم زار أمَّ بِشر بن البراء بن معرور رضي الله عنهما في بني سَلِمة ، فصنعت له طعاماً ، وحانت صلاةُ الظهر ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بأصحابه ركعتين ، ثم أُمر بالتوجه إلى الكعبة ، فاستدار إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب ، لذا سُمي هذا المسجد (بمسجد القبلتين) وذلك يوم الإثنين ، للنصف من شهر رجب ، على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة .

وهذا ما جنح إليه ابن سعد ، وقال الواقدي : إنه الثبت ، وقال به مجاهد والزمخشري ، وعزاه ابن كثير رحمه الله تعالى لغير واحد من المفسرين وغيرهم ، وحققه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1].

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى (١ : ٢٤١ ـ ٢٤٢) وتفسير البغوي (١ : ١٢٥) والكشاف (١ : =

الثاني : أن أول مسجد حُوِّلت الصلاةُ فيه إنما هو المسجدُ النبوي الشريف ، وكان الإمام آنذاك : هو رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وكان ذلك في صلاة الظهر ، وأن أول صلاة صلاّها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم بأكملها إلى الكعبة المشرفة في المسجد النبوي الشريف ؛ هي صلاةُ العصر ، وأن الصلاةَ في مسجد القبلتين إنما تحولت في صلاة العصر . وهذا هو الجمع بين الأحاديث الصحيحة ، والله تعالى أعلم .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى نحوَ بيت المقدس ستةَ عشر ـ أو سبعةَ عشر ـ شهراً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يحب أن يُوَجَّه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ : ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم رجلٌ ، ثم خرج بعد ما صلَّى ، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر ؛ يُصلّون نَحوَ بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحَرَّف القومُ ، حتى توجهوا نحو الكعبة . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

فهذا الحديث يدل على أن المسجد الذي حُولِّت فيه الصلاة : هو

= ١٠١) وتفسير ابن كثير (١ : ١٩٠) وفتح الباري (١ : ٩٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب التوجه نحو القبلة حيث كان . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، رقم (١١ ، ١٢).

المسجد النبوي ، وأن مسجد القبلتين حُوِّلت فيه في صلاة العصر بعد ما حُوِّلت في المسجد النبوي الشريف ، والله تعالى أعلم .

وعنه رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان أولَ ما قدم المدينةَ نزل على أجداده ـ أو على أخواله ـ من الأنصار ، وأنه صلَّى قِبَل بيت المقدس ستةَ عشر شهراً ـ أو سبعةَ عشر شهراً ـ وكان يعجبُه : أن تكون قبلتُه قِبَلَ البيت ، وأنه صلى أولَ صلاة صلاها صلاةُ العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قِبل مكة ، فداروا كما هم قِبَلَ البيت ،... رواه البخاري[1].

لكن جاء في حديث ؛ أنس بن مالك وأبي سعيد بن المعُلّى رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان في صلاة الظهر .

لكن يمكن الجمع بين هذه النصوص ، بأن يكون النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم صلّى أوَّلَ الظهر إلى بيت المقدس ، وباقيها إلى الكعبة المشرفة ؛ في المسجد النبوي الشريف ، وأن أولَ صلاة صلاها كاملةً إلى الكعبة هي صلاة العصر ، والله تعالى أعلم .

وأما في مسجد القبلتين ؛ فقد صلى الناس أولَ صلاة العصر فيه إلى بيت المقدس ، وباقيها إلى الكعبة المشرفة ، والله تعالى أعلم .

وليس مسجد القبلتين هو المسجد الوحيد الذي حُوِّلت فيه القِبلةُ إلى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب الصلاة من الإيمان . وكتاب التفسير : باب : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ﴾ .

الكعبة والناس في الصلاة ، فقد حُوِّلت كذلك في مسجد قباء ، كما حُوِّلت في بعض مساجد المدينة الأخرى التي كانت موجودةً في زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ وذلك عندما جاءهم من يخبرهم بتحوُّلها إلى الكعبة المشرفة .

فقد ورد من حديث عبد الله بن عمر وسهل بن سعد رضي الله عنهم أن أهل قباء تحولوا في صلاة الصبح ، عندما أتاهم آت وأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أُنزل عليه قرآن ، وأنه أُمر أن يتوجه إلى الكعبة ، وقد مر ذكرُه قبل قليل .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : إن القبلةَ قد حُوِّلت . والإمامُ في الصلاة ؛ قد صلى ركعتين ، فقال المنادي : قد حُوِّلت القبلة إلى الكعبة ، فصلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة . رواه البزار وابن أبي شيبة والدارقطني ، وابن خزيمة ـ تعليقاً ـ بإسناد حسن[1].

قلت : لعله في مسجد بني حرام ، أو غيره ، والله تعالى أعلم .

وقد ورد نحو ذلك في مسجد بني حارثة ، كما في حديث تُويلة بنت أسلم ؛ وهي من المبايعات ، رضي الله عنها .

فالمساجد التي حصل فيها تحويلُ القبلة ، وهم في الصلاة : كثيرة ،

لكن الذي حصل بالنسبة لمسجد القبلتين : إنما هو النزاع في أيها وقع

---

(١) كشف الأستار (١ : ٢١٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١ : ٣٣٤) وصحيح ابن خزيمة (١ : ٢٢٥) وسنن الدار قطني (١ : ٢٧٤) ومجمع الزوائد (٢ : ١٣).

التحول فيه أول مرة ، هل هو المسجد النبوي الشريف ، والإمام فيه آنذاك هو رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، أم هو مسجدُ القبلتين ؟

والأول أرجح ، خلافاً لرأي من ذكرتُهم ، والله تعالى أعلم .

وخلاصة الموضوع : أن المساجد التي كانت داخل المدينة : أتاها الخبرُ في صلاة العصر ، أما المساجد التي كانت خارج المدينة كمسجد قباء مثلاً فقد جاءها الخبر في صلاة الفجر ، وقد توسعت في بيان ذلك في الأصل ، فانظره[1]، والله تعالى أعلم .

مسجد الجمعة :

لما ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الجمعة من قباء متجهاً إلى المدينة ، بعد مكثه صلى الله عليه وآله وسلَّم في بني عمرو بن عوف بضعة عشر يوماً ، أدركته صلاةُ الجمعة في بني سالم بن عوف ، فنزل صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وصلى بهم صلاة الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي ـ وادي رانوناء ـ وهي أولُ جمعة تُصلَّى في الإسلام ، وهذا باتفاق عامة أهل السير ، لا خلاف بينهم أعلمه في ذلك[2]، والله تعالى أعلم .

وهذا المسجد معروف إلى اليوم ، وقد أعيد بناؤه ـ قبل سنوات ، وهو على يمين القادم من قباء إلى المدينة ، في بطن الوادي ، وهو ظاهر من الطريق .

ويعرف هذا المسجد : بمسجد عاتكة .

---

(١) فضائل المدينة المنورة (٢ : ٣٩٩ ـ ٤١٢).

(٢) انظر المعجم الكبير (٦ : ٣٦) وجوامع السيرة (٩٤) والسيرة النبوية لابن هشام بشرح الروض (٢ : ٣٢٧) وعيون الأثر (١ : ١٩٤) والفصول (١٠٤) ومجمع الزوائد (٦ : ٦٢ ـ ٦٣) وزاد المعاد (٣ : ٥٨ ـ ٥٩) وفتح الباري (٧ : ٢٤٥) وغيرها .

فعن كعب بن عُجْرَة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم جمَّع في أول جمعة حين قدم المدينة ؛ في مسجد بني سالم ، في مسجد عاتكة . رواه ابن شبة ، وله طرق أخرى عنده ، وله شواهد أخرى[1].

وفي بني سالم بن عوف : مسجد آخر ، كان يُصلي فيه عِتْبانُ بن مالك رضي الله عنه ، وذلك أنه لما أنكر بصرَه طلب من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يأتيه ، ويصلي في بيته ، ليتخذه مصلى . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومعه أبو بكر رضي الله عنه حين ارتفع النهار ، فلم يجلس عليه الصلاة والسلام حتى سأله أين يريد أن يصلي له ، فأشار له إلى موضع من البيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فكَبَّر ، وصفوا خلفه ، فصلى بهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ركعتين ، ثم سلَّمَ . الحديث بطوله ، وهو متفق عليه ، من حديث محمود بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه ، وفيه قصة[2].

وهذا المسجد الذي كان يُصلِّي فيه عِتبانُ رضي الله عنه لا يُعرف اليوم ، إنما الذي يُعرف اليوم : هو المسجد الصغير ، وهو القائم الآن ، والمعروف بمسجد الجمعة ، والله تعالى أعلم .

مسجد بني عبد الأشهل :

وفي هذا المسجد صلى بهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم صلاةَ

---

(١) تاريخ المدينة (١ : ٦٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب المساجد في البيوت ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب الرخصة في التخلف عن الجماعة ، رقم (٢٦٣ ـ ٢٦٥).

المغرب ، وحثهم بعدها على أداء صلاة سنة المغرب البعدية في البيوت . وقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

فعن محمود بن لَبِيد ـ أحد بني عبد الأشهل ـ رضي الله تعالى عنه قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في مسجدنا ، فصلى بنا المغرب ، فلما سلَّم منها قال : «اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم ، للسبحة بعد المغرب». رواه أحمد وابن شبة وابن خزيمة بإسناد صحيح[1].

وقد وردت قصة صلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه أيضاً : من حديث كعب بن عُجْرة وثابت بن الصامت وعبد الله بن عبد الرحمن وأم عامر بنت يزيد بن السكن ،... رضي الله عنهم ، وقد ذكرت أحاديثَهم في الأصل .

مسجد المصلى (الغمامة):

لقد كان المصلى في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للاستسقاء ، والأعياد ، وأحياناً للجنائز ، وقد صلى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في عدد من الأماكن ، وهي كلها في منطقة واحدة ولكنه استقر ـ والله تعالى أعلم ـ في آخر الأمر في مكان واحد ـ وهو المعروف بمسجد الغمامة ـ ولهذا لما فحص عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ـ وهو وال في المدينة ـ عن المساجد والأماكن التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فجدَّد بناءها ، أعاد بناء مسجد أبي بكر الصديق ، ومسجد

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٤٢٧ ، ٤٢٨) وتاريخ المدينة (١ : ٦٦) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٢٠٩) ومجمع الزوائد (٢ : ٢٢٩).

علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وهما شمال مسجد الغمامة ، ومسجد عثمان رضي الله عنه ، وهو المعروف بمسجد التاجوري ، والله تعالى أعلم .

ومسجد الغمامة هو : آخر هذه الأماكن ، أو من أواخرها ، التي استقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على الصلاة فيها . وأذكر هنا بعض الأحاديث لا للاستيعاب ، فمن أراد المزيد فليرجع إلى الأصل .

أما صلاة العيد فيه :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يخرج يومَ الفطر والأضحى إلى المُصَلَّى ، فأولُ شيء يبدأ به الصلاةُ ، ثم ينصرفُ ، فيقوم مقابل الناس - والناسُ جلوسٌ على صفوفهم ؛ فيعظهم ويوصيهم ، ويأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه ، أو يأمرَ بشيء أَمر به ، ثم ينصرف ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - وقيل له - : أشهدتَ العيدَ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ قال : نعم ، ولولا مكاني من الصغر ما شهدتُه ، حتى أتى العَلَمَ الذي عند دار كَثِيرِ بن الصَّلْت ، فصلَّى ، ثم خَطب ، ثم أَتى النساءَ ، ومعه بلال ، فوعظهُنَّ ، وذكَّرَهن ، وأمرهنَّ بالصدقة ، فرأيتُهن يَهوين بأيديهن ؛ يقذفنه في ثوب بلال ، ثم انطلق هو وبلال إلى بيته . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[٢].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين ، رقم (٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب العَلَم الذي بالمصلى ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب السابق ، رقم (١ ، ٢).

وقوله : (ثم أتى العَلَمَ عند دار كَثِير) أي جعلوا لمصلاه صلى الله عليه وآله وسلَّم الذي كان يصلي فيه : شيئاً يُعرف به ، وهو المراد بالعَلَمَ ، وهو الشيء الشاخص .

وكونه عند دار كَثِير بن الصَّلْت ؛ إنما هو للتقريب من ابن عباس رضي الله عنهما للسامع منه ، وإلا فدارُ كَثِيرٍ : بُنيت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في هذا المكان ، لكنها لما صارت مشهورةً ؛ وُصف المُصلَّى بمجاورتها .

وقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إذا خرج إلى المصلى يُخرج معه عَنَزَة ، لتكون بين يديه ، كسُتْرة له ، إذ ليس في المصلى محراب ولا جدار .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يغدو إلى المُصَلَّى ، والعَنَزَةُ بين يديه تُحمل ، وتُنصب بالمصلى بين يديه ، فيصلي إليها . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وقد كان صلوات الله عليه وآله وسلَّم يخطب أحياناً وهو راكب على راحلته ، لأنه ليس في المصلى آنذاك منبر .

فعن أبي كاهل الأَحْمَسِيِّ رضي الله عنه قال : رأيت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يخطب على ناقته ، وحَبَشِيٌّ يأخذ بخطام الناقة . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب حمل العنزة والحربة بين يدي الإمام ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب سترة المصلي ، رقم (٢٤٥).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٧٨ ، ٣٠٦) وسنن النسائي : كتاب العيدين : باب الخطبة على البعير =

وروى أبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان[1] نحوَه ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . بإسناد صحيح .

وقد كان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يأمر بإخراج النساء والفتيات والعواتق وذوات الخدور ، حتى الحُيَّض منهن ، لكنهن يعتزلن المصلى ، ويجلسن على جنب ، ليشهدن الخيرَ ودعوةَ المؤمنين ، وتنالهن بركة ذلك اليوم .

فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أَمرنا ـ تعني : النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ أن نُخرج في العيدين العواتِقَ ، وذوات الخدور ، وأَمرَ الحُيَّضَ أن يعتزلن مصلى المسلمين .

زاد في رواية : وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين . متفق عليه[2] وله روايات متعددة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا رجع من المُصَلَّى ؛ رجع

= (٣ : ١٨٥) والسنن الكبرى له (٢ : ٤٤٣) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في الخطبة في العيدين ، رقم (١٢٨٤ ، ١٢٨٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ١٨٩) والمعرفة والتأريخ (٢ : ٢٢٥) والتاريخ الكبير (٧ : ١٤٢) والمعجم الكبير (١٨ : ٣٦٠).

(١) مسند أبي يعلى (٢ : ٤٠٢) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٤٨) وصحيح ابن حبان (٧ : ٦٥) ومجمع الزوائد (٢ : ٢٠٥) والتلخيص الحبير (٢ : ٨٦) وعزاه للنسائي وابن ماجه وأحمد وابن حبان ، لكن عند غير ابن حبان (على رجليه).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحيض : باب شهود الحائض العيدين ،... وكتاب الصلاة : باب وجوب الصلاة في الثياب ،... وكتاب العيدين : باب خروج النساء والحيض إلى المصلى ، وباب إذا لم يكن لها جلباب ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين : باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى ، رقم (١٠ ـ ١٢).

من غير الطريق الذي ذهب منه إليه .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا كان يومُ العيد خالف الطريق . رواه البخاري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا خرج يومَ العيد في طريقٍ ، رجع في غيره . رواه أحمد والترمذي ـ وحسنه ـ وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة والحاكم وابن حبان ، وأقره الذهبي[2].

وهناك نصوص غيرها .

وأما صلاة الاستسقاء فيه :

فقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يستسقي في هذا المصلى أحياناً . كما كان صلوات الله عليه وآله وسلَّم يستسقي في المسجد . والنصوص في ذلك كثيرة ، ومن ذلك :

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم خرج إلى المُصَلَّى ، فاستسقى ، فاستقبل القبلةَ ، وقلبَ رداءَه ، فصلى ركعتين .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٣٨) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى العيد في طريق ورجوعه من طريق آخر ، رقم (٥٤١) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في الخروج يوم العيد من طريق والرجوع من غيره ، رقم (١٣٠١) وسنن الدارمي (١ : ٣١٧) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٦٢) وصحيح ابن حبان (٧ : ٥٤) والمستدرك (١ : ٢٩٦) وشرح السنة (٤ : ٣١٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ٣٠٨) وانظر : فتح الباري (٢ : ٤٧٤).

متفق عليه[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم متبذِّلاً ، متواضعاً ، متضرعاً ، حتى أتى المُصلَّى ، فرقيَ المنبرَ ، فلم يخطب خطبتكم هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير ، ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد . رواه أحمد وأصحاب السنن ، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ورواه غيرهم[2].

والنصوص في ذلك كثيرةٌ ، لكن أكتفي بما ذكرتُ .

وأما صلاة الجنازة فيه :

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يصلي على الجنازة في المصلى أيضاً ، كما كان يصلي عليها في المسجد .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب تحويل الرداء في الاستسقاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء ، رقم (١ ـ ٤).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٣٠ ، ٢٦٩ ، ٣٥٥) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب جماع أبواب الاستسقاء ، رقم (١١٦٥) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في صلاة الاستسقاء ، رقم (٥٥٨) وسنن النسائي : كتاب الاستسقاء : باب الحال التي يستحب للإمام أن يكون عليها إذا خرج ، وباب كيف صلاة الاستسقاء (٣ : ١٥٦ ، ١٦٣) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في صلاة الاستسقاء ، رقم (١٢٦٦) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٣١) وصحيح ابن حبان (٧ : ١١٢) والموارد (١٥٩) والمستدرك (١ : ٣٢٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٣٨٤) وسنن الدارقطني (٢ : ٦٦ ـ ٦٨) والمنتقى لابن الجارود (٩٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٤٧٣) ومصنف عبد الرزاق (٣ : ٨٤) وشرح معاني الآثار (١ : ٣٢٤) والمعجم الكبير (١٠ : ٤٠٢ ، ٤٠٢ ـ ٤٠٣).

وسلَّم نَعى النجاشيَّ ، في اليوم الذي مات فيه ، فخرج بهم إلى المصلى ، فصفَّ بهم ، وكبَّر عليه أربعَ تكبيرات . متفق عليه[1].

مصلى الجنائز :

وهو شرقي المسجد النبوي الشريف ، وهو ما بين باب جبريل عليه السلام شمالاً ، إلى أمام باب (البقيع) اليوم جنوباً . وقد كان يُصلَّى فيه على الجنائز ، وبجواره تقام الحدود . ويعرف بمصلى الجنائز .

فعن جابر رضي الله عنه ، أن رجلاً من أسلم جاء النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فاعترف بالزنى ، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى شهد على نفسه أربع مرات ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أبك جنون ؟» قال : لا ، قال : «آحصنت ؟» قال : نعم ، فأمر به فرجم بالمُصلى ، فلما أذلقته الحجارةُ فرَّ ، فأُدرك ، فرُجم حتى مات ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم خيراً ، وصلّى عليه . متفق عليه[2].

وقد عنون عليه الإمام البخاري رحمه الله : باب الرجم بالمُصلى .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم برجل منهم وامرأة زنيا ، فأمر بهما فرُجِما قريباً من موضع الجنائز عند المسجد . متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب في التكبير على الجنازة ، رقم (٦٢ ـ ٦٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب الرجم بالمصلى . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب من اعترف على نفسه بالزنا ،... رقم (١٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد . وصحيح =

ويسمى هذا المصلى أيضاً : مُصلى المالكية . لأنه موضع الجنائز ، وهم لا يُجَوِّزون الصلاةَ عليها في المسجد ، والله تعالى أعلم .

مسجد أبي ذر رضي الله عنه (مسجد السجدة):

ومن المساجد المعروفة إلى يومنا هذا : مسجدُ أبي ذر رضي الله عنه ، وهو مسجد صغير ، يقع شمال شرق المسجد النبوي الشريف . وهو في وسط الشارع المعروف بشارع أبي ذر رضي الله عنه . وكان موضعه في الأصل نخلاً ، وتُدعى تلك المنطقة بالأسواف ـ بالفاء ـ لا بالقاف كما توهمه بعضُ أهل العلم .

وأصل هذا المسجد ـ والله تعالى أعلم ـ : سجودُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم سجدةَ الشكر حين بشّره جبريل عليه السلام ، بأن من صلَّى على النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم من أمته مرةً صلّى الله تعالى عليه بها ، ومن سَلَّم على النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم مرةً سَلَّم الله سبحانه وتعالى عليه .

فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فاتبعتُه حتى دخل نخلاً [حائطاً من حيطان الأسواف] فسجد ، فأطال السجودَ ، حتى خفتُ أن خشيتُ أن يكون الله قد توفاه أو قبضه ، قال : فجئت أنظر ، فرفع رأسَه ، فقال : «ما لَكَ يا عبد الرحمن ؟» فذكرتُ ذلك له . فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن جبريل عليه السلام قال لي : ألا أبَشِّرُك ؟ إن الله عزوجل يقول لك : من صلَّى عليك صلَّيْتُ

= مسلم : كتاب الحدود : باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ، رقم (٢٧).

عليه ، ومن سلَّم عليك سلَّمتُ عليه». وله روايات متعددة . رواه أحمد وابن أبي شيبة والقاضي إسماعيل وابن أبي عاصم وعبد بن حميد وابن شاهين ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والضياء في المختارة ، وغيرهم ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ولا أعلم في سجدة الشكر أصح من هذا الحديث وحسنه السخاوي[1]. وهو صحيح بطرقه ، والله تعالى أعلم .

مسجد بني ظفر (مسجد البغلة):

ومن المساجد التي دخلها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وصلى فيها ، واستمع لقارئ فيها ، وبكى فيها ، وجلس على صخرة فيه : هو هذا المسجد ، وهو بطرف الحرة الشرقية ، في شرقي البقيع ، ويعرف منذ زمن طويل بمسجد البغلة .

فعن محمد بن فضالة الظفري ، وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أتاهم في مسجد بني ظفر ، فجلس على الصخرة التي في مسجد بني ظفر اليوم ، ومعه عبدُ الله بنُ مسعود ومعاذُ بن جبل وأناسٌ من أصحابه ، وأَمر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قارئاً فقرأ ، حتى أتى على هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ

---

(١) مسند أحمد (١ : ١٩١) وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلَّم (٢٥ ، ٢٦ ـ ٢٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٢٨٤) (١١ : ٥٠٦) ومسند عبد بن حُميد (٨٢ رقم ١٥٧) ومسند أبي يعلى (٢ : ١٥٨ ، ١٦٤ ـ ١٦٥) والبحر الزخار (٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٠) والمستدرك (١ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، ٥٥٠) والسنن الكبرى (٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧١) وشعب الإيمان (٢ : ٢١٠ ، ٢١١) والمختارة (٣ : ١٢٥ ـ ١٢٩ من طرق) ومجمع الزوائد (٢ : ٢٨٧) (١٠ : ١٦٠ ـ ١٦١) وجلاء الأفهام (٣٢) والقول البديع (١١١ ـ ١١٣) والصلات والبشر (٣١).

إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[1] فبكى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى اضطرب لحياه، فقال: «أي ربِّ، شهدتُ على من أنا بين ظهرانيه، فكيف بمن لم أر؟». رواه الطبراني برجال ثقات[2].

مسجد بني قريظة:

وهو شرقي مسجد الشمس (مسجد الفضيخ) بالقرب من الحرة الشرقية، وقد كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم يصلي فيه أثناء محاصرته لبني قريظة.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهلُ قريظةَ على حُكْم سعدِ بن معاذٍ رضي الله عنه، فأرسل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى سعدٍ، فأَتى على حمارٍ، فلما دنا من المسجد، قال [صلى الله عليه وآله وسلَّم] للأنصار: «قوموا إلى سيدكم - أو إلى خيرِكم - فقال: هؤلاء نزلوا على حُكْمك» قال: تقتلُ مُقاتِلَتَهم، وتَسبي ذراريهم. قال صلى الله عليه وآله وسلَّم: «قضيتَ بحكم الله - وربما قال: قضيتَ - بحُكم الملِك». متفق عليه[3].

فقوله: (فلما دنا من المسجد) أي المسجد الذي اتخذه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم أثناء محاصرته لهم. وليس هو المسجد النبوي الشريف، ومن ظن أنه المسجدُ النبوي الشريف: فقد أخطأ، كما قاله

(١) سورة النساء (٤١).

(٢) المعجم الكبير (١٩: ٢٤٣ - ٢٤٤) ومجمع الزوائد (٧: ٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب مرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم من الأحزاب،... وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب جواز قتال من نقض العهد، رقم (٦٤).

الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله تعالى[1].

ومما يدل على ذلك أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كان محاصِراً بني قريظة ، وأن سعداً رضي الله عنه كان جريحاً ، وقد نُصبت له رضي الله تعالى عنه خيمة في المسجد النبوي الشريف ، ولهذا قال في الحديث هنا : (فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى سعد ، فأَتى على حمار).

وبقي هذا المسجد قائماً ، حتى جدَّده عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (عام ٨٧ عندما كان والياً في المدينة) فيما جدَّد من المساجد التي ثبت لديه صلاةُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، والله تعالى أعلم .

مسجد الفضيخ (مسجد الشمس):

وهو مسجد صغير ، شرقي مسجد قباء ، على شفير الوادي ، على نَشَزٍ من الأرض ، وقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجلس فيه ، وشرب فيه فضيخاً ، ولعل ذلك أثناء حصاره صلى الله عليه وآله وسلَّم لبني النضير .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يعني : أُتِيَ بفضيخٍ في مسجد الفضيخ ، فشربه ، فلذلك سُمِّيَ . رواه أحمد وأبو يعلى[2]. وفي إسناده ضعف ، وله شاهد .

مسجد السقيا :

وهو مسجد صغيرٌ ، ويقع في باب العنبرية اليوم ، في وسط محطة القطار ،

---

(١) فتح الباري (٧ : ١٢٤ ، ٤١٢).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٠٦) ومسند أبي يعلى (١٠ : ١٠١) ومجمع الزوائد (٢ : ٢١) (٤ : ١٢).

وقد كان بأرض سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ، وقد صلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم هناك ، ودعا لأهل المدينة في مُدِّها وصاعها وثمارها ، وبتحبيب المدينة ، وبالمباركة فيها ، ونقل حُمَّاها إلى خُم ،... كما استعرض الجيش ، وهو متوجه إلى بدر .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى إذا كنا بحَرَّةِ السُّقْيا ؛ التي كانت لسعدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ائتوني بوَضوء» فتوضأ . ثم قام ، فاستقبل القبلة ، ثم قال : «اللهم إن إبراهيم : كان عبدَك وخليلَك ، ودعا لأهل مكة بالبركة ، وأنا عبدُك ورسولُك ، أدعوك لأهل المدينة : أن تباركَ لهم في مُدِّهم وصاعِهم ، مِثْلَي ما باركتَ لأهل مكة ، واجعل مع البركة بركتين». رواه أحمد ، والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وصححوه والنسائي والطبراني ، ورجالهم رجال الصحيح[1]، والله تعالى أعلم .

وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم توضأ ، ثم صلى بأرض سعد ؛ بأصل الحرة ، عند بيوت السقيا ، ثم قال : ـ فذكر نحو الحديث وفيه ـ : «...ندعوك أن تباركَ لهم في صاعِهم ومُدِّهم وثمارهم ، اللهم حبِّب إلينا المدينة ، كما حبَّبت إلينا مكة ، واجعل

---

(١) مسند أحمد (١ : ١١٥) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩٢٤) والسنن الكبرى : كتاب الحج : باب مكيال أهل المدينة (٢ : ٤٨٤) وصحيح ابن خزيمة (١ : ١٠٥ ـ ١٠٦) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦١ ـ ٦٢) والمعجم الأوسط (٧ : ٥٠) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٥).

ما بها من وباء بِخُمٍّ ، اللهم إني قد حرَّمت ما بين لابتيها ، كما حرَّمتَ على لسان إبراهيم الحرم». رواه أحمد والجَنَدي والروياني وسعيد بن منصور ، برجال الصحيح[1]، والله تعالى أعلم .

مسجد بني زُرَيْق (مسجد السبق):

ومن جملة المساجد التي كانت موجودةً في المدينة ؛ في زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم هذا المسجد ، وقد دخله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويقال : إنه صلى الله عليه وآله وسلَّم توضأ فيه ، وتعجب من اعتدال قبلته ، وهو أحد المساجد التي كانت يُقرأ فيها القرآن آنذاك ، لكنه اشتهر بأنه كان غاية [نهاية] أمد السباق بالنسبة للخيل غيرِ المُضَمَّرَةِ .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سابَق بين الخيل التي أُضْمِرَتْ من الحَفْياء ، وأَمَدُها ثَنِيَّةُ الوداع ، وسابَق بين الخيل التي لم تُضَمَّر من الثَّنِيَّةِ إلى مسجد بني زُرَيْق .

وأن عبدَ الله بنَ عُمر رضي الله عنهما كان فيمن سابق بها . متفق عليه[2].

زاد في رواية لمسلم[3]: قال عبد الله : فجئت سابقاً ، فطفَّف بي الفرسُ المسجدَ .

فالخيل المُضَمَّرَةُ : كان طولُ شوطها من الحفياء إلى ثنية الوداع ـ وهي ستة أميال ، أو سبعة ـ بينما الخيل غير المضَمَّرة ؛ فقد كان طولُ شوطها من

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٠٩) وفضائل المدينة (١٨) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب هل يقال مسجد بني فلان ؟ وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب المسابقة بين الخيل وتضميرها ، رقم (٩٥).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين .

الثنية إلى مسجد بني زريق ـ وهو ميل واحد أو نحوه[1] ـ.

وثنية الوداع : أُزيلت قبل سنوات ، وهي في أول شارع أبي بكر الصديق رضي الله عنه (سلطانة سابقاً) ممن هو طالع من نفق المناخة .

وأما مسجد السبق : فهو قائم ومعروف اليوم ، يبعد عنها حوالي (٣٠٠) متر تقريباً ، وهو في الباب الشامي[2].

وقوله : (فطفَّف بي الفرسُ المسجدَ) يحتمل أمرين : أنه جاوز به المسجدَ ؛ الذي كان هو الغاية من شوط السباق ، أو وثب به الفرسُ إلى المسجد ، لقصر جدار المسجد ، والله تعالى أعلم .

مشربة أم إبراهيم :

ومن المساجد المعروفة : مشربة أم إبراهيم ، ابن النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وهي في العوالي ، وكان مكانها من أموال مُخَيْريق اليهودي ، وهبها للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد أسكن فيها رسولُ الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم سُرِّيَتَه ماريةَ رضي الله عنها ، فولدت فيها وَلَدَه إبراهيم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يتردد عليها فيها ، ويصلي في تلك المشربة .

وهذه المشربة هي غير المشربة التي اعتزل فيها صلى الله عليه وآله وسلَّم نساءَه ، عندما سقط عن فرسه ، فجُحشت ساقه أو كتفه ، أو انفكت رجله ، فجلس صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، وكان درجها من جذع النخل ،

---

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب غاية السباق للخيل المضمرة . وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٣ : ١٤).

(٢) وقد أزيل قبل عدة سنوات أيضاً .

فأتاه أصحابه يعودونه ، فصلى بهم جالساً . كما في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري[1].

وفي حديث ابن عباس ، عن عمر رضي الله عنهم ، المتفق عليه[2] والذي فيه قول عمر رضي الله عنه : فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ فقالت : لا أدري ، ها هو ذا معتزل في هذه المشربة ،... الحديث بطوله .

فإن هذه المشربة : هي عند المسجد النبوي الشريف ، وهي الآن داخلة فيه ، والله تعالى أعلم .

والمَشْربة : هي الغرفة العالية أو المرتفعة .

وقد ذكر الأولى ابنُ شبة ، كما ذكرها كل من جاء بعده ، ضمن المواقع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[3]: وقد ذكر عمر بن شبة في (أخبار المدينة) المساجدَ والأماكن التي صلّى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة مستوعباً .

وروى عن أبي غسان ، عن غير واحد من أهل العلم [من أهل البلد] أن كل مسجد بالمدينة ونواحيها مبنيٌّ بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ،... رقم (٣٠ـ٣٤).

(٣) فتح الباري (١ : ٥٧١).

وذلك أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله حين بنى مسجد المدينة ، سأل الناسَ ـ وهم يومئذ متوافرون ـ عن ذلك ، ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة .

وقد عيَّن عمر بن شبة منها شيئاً كثيراً ، لكن أكثره في هذا الوقت [في وقت الحافظ رحمه الله تعالى] قد اندثر ، وبقي من المشهورة الآن : مسجد قباء ، ومسجد الفضيخ ـ وهو شرقي مسجد قباء ـ ومسجدُ بني قريظة ، ومَشْرُبة أم إبراهيم ـ وهي شمالي مسجد بني قريظة ـ ومسجدُ بني ظفر ؛ شرقي البقيع ـ ويعرف بمسجد البغلة ـ ومسجد بني معاوية ـ ويعرف بمسجد الإجابة ـ ومسجد الفتح ـ قريب من جبل سلع ـ ومسجد القبلتين ؛ في بني سلمة.اهـ. من الفتح ، والله تعالى أعلم .

المساجد الأخرى :

لم أستوعب جميع المساجد التي كانت موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ لكثرتها ، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله سأل الناسَ ـ وهم يومئذ متوافرون ـ عن المساجد والأماكن التي صلى فيها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة ، وكان عددها كبيراً جداً .

وقد عيَّن ابنُ شبة رحمه الله تعالى منها شيئاً كثيراً ، ثم جاء العلماء من بعده ممن اعتنوا بآثار المدينة ومعالمها فتتبعوا ذلك ، وذكروا عدداً كثيراً منها ، لكن كثيراً من تلك المساجد قد اندثر .

وأذكر قبل سنوات ؛ عندما أراد أحد المحسنين إعادة بناء مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتوسيعه ، وهو أحد المساجد السبعة ، والواقع

في السهل ، فلما حفروا أساس المسجد ، رأيتُ بعيني رأسي - على عمق ستة أمتار تقريباً - أساسَ مسجدٍ قديم ، مبني على الوصف الذي ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وغيرُه ؛ عن الصفة التي بنى بها عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى المساجدَ التي ثبتت لديه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم صلى فيها ، فرأيتُ الجدارَ القبليَّ وفي وسطه المحراب ، والجدارَ الغربيَّ ، وجزءاً من الجدار الشرقي ، ثم دُفن ذلك المسجد ، والمشتكى إلى الله ، وقد ذكر ابنُ شبة ومِن قَبْله الواقديُّ كما ذكر من بعده آخرون رحمهم الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد صلى في هذا المسجد ، والله تعالى أعلم .

وقد ذكرت في الأصل : أسماءَ عدد كبير من تلك المساجد ، وإن كنت لم أستوعب ذكرها أيضاً ، لذا من أراد معرفةَ أسماء المساجد التي كانت موجودةً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وصلى فيها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وما فيها من فضل ، وتعيين أماكنها ،... فلينظر تاريخ المدينة لابن شبة ، ووفاء الوفاء للسمهودي ، وعمدة الأخبار ، والمناهل الصافية العذبة ،... وغيرها ، والله تعالى أعلم .



الباب الرابع

ثمار المدينة ، وآبارها ، وترابها ، وأوديتها ، وجبالها ، ومقابرها

وفيه ستة مباحث

- المبحث الأول : ثمار المدينة المنورة .
- المبحث الثاني : آبار المدينة المنورة .
- المبحث الثالث : تراب المدينة المنورة .
- المبحث الرابع : أودية المدينة المنورة .
- المبحث الخامس : جبال المدينة المنورة .
- المبحث السادس : مقابر المدينة المنورة .

الباب الرابع

ثمار المدينة ، وآبارها ، وترابها ، وأوديتها ، وجبالها ، ومقابرها

لما قدم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة ومعه المهاجرون رضي الله عنهم ، واتخذوها موطناً ، وبادلهم الأنصارُ رضي الله عنهم الحبَّ والودادَ والإخاءَ والتفاني ،... وأنزلوهم قلوبهم قبل أن ينزلوهم بيوتهم ، دعا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالبركة في المدينة ؛ وفي أرزاقها ومكاييلها وثمارها ، ثم بالبركة بالمدينة نفسها . فانعكس ذلك على المدينة .

فصار تمرُها شفاءً ، وأماناً من السم والسحر .

وبارك آبارها ؛ فبصق فيها ، أو توضأ منها ،... فصارت غزيرة لا تنضب ، عذبةً لا تملح ، لذا حرص صلوات الله عليه وآله وسلَّم على الشرب منها أو الاغتسال . كما حلت البركةُ على تراب المدينة ، فصار شفاء طيِّباً ، لأنه من بلد طيِّب ، ومن تربة الطيِّب صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا يُشم له من الريح ما ليس لغيره .

كما حلت على أودية المدينة ، فصار صلوات الله عليه وآله وسلَّم يحبها ، كشأن جبلها أحد ، لأنه من الجنة ، ولما ظهرت علامات الحب والشوق منه ؛ بادله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمثله .

لقد أحبه صلى الله عليه وآله وسلَّم كلُّ شيء فيها ؛ أحبَّه جمادُها نباتُها ، حيوانُها ، إنسانُها ،... لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم سُرَّتُها ، وقطبُ رحاها ، وعينُ وجودها ، فتربتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم منها ، لذا أحبته وكلُّ جماد

فيها ، وأحبه أهلُها ،... لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم عينُ إنسانها ، وهو سيدهم ، وفخرهم ، ثم هو رسولهم صلى الله عليه وآله وسلَّم . لذا ازدادوا له حبّاً وتفانياً ومودة وإخلاصاً ،... لأنه سيد الخلق كلهم ، فضلاً عنهم .

لقد بادلهم صلوات الله عليه وآله وسلَّم الحب بمثله ، والشوق بأضعافه ، والتفاني بأزيد ، والوئام بأكثر ،...

فصار الحبُّ متبادلاً ، والشوق متقابَلاً ، والوفاء متطابقاً ، والتفاني متعادَلاً ،... لكن هيهات أن يصل حبهم إلى حبه صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وشوقهم إلى شوقه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ووفاؤهم إلى وفائه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وأنى أن يدانوه صلوات الله عليه وآله وسلَّم في ذلك أو يقاربوه نحوهم . فقد زاد عليهم بما لم يحلموا به ، فأكرمهم بأضعاف ما أملوا ، ونالوا أضعاف ما رجوا ، وحصلوا أضعاف ما طلبوا ، فصار اسمُهم في الكتاب الكريم متلُوّاً ، وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم جارياً ، وفي قلوب المؤمنين محبوباً ومعروفاً ،... على أنهم الأنصار ، مع أنهم ما كانوا يُعرفوا من قبل إلا ببني الخزرج أو ببني قيلة ، فزال هذا عنهم ، وأُكرموا بالاسم الجديد ، فدخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ؛ لصحبتهم لسيدهم ، واستفيائهم بِمن هو في بلدهم ، فكانت تربته من تربتهم ، وحياته حياتهم ، ومماته مماتهم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

أرجو الله تعالى أن يُكرمنا والمسلمين بمحبتهم ، ومحبة مدينتهم ، ويجعل تربتنا عندهم ، ويحشرنا من عندهم ، وبمعيتهم ، تحت لواء من ننتسب إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، اللهم آمين .

☆☆☆☆☆

المبحث الأول
ثمار المدينة المنورة

لقد دعا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يبارك الله جلت قدرته في المدينة وفي ثمارها ، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن تمرَها حِرْزٌ من السم والسحر بإذن الله تعالى ، لمن تصبَّح بسبع تمرات منها على الريق ، وأن بعضَ تمرها من الجنة ، وهذا كله خاص بالمدينة . مما جعل لها مزية لا توجد في غيرها من المدن .

المباركة في ثَمَرِها :

لقد مر بنا عدد من الأحاديث ؛ فيها دعاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالبركة في ثمار المدينة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان الناس إذا رأوا أولَ الثَّمَر جاؤوا به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا أخذه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «اللهم بارك لنا في ثَمَرنا ،...». الحديث ، وفي آخره : ثم يدعو أصغر وليدٍ له فيعطيه ذلك الثمر . رواه مسلم[1].

فالمناسبة ظاهرة بين باكورة الثمر ، وبين أصغر وليد ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم توضأ ، ثم صلّى بأرض سعد ،... الحديث ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...وأنا محمد عبدك ونبيك ورسولك ؛ أدعوك لأهل المدينة ، مثلَ

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضائل المدينة ، رقم (٤٧٣).

ما دعاك به إبراهيم لأهل مكة ، ندعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومُدِّهم وثمارهم ،...». الحديث ، رواه أحمد والجندي والروياني وسعيد بن منصور ، برجال الصحيح[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا أُتي بالباكورة من الثمار ؛ وضعها على عينيه ، ثم قال : «اللهم كما أطعمتنا أوَّلَه فأطعمنا آخره» ثم يأمر به للمولود من أهله .

وفي رواية : كان إذا أُتي بالباكورة من الثَّمَرَةِ قبَّلها ، وجعلها على عينيه ،... الحديث ، رواه الطبراني في الكبير والصغير ، ورجال الصغير رجالُ الصحيح[2].

وقد ورد هذا الحديث أيضاً ؛ عن أنس وعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهم .

ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «فأطعمنا آخره» يحتمل أمرين ـ والله تعالى أعلم ـ:

الأول : أن يطول في عمره حتى يدرك آخر الثمر ، فيأكل منه ، كما أكل من أوله .

الثاني : أن يحفظ الله تعالى الثَّمرَ ، حتى يظهر آخرُه ، فيأكل منه المؤمنون ، كما أكلوا من أوله ، والله تعالى أعلم .

وهذه الأحاديث برواياتها تدل على مباركة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على ثمار المدينة ، وقد حصل هذا فيها ، والحمد لله على فضله .

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٠٩) وفضائل المدينة (١٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٤) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٤).

(٢) المعجم الكبير (١١ : ١٦) والروض الداني (٢ : ٦٦) ومجمع الزوائد (٥ : ٣٩).

الشفاء في تمر المدينة :

ومن بركة المدينة وفضلها : أن جعل الله سبحانه وتعالى في تَمْرِها الشفاءَ والترياق ، شريطةَ أن يكون تناولُه صباحاً ، على الرِّيق . وقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن في عجوة العالية شفاءً ـ أو إنها تِرْياقٌ ـ أَوّلَ البُكْرة». رواه مسلم[1].

وعند أحمد[2] برجال الصحيح بلفظ : «إن في تمر العالية شفاءً ـ أو قال : ترياقاً ـ أولَ البُكْرة على الريق».

ففي رواية المسند عمَّم الشفاء ، فجعله شاملاً في كل تمر العالية ، بينما في رواية مسلم خصَّه بالعجوة من تمر العالية ، شريطةَ أن يكون على الريق أول البُكرة ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «العجوةُ من الجنة ، وهي شفاءٌ من السّمِّ ، والكَمأةُ من المَنِّ ، وماؤها شفاءٌ للعين». رواه أحمد والترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه والدارمي والطيالسي وأبو يعلى[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب فضل تمر المدينة ، رقم (١٥٦).

(٢) مسند أحمد (٦ : ٧٧).

(٣) مسند أحمد (٢ : ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٢٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٤٢١ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥١١) وسنن الترمذي : كتاب الطب : باب ما جاء في الكمأة والعجوة ، رقم (٢٠٦٦ ، ٢٠٦٨) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ١٥٧ ، ١٦٦ من طرق) وسنن ابن ماجه : كتاب الطب : باب =

وقد رواه أبو سعيد الخدري وجابر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أيضاً بلفظه ، والله تعالى أعلم .

جعل تمرها حرزاً من السم والسحر :

وكما جعل الله تعالى في تمر المدينة شفاءً ، فقد جعل فيه الحرزَ من السّمِّ والسحر ، وعلى الأخص منه العجوة . فمن أكل سبع تمرات ، وعلى الأخص من العجوة ، لم يصبه ذلك اليوم سم ولا سحر ، بإذن الله تعالى ، والنصوص في ذلك كثيرة أيضاً ، على أن يكون تناوله على الريق أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «من تَصَبَّحَ بسبع تمرات عجوة ؛ لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحرٌ». متفق عليه[1].

وفي رواية للبخاري[2]، عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من اصطبح كل يوم تمرات عجوة ؛ لم يضره سمٌ ، ولا سحرٌ ذلك اليوم إلى الليل».

ففي هذه الرواية : لم يذكر العدد ، بينما في الرواية الأولى وما بعد جاءت مقيدة بسبع ، لذا يحمل المطلق في هذه الرواية ، على المقيد في الروايات الأخرى ، ولعله يريد الكثرة ، وإن كان في السبع أسرار لا يعلمها إلا الله

= ما جاء في الكمأة والعجوة ، رقم (٣٤٥٥) وتحفة الأشراف (١٠ : ١١٢) ومسند الطيالسي (٣١٥) وسنن الدارمي (٢ : ٣٣٨) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤٢ ـ ٤٣ ، ٤٥ ـ ٤٦) ط دار القبلة .

(١) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة : باب العجوة ، وكتاب الطب : باب الدواء بالعجوة للسحر . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب فضل تمر المدينة ، رقم (١٥٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب الدواء بالعجوة للسحر .

تعالى ، كما سيأتي ، والله تعالى أعلم .

وفي رواية لمسلم[1] عنه رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «من أكل سبع تمرات مما بين لابَتَيْها حين يُصبحُ ؛ لم يضره سمٌّ حتى يُمسي».

وفي رواية لأحمد[2] وغيره ـ برجال الصحيح ـ عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من أكل سبع تمرات عجوة ما بين لابَتَي المدينة على الريق ، لم يضره يومه ذلك شيء حتى يمسي ،...». وفي الحديث قصة .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «في عجوة العالية ـ أول البكرة على ريق النفس ـ شفاء من كل سحر أو سم». رواه أحمد برجال الصحيح[3]. وقد مرت روايةٌ لمسلم من قبل .

فعامةُ تمر المدينة ينفع ـ بإذن الله تعالى ـ من السم ، وتزيد العجوة على سائر التمور ؛ بالنفع من السم والسحر ، وذلك لأن عجوة المدينة من الجنة ، والله تعالى أعلم .

كما أن في حديث سعد رضي الله عنه : التعميمَ بالنسبة للعجوة ، بينما في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها : تخصيصه بعجوة العالية ، فلعل

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥٤).

(٢) مسند أحمد (١ : ١٦٨ ، ١٧٧) ومسند سعد بن أبي وقاص (٨١ رقم ٣٧) ومسند عمر بن عبد العزيز (١٣٨ ـ ١٣٩) ومسند عبد بن حُميد (٧٨ رقم ١٤٥) ومسند أبي يعلى (٢ : ١٢٠) والسنن الكبرى (٩ : ٣٤٥) ومجمع الزوائد (٥ : ٤١).

(٣) مسند أحمد (٦ : ١٠٥).

فيها مزية على سائر عجوة المدينة ، والله تعالى أعلم .

وفي هذه النصوص أمور :

١ـ في كل الروايات جاءت مقيدةً بالزمان ، وهو على الريق في الصباح ، يعني قبل أن يتناول أي شيء . فلو تناول التمر بعد الطعام ، أو في أثناء النهار فإن الأمر يختلف .

٢ـ في كل الروايات جاءت النصوص مقيدة بتمر المدينة ، سواء على الإطلاق ، أو العجوة ، أو عجوة العالية . فلو أكل من تمر غيرها لم يتحقق المطلوب .

٣ـ في كل الروايات جاءت مقيدةً بالنوع ، وهو تمر المدينة ، ثم خص العجوة ، ثم عجوة العالية منها . وتمر المدينة كله مبارك لدعائه صلى الله عليه وآله وسلَّم ومباركته فيه . فهو ينفع من السم ، وأما العجوة ـ وخاصة عجوة العالية ـ فمن السم والسحر ، والله تعالى أعلم .

٤ـ في كل الروايات جاءت مقيدةً بعدد ـ إلا رواية عند البخاري من حديث سعد رضي الله عنه ، كما مر ـ وتخصيص هذا العدد شأنه شأن كثير من النصوص في ذلك : سبع سمٰوات ، سبع أرضين ، سبع سنابل ، سبع قِرَب[1]،...

٥ـ ظواهر النصوص تدل على أن هذا الانتفاع لا يختص بزمان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل هو عام في كل الأزمنة ، لأن البركة

---

(١) انظر : شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٤ : ٣) وللأبي (٥ : ٣٥٤) وفتح الباري (١٠ : ٢٤٠) وزاد المعاد (٤ : ٩٦ـ ١٠٠) والطب النبوي (٧٦ـ ٧٩).

دائمة وعامة ، وهو الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلَّم لكل الأزمنة ، وعلى هذا عامة الشراح .

٦ـ إن الانتفاع بتمر المدينة المنورة هو لآكله ، سواء كان منها ، أو ممن وردها .

٧ـ الجانب الطبي ، حيث إنه شامل للسموم ، وقد توسعت ـ في الأصل ـ في نقل النصوص ، فانظرها فيه[١]، والله تعالى أعلم .

العجوة من الجنة :

ومن فضائل المدينة المنورة : أن جعل الله سبحانه وتعالى عجوتها من الجنة ، وهذا فضل وكرم منه عز وجل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «العجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم ،...». الحديث بطوله ، رواه أحمد والترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه والدارمي والطيالسي وأبو يعلى . وقد مر ذكره قبل قليل .

كما أشرت إلى أحاديث أبي سعيد وجابر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم .

وعن رافع بن عمرو المزني رضي الله عنه قال : سمعت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «العجوةُ والصخرةُ من الجنة». رواه أحمد وابن ماجه ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه : إسناده صحيح ، رجاله ثقات[٢].

---

(١) فضائل المدينة المنورة (٣ : ٢٤٦ ـ ٢٥٢ ، ٢٦٤ ـ ٢٧٠) وانظر العلوم والإيمان .

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣١ ، ٦٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الطب : باب الكمأة والعجوة ، =

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «العجوةُ والشجرةُ من الجنة». رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[1] .

والمراد بالصخرة : هي الموجودة في بيت المقدس ، والتي عليها قبة الصخرة . أعادها الله تعالى وسائر الأراضي المحتلة للمسلمين .

والمراد بالشجرة : هي شجرة الرضوان ، التي بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الصحابةَ الكرام رضي الله عنهم بيعةَ الرضوان ، يوم الحديبية تحتها .

فمآل الصخرة والشجرة إلى الجنة ، إن شاء الله تعالى .

وعن بُريدةَ الأَسْلَميِّ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «الكمأةُ دواءُ العين ، وإن العجوةَ من فاكهة الجنة ، وإن هذه الحبةَ السوداءَ التي تكون في الملح دواءٌ من كل داء ؛ إلا الموت». رواه أحمد برجال الصحيح[2]. قلت : وشواهده ما سبق .

قلت : ولهذا كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يصف العجوة لبعض المرضى .

= رقم (٣٤٥٦) والمستدرك (٣ : ٥٨٨) (٤ : ١٢٠ ، ٢٠٣ ، ٤٠٦). ومسند الفردوس (٣ : ٨٣) وانقلب فيه اسم الصحابي ، ومصباح الزجاجة (٤ : ٥٦ ـ ٥٧).

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٢٦) (٥ : ٣١) والمستدرك (٤ : ٢٠٣ ، ٤٠٦) والمعجم الكبير (٥ : ٤ ، ٥) والجامع الصغير (٢ : ١٨٨) وانظر فيض القدير .

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٤٦ ، ٣٥١) مطولاً ومختصراً ، ورجال المختصر رجال الصحيح ، ومجمع الزوائد (٥ : ٨٧).

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مرضتُ مرضاً أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يعودني ، فوضع يدَه بين ثدْيَيَّ ، حتى وجدتُ بردَها على فؤادي فقال : «إنك رجل مفؤودٌ ، ائت الحارثَ بن كَلَدَة أخا ثقيف ، فإنه رجلٌ يتطبب ، فليأخذ سبع تمراتٍ من عجوة المدينة ، فلْيَجَأهن بنواهن ، ثم ليَلُدَّك بهن». رواه أبو داود برجال ثقات[1].

وقد ورد وصفه صلى الله عليه وآله وسلَّم لغيره أيضاً .

كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوصي بأكل التمر خاصة عند الإفطار للصائم ، وقد تنوّع أكلُه صلى الله عليه وآله وسلَّم للتمر سواء الجديد أو القديم ، وسواء بمفرده أو مع غيره ،... فانظر الأصل فقد توسعت في بيان ذلك[2].

وقد جاء الطب الحديث ؛ ليكشف لنا كثيراً من الفوائد الطبية ، وقد ذكرت في الأصل ، وفي (العلوم والإيمان) كثيراً من ذلك ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الطب : باب في تمرة العجوة ، رقم (٣٨٧٥).

(٢) انظر : (٣ : ٢٥٧ ـ ٢٦٤).

المبحث الثاني
آبار المدينة المنورة

لقد كان في المدينة المنورة ـ في زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ : آبارٌ كثيرةٌ ، ورد فيها فضل كثير ، سواء دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو بصق فيها ، أو شرب منها فاستعذبها ، أو أثنى عليها ، أو دعا لأهلها ، أو جلس عليها ،... ويصعب استيعاب ذلك كله ، لذا أقتصر على ذكر بعضها :

بئر أَرِيس (الخاتم):

وكان في بستان ؛ أمام مسجد قباء ، في وسط الطريق ، وموضعه الآن : أمام باب المسجد من الجهة الغربية ، ولعله تحت النافورة ، أو قريب منها ، وقد رأيته قديماً ، وقد دُفن ، وكان فيه ماء عذب حلو ، وتُعرف هذه البئر ببئر الخاتم ، لسقوط خاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها من يد عثمان رضي الله عنه ، أو من يد نائبه مُعَيْقِيب .

وقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يدخل بستانَها ، ويتوضأ منها ، ويجلس في قفِّها ، وفيه وقعت البشارة لشيوخ الإسلام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم بالجنة .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أنه توضأ في بيته ، ثم خرج قال : فقلت : لألزَمنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولأكونن معه يومي هذا . قال : فجاء المسجد ، فسأل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،

فقالوا : خرج ، ووجَّه هٰهنا . فخرجت على إثرِه أسألُ عنه ، حتى دخل بئرَ أَرِيس ، فجلستُ عند الباب - وبابُها من جريد - حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حاجتَه ، فتوضأ ، فقمت إليه ، فإذا هو جالس على بئر أَرِيس ، وتوسَّط قُفَّها ، وكشف عن ساقَيْه ، ودلاّهما في البئر ، فسلمت عليه ، ثم انصرفتُ ، فجلستُ عند الباب ، فقلت : لأكونن بَوَّابَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم اليوم .

فجاء أبو بكر - رضي الله عنه - فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر . فقلت : على رِسْلك ، ثم ذهبتُ ، فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : «ائذن له وبَشِّرْه بالجنة» فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر : ادخل ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يُبَشِّرُك بالجنة ، فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم معه في القُفِّ ، ودلّى رجليه في البئر ، كما صنع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكشف عن ساقَيْه .

ثم رجعتُ فجلستُ ، وقد تركتُ أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إنْ يُرِد الله بفلان خيراً - يريد أخاه - يأت به . فإذا إنسان يحِّرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : عمرُ بنُ الخطاب . فقلت : على رِسْلك ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فسلَّمتُ عليه فقلت : هذا عمرُ بنُ الخطاب يستأذن . فقال : «ائذن له ، وبشِّرْه بالجنة». فجئت ، فقلت : ادخل ، وبشَّرك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالجنة ، فدخل ، فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في القُفِّ عن يساره ، ودلَّى رجليه في البئر .

ثم رجعت ، فجلست ، فقلت : إن يُرِد الله بفلان خيراً يأتِ به ، فجاء إنسانٌ يحرِّك البابَ ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمانُ بنُ عفان . فقلت : على رِسْلك ، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته . فقال : «ائذن له ، وبشِّرْه بالجنة على بلوى تصيبه» فجئته فقلت له : ادخل ، وبشَّرك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالجنة ـ على بلوى تصيبك ، فدخل ، فوجد القُفَّ قد مُلئ ، فجلس وجاهه من الشق الآخر .

قال سعيد بن المسيِّب : فأوَّلْتُها قبورَهم . متفق عليه[1].

والمراد بالقُفِّ : مكانٌ يُبنى حول البئر ؛ للجلوس عليه ، ويكون على حافة البئر .

وتأويل سعيد رحمه الله تعالى ، أخذه من اجتماع الصاحِبَين رضي الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث دُفنوا جميعاً في غرفة واحدة ، بينما انفرد عثمان رضي الله عنه ، حيث هو الآن في البقيع ، والله تعالى أعلم .

وأما **سقوط الخاتم فيه** :

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خاتماً من وَرِقٍ ، وكان في يده ، ثم كان بَعْدُ في يد أبي بكر ، ثم كان بَعْدُ في يد عُمر ، ثم كان بَعْدُ في يد عثمان ، حتى وقع في بئر أريس . نقْشُه (محمد رسول الله). متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لو كنت متخذاً خليلاً». وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، رقم (٢٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب نقش الخاتم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : =

قال أبو داود[1] رحمه الله تعالى ـ بعد روايته لهذا الحديث ـ : ولم يختلف الناس على عثمان ؛ حتى سقط الخاتم من يده .

وفي رواية للشيخين[2] عن ابن عمر رضي الله عنهما : حتى وقع من عثمان في بئر أَرِيس .

وفي رواية لمسلم[3]: وهو الذي سقط من مُعَيْقيب في بئر أَرِيس .

وفي رواية للبخاري[4] عن أنس رضي الله عنه ،... قال : فاختلفنا ثلاثةَ أيام مع عثمان ، فنَنزح البئرَ ، فلم نجده .

وكان سقوط الخاتم : بعد ستِّ سنوات ، من خلافة عثمان رضي الله عنه ، فانتقضت الأمور بعد ذلك ، حتى أدَّت إلى قتله رضي الله تعالى عنه .

وأما ما ورد من التعارض بين روايتَيْ ابن عمر رضي الله عنهما ـ عند مسلم ـ (سقط من مُعَيْقيب) وسائر الروايات (وقع من عثمان) فالجمع بينهما بأمور ، والله تعالى أعلم :

ـ أن عثمان رضي الله تعالى عنه طلبه من مُعَيْقِيب فختم به شيئاً ، واستمر في يده ، وهو مُفكِّرٌ في شيء ، فصار يحركه ، أو يخرجه من أصبعه ثم يدخله ،

= كتاب اللباس : باب لبس النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم خاتماً من وَرِق نقشه (محمد رسول الله) ولبس الخلفاء له من بعده ، رقم (٥٤).

(١) سنن أبي داود : كتاب الخاتم ، رقم (٤٢١٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب خاتم الفضة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٤).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٥).

(٤) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب هل يُجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر ؟.

فسقط منه في البئر .

ـ أو أراد أن يناوله فسقط من يده .

ـ أو يقال : سقط من يد عثمان رضي الله عنه ، باعتبار أن الخاتم كان في يده ، ومن قال : سقط من مُعَيْقيب ، فباعتبار كونه قد دفعه إليه ، فكان عنده يختم به ، والله تعالى أعلم .

وأما تردُّدُ الصحابة مع عثمان رضي الله عنهم ثلاثةَ أيام يفتشون وينزحون البئر ، ومبالغتُهم في ذلك : فلكون هذا الخاتم هو أثر من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد لبسه ، واستعمله ، وختم به ، ومثلُ ذلك يساوي في العادة قدراً عظيماً ، وإلا لو كان غيرَ خاتمه صلى الله عليه وآله وسلَّم لما كانت هذه العناية . خاصة والعلم حاصل أن المؤونة التي حصلت في هذه الأيام الثلاثة تزيد على قيمة الخاتم ، لكن اقتضت صفتُه عظيم قدره ، والله تعالى أعلم[1].

وقول أبي داود رحمه الله تعالى : (ولم يختلف الناس على عثمان حتى سقط الخاتم من يده ،...) دلالة على وجود سر في هذا الخاتم ، كخاتم سليمان عليه السلام ، فإنه لما فُقِد ذهب مُلكُه . ولما فُقِد الخاتم من يد عثمان رضي الله تعالى عنه انتقضت عليه الأمور ، وخرج عليه الخارجون ، وكان ذلك مبدأَ الفتنة التي أَفْضَت إلى قتله رضي الله عنه ، واتصلت إلى آخر الزمان ، والمشتكى إلى الله تعالى[2].

---

(١) انظر : فتح الباري (١٠ : ٣٢٩).

(٢) انظر : فتح الباري (١٠ : ٣٢٩) وعمدة القاري (٢٢ : ٣٩).

ويقال : إن النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم قد تفل في هذه البئر ، لذا عذب ماؤها ، والله تعالى أعلم .

بئر أنس بن مالك رضي الله عنه :

وقد تنسب لأبيه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قد شرب منها ، وبزق فيها ، فلم يكن في المدينة بئرٌ أعذبَ منها ، وصارت لا تُنزح من غزارتها ، ولعلها هي التي تعلم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم العومَ (السباحة) عندما قدم مع أمه وهو صغير ، وهو ابن ست سنين لزيارة أخواله .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : أتى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم منزلَنا ، فسقيناه من بئر لنا في دارنا ؛ كانت تسمى النَّزُور [وعند أبي نعيم : البرود] في الجاهلية ـ فتفل فيها ، فكانت لا تنزح بعدُ .

زاد أبو نعيم في روايته : فلم يكن في المدينة بئرٌ أعذبَ منها . رواه البزار برجال ثقات ، وكذا عند أبي نعيم إلا المنقري عنده ؛ فلم أعرفه الآن[1] .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في دارنا ، فاستسقى ، فحلبنا له شاةً ، ثم شُبْتُه من ماءِ بئري هذه . قال : فأعطيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فشرب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأبو بكر عن يساره ، وعُمرُ وجاهه ، وأعرابيٌّ عن يمينه ،

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥٧٢ ـ ٥٧٣) والبداية والنهاية (٦ : ١٠١) وشمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم (١٩٦) وعزاه الحافظ في إتحاف المهرة (١ : ٥٧٥) لعمر بن محمد البُجيري في صحيحه .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من شربه ، قال عمرُ : هذا أبو بكر يا رسول الله ؛ يُريه إياه ، فأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الأعرابيَّ ، وترك أبا بكر وعُمرَ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : «الأَيمنون ، الأَيمنون ، الأَيمنون» .

قال أنسٌ : فهي سُنَّةٌ ، فهي سُنَّةٌ ، فهي سُنَّةٌ . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1]، والله تعالى أعلم .

بئر بضاعة :

وهي شمال الحرم النبوي الشريف إلى الغرب قليلاً ، وكان عندها ميدان يسمى بميدان بضاعة ، وكانت ضمن مدرسة تحفيظ القرآن ، وقد رأيتها ، وقد أزيل الآن بسبب التوسعة الجديدة ، ولعلها ـ الآن ـ فوق المواقف إلى الشرق قليلاً ، والله تعالى أعلم .

وقد كانت هذه البئر يُستقى للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم منها ، ويَتوضأ منها ، وقد بصق فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبرَّك فيها .

فعن أبي أُسَيْد الساعديِّ رضي الله عنه ، وله بئر بالمدينة يقال لها : بئرُ بضاعة ، قد بصق فيها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فهي يُبَشَّر بها ، ويُتَيَمَّنُ بها ،... رواه الطبراني في الكبير برجال ثقات[2].

(١) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب من استسقى ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ ، رقم (١٢٥ ، ١٢٦).

(٢) مجمع الزوائد (٤ : ١٢ ـ ١٣) وذكره مطولاً (٦ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وانظر : الطبقات الكبرى (١ : ٥٠٥).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال : سقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيدي من بئر بضاعة . رواه الشافعي في القديم ، وأحمد والبيهقي وأبو يعلى والطبراني والدارقطني وابن شبة ، وحسنه البيهقي ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات[1].

وفي رواية عنه رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم برَّك في بئر بضاعة ، وبصق فيها . رواه ابن شبة ، والطبراني[2] بإسنادين ، هو بها حسن ، وشاهده حديث أبي أُسَيْد رضي الله عنه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو يقال له : إنه يُستَقى لك من بئر بضاعة... الحديث ، وفي آخره : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن الماءَ طهورٌ ، لا يُنَجِّسه شيءٌ». رواه الشافعي وأصحاب السنن وأحمد وابن الجارود والطيالسي وابن أبي شيبة والدار قطني والطحاوي وغيرهم ، وصححه أحمد والترمذي ويحيى بن معين وابنُ حزم والنووي في آخرين[3].

---

(١) معرفة السنن والآثار (١ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) والشافي رقم (٥) ومسند أحمد (٥ : ٣٣٧ ـ ٣٣٨) والسنن الكبرى (١ : ٢٥٩) وسنن الدارقطني (١ : ٣٢) والمعجم الكبير (٦ : ٢٥٥) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤٩١ ـ ٤٩٢) ط دار القبلة ، وشرح معاني الآثار (٢ : ١٦٩) وتاريخ المدينة ١ : ١٥٧) ومجمع الزوائد (٤ : ١٢).

(٢) تاريخ المدينة (١ : ١٥٧) والمعجم الكبير (٦ : ١٤٩) ومجمع الزوائد (٤ : ١٢).

(٣) اختلاف الحديث (١٠٢) والمسند (١٦٥) ومسند أحمد (٣ : ١٥ ـ ١٦ ، ٣١ ، ٨٦) والمنتقى (٢٧) ومسند الطيالسي رقم (٢١٩٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١ : ١٤١ ـ ١٤٢) وسنن أبي داود : كتاب الطهارة : باب ما جاء في بئر بضاعة ، رقم (٦٦ ، ٦٧) وسنن =

وفي رواية للنسائي[1] عنه رضي الله عنه قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو يتوضأ من بئر بضاعة ،... ثم ذكر نحوه ، والله تعالى أعلم .

بئر حاء :

وهي شمال الحرم النبوي الشريف ، عند باب سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وكانت في بستان لأبي طلحة رضي الله عنه . مقابلة المسجد النبوي الشريف ، وهي الآن داخل الحرم من الجهة الشمالية . وكان ماؤها عذباً ، وكان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يدخل البستانَ ، وينام فيه ، ويُستقى له من هذه البئر ، ويشرب من مائها . وقد تصدَّق بها أبو طلحة رضي الله عنه ، فأمره النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يجعلها في أقربائه .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان أبو طلحة ـ رضي الله عنه ـ أكثرَ الأنصار مالاً من نخل ، وكان أحبَّ أمواله إليه : (بيرُ حاء)

= الترمذي : كتاب الطهارة : باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء ، رقم (٦٦) وسنن النسائي : كتاب المياه : باب ذكر بئر بضاعة (١ : ١٧٤) وسنن الدارقطني (١ : ٢٩ ـ ٣٢) وسنن البيهقي (١ : ٤ ، ٢٥٧ ـ ٢٥٨) ومعرفة السنن والآثار (١ : ٣٢١ ، ٣٢٢) وشرح معاني الآثار (١ : ١١ ، ١٢) وشرح السنة (٢ : ٦٠ ـ ٦١) والمحلى (١ : ١٥٥). وانظر : المجموع (١ : ١٣٠ ـ ١٣٢) والتلخيص الحبير (١ : ١٢ ـ ١٤) والابتهاج (١٠٧) وتحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج (١ : ١٣٧) وانظر تعليقي على هذا الحديث في الشافي (١ : رقم ٤ ـ ٦).

(١) سنن النسائي : في الكتاب والباب السابقين (١ : ١٧٤). وانظر : النكت الظراف (٣ : ٣٨٧).

وكانت مستقبلةَ المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يدخلها [زاد في رواية : ويستظل بها] ويشرب من ماءٍ فيها طيب ،... ، الحديث بطوله في قصة تصدق أبي طلحة رضي الله عنه بها ، متفق عليه[1].

وفي هذا الحديث من الفوائد : اتخاذ الحوائط والبساتين ، ودخول أهل الفضل والعلم فيها ، والاستظلال بظلها ، والأكل من ثمرها ، والراحة والتنزه فيها ـ وقد يكون ذلك مستحباً ، يترتب عليه الأجر إذا قصد به إجمام النفس ؛ من تعب العبادة ، وتنشيطها للطاعة ـ وإباحة استعذاب الماء ،... وأنه لا ينافي الزهد ، ولا يدخل في الترف المذموم ، وتفضيل بعض الماء على بعض ،...إلخ[2]، والله تعالى أعلم .

بئر رومة :

وهي في وادي العقيق الصغير ، قريبة من مجمع الأسيال ، وكان قد حفرها رجل من مزينة ، ثم آلت إلى رجل من غِفار ، ثم تملَّكها رجلٌ يهوديٌّ ، حتى اشتراها عثمانُ رضي الله عنه منه بخمسة وثلاثين ألفاً ، وقيل : بعشرين ألف درهم ، على أن له الجنة ، ومغفور له ، وسبّلها في سبيل الله عز وجل ، وهي الآن ضمن مصلحة الزراعة في الشمال الغربي من المدينة ، على يمين شارع أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (سلطانة سابقاً) إلى الداخل .

وقد تعددت الروايات عن عثمان رضي الله عنه ، حيث قال ذلك عند

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب الزكاة على الأقارب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ،... رقم (٤٢ ، ٤٣).

(٢) انظر : فتح الباري (٥ : ٣٩٧ـ٣٩٨) (١٠ : ٧٤ـ٧٥).

حصاره رضي الله عنه من قِبَل الأوباش الذين قتلوه .

فقد قال رضي الله عنه حين أشرف عليهم يوم حوصر : أنشدكم الله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «من حفر بئر رومة فله الجنة» فحفرتها ،... الحديث .

وفي رواية قال : هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «من يبتاع بئرَ رومة غَفر الله له» فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقلت : قد ابتعت بئر رومة ، قال : «فاجعلها سقايةً للمسلمين ، وأجرها لك».

وفي رواية أخرى قال : هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قدم المدينةَ ، وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة . فقال : «من يشتري بئر رومة فيجعل دلوَه مع دِلاءِ المسلمين : بخير له منها في الجنة» فاشتريتها من صلب مالي .

وفي رواية رابعة قال : أذكركم الله ، هل تعلمون أن بئر رومة لم يكن يَشرب منها أحدٌ إلا بثمن فابتعتها ، فجعلتُها للغني والفقير وابن السبيل ،... الحديث برواياته رواه البخاري ـ تعليقاً ـ وأحمد والترمذي وصححه ، والنسائي وإسحٰق بن راهويه والدارقطني والإسماعيلي وابن أبي عاصم وابن حبان وابن خزيمة ،... في آخرين[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوصايا : باب إذا وقف أرضاً أو بئراً واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين . وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، =

وما جاء في بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «مَن حفر ،...» وفي أخرى «مَن يشتري ،...» والمشهور أنه رضي الله عنه اشتراها .

لكن يمكن الجمع بين هذه الروايات ، وذلك :

- بأن يكون اشتراها فوجد ماءها قليلاً فعمقها ووسعها .

- أو كانت عيناً تجري إلى ذلك البئر ، فوسعها وطواها .

- أن يكون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قد قال أولاً : «مَن يشتري بئر رومة ،...» فاشتراها عثمان رضي الله عنه ، فجعلها وقفاً ، ثم احتاجت إلى الحفر أو التوسعة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من حفر بئر رومة ،...» فحفرها ، والله تعالى أعلم .

فيكون عثمان رضي الله عنه قد نال المنزلتين ، منزلةَ الشراء ، ثم منزلةَ الحفر ، والله تعالى أعلم .

بئر السقيا :

وتسمى أيضاً بيوت السقيا ، وهي أول طريق مكة القديم (طريق بدر) إلى جهة اليمين ، وبِجواره مسجد السقيا ، وكان ضمن محطة سكة الحديد ،

= رقم (٣٦٩٩ ، ٣٧٠٣) وسنن النسائي : كتاب الأحباس : باب وقف المساجد (٦ : ٢٣٣ ـ ٢٣٧ من طرق) والسنن الكبرى له (٣ : ٣١) (٤ : ٩٥ ـ ٩٨ من طرق) ومسند أحمد (١ : ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ـ ٧٥) وفضائل الصحابة (١ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٩ ـ ٤٠) وسنن الدارقطني (٤ : ١٩٥ ـ ٢٠٠) وتحفة الأشراف (٣ : ٢٧٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ١٦٧) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٤٨ ، ٣٦٢) وموارد الظمآن (٥٤١ ، ٥٤٢) والسنة لابن أبي عاصم (٢ : ٥٩٣ ـ ٥٩٤) وتاريخ المدينة (١ : ١٥٢ ـ ١٥٣) وفتح الباري (٥ : ٣٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨) وتغليق التعليق (٣ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩) وهدي الساري (٤٦).

لكنها الآن صارت في الطريق ، وكانت لذكوان بن عبد قيس ، واشتراها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وصلَّى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم في مسجدها ـ كما مر ـ وتوضأ منها ، ودعا هناك . وكان يُستعذب له صلى الله عليه وآله وسلَّم الماء منها .

وقد مر حديثا عَلِيٍّ وأبي قتادة رضي الله تعالى عنهما ؛ في وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وصلاته عندها ، ودعائه للمدينة .

وأما استعذابه صلى الله عليه وآله وسلَّم منها :

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يُستعذب له الماءُ من بيوت [وفي رواية : بئر] السقيا . رواه أحمد وإسحٰق وأبو داود ، وابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، وابن شبة وأبو يعلى والبغوي وأبو الشيخ ، وجوَّد الحافظُ إسناده(1).

وقوله : (بيوت السقيا) هي غير بيوت السقيا القريبةِ من الفُرع ، على طريق الهجرة الجديد بين مكة والمدينة ، وإن كانت تسمى أيضاً : بيوتَ السقيا ، لأن هذه بعيدة ، ويصعب على أولادٍ صغارٍ السفرُ لمدة يومين ـ آنذاك ـ حتى ينقلوا الماء إلى بيوت النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه

---

(1) مسند أحمد (٦ : ١٠٠ ، ١٠٨) ومسند إسحٰق (٢ : ٣١٧ ، ٣٦٤) (٣ : ١٠٠١) وسنن أبي داود : كتاب الأشربة : باب في إيكاء الآنية ، رقم (٣٧٣٥) وشرح السنة (١١ : ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، ٣٨٤) والشمائل له (٢ : ٦٥٣ ـ ٦٥٤) وأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٢٤٥ ، ٢٤٦) والمستدرك (٤ : ١٣٨) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٧٤) وتاريخ المدينة (١ : ١٥٨). وانظر : الطبقات الكبرى (١ : ٣٩٤) ومسند أبي يعلى (٤ : ٣٣٢) ط دار القبلة ، وسبل الهدى والرشاد (٧ : ٣٤٥).

وآله وسلَّم ، خاصة وقد جاءت هذه البيوت مقيدة عند البغوي وابن حبان وأبي الشيخ (والسقيا من أطراف الحرة ، عند أرض بني فلان) فتنبه . وانظر الأصل لبيان التعليل والروايات .

وقد كان أبو أيوب رضي الله عنه يستعذب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الماءَ من بئر مالك بن النضر والد أنس رضي الله عنه ، ثم كان أنس وهند وحارثة أبناء أسماء : يَحملون الماء إلى بيوت نساء النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنهن من بيوت السقيا ، وكان رباح الأسود يستقي له صلوات الله عليه وآله وسلَّم ؛ مِن بئر غَرس مرةً ومن بيوت السقيا مرةً[1].

بئر غرس :

وهي شرقي مسجد قباء ، وتقع في وسط البساتين ، وتبعد حوالي نصف ميل عن مسجد قباء ، وقد كانت قليلة الماء ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسكب وضوءَه فيها ، فما نُزحت بعد ، فصار صلوات الله عليه وآله وسلَّم يَشرب منها ، ويُستعذب له منها ، ويَتوضأ منها ، ولما حضرته صلى الله عليه وآله وسلَّم الوفاة ؛ طلب أن يُغَسَّل منها .

فعن يحيى بن سعيد رحمه الله تعالى ، أن أنس بن مالك رضي الله عنه أتاهم بقباء ، فسألهم عن بئر هناك ، قال : فدللتُه عليها فقال : لقد كانت هذه ، وإن الرجلَ لينضح على حماره فينزح ، فنستخرجها له ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأمر بذَنُوبٍ فسُقي . فإما أن يكون توضأ منه ،

(١) انظر : فتح الباري (١٠ : ٧٤).

وإما أن يكون تفل فيه ، ثم أَمر به فأُعيد في البئر ، قال : فما نُزحت بعد . رواه البيهقي في الدلائل برجال البخاري[1].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إذا أنا مُتُّ ؛ فاغسلوني بسبع قِرَبٍ من بئري بئر غرس». رواه ابن ماجه وفيه ضعف ، لكن له شواهد ذكرتُها في الأصل ، هو بها حسن[2].

بئر محمود بن الربيع رضي الله عنه :

وهذه البئر كانت : في دار محمود بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه ، وهي التي مجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم منها في وجه محمود رضي الله عنه .

فعنه رضي الله تعالى عنه ، أنه عَقل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعَقَلَ مجَّةً مجَّها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في وجهه ، من بئر كانت في دارهم . متفق عليه[3].

زاد البخاري في روايته : وأنا ابن خمس سنين .

بئر أخرى :

وهناك بئر أخرى ، لم أتبينها الآن ، وقد مج فيها رسول الله صلى الله

---

(١) دلائل النبوة (٦ : ١٣٦) والبداية والنهاية (٦ : ١٠١).

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في غسل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٤٦٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التهجد : باب صلاة النوافل جماعة ، وكتاب العلم : باب متى يصح سماع الصغير ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر ، رقم (٢٦٥).

عليه وآله وسلَّم ، ففاح منها مثلُ المسك . لأن في بعض ألفاظها : (ماء زمزم).

فعن وائل بن حُجْر رضي الله تعالى عنه قال : أُتي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم بدلوٍ من ماء ، فشرب منه ، ثم مجَّ في الدلو ، ثم صَبَّ في البئر - أو شرب من الدلو ، ثم مجَّ في البئر - ففاح منها مثلُ ريح المسك . رواه أحمد بثلاثة أسانيد ، وابن ماجه والطبراني ، ورجالهم ثقات ، لكن سند ابن ماجه واثنين عند أحمد منقطعة ، والسند الثالث عند أحمد والطبراني والأول عند البيهقي موصول[1]، والله تعالى أعلم .

وهناك آبار كثيرةٌ غير التي ذكرتها ، وهي نحو عشرين بئراً ، يقال إن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم شرب منها ، أو بصق فيها ، أو برَّك عليها ، أو استقى منها ، أو استُعْذِب له منها ،... والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب المج في الإناء ، رقم (٦٥٩) ومسند الحميدي (٢ : ٣٩٣) والمعجم الكبير (٢٢ : ٥١) ودلائل النبوة (١ : ٢٥٧) (٦ : ٦٩).

المبحث الثالث

تراب المدينة المنورة

لقد أخبر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم أن ترابَ المدينة شفاءٌ ، وغبارَها أمانٌ ، وهذا لا يُعرف إلا لها ، وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ترابها كعلاج ، كما وصفه صلى الله عليه وآله وسلَّم لبعض المرضى ، وهذا مما يُضم إلى الفضائل التي حظيت بها هذه المدينة المباركة المنورة ، سواء جبالها ، أو أوديتها ، أو ثمارها ، أو مساجدها ،...إلخ.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منه ، أو كانت به قرحةٌ ، أو جرحٌ ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بإصبعيه هكذا (ووضع سفيانُ سبّابَتَه بالأرض ثم رفعها): «باسم الله ، تربةُ أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليُشفى به سقيمُنا ، بإذن ربنا». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1] وله روايات أخرى .

ـ قولها : (اشتكى الإنسان الشيءَ منه) هذا العموم : يدل على عموم الأمراض ، والله تعالى أعلم .

ـ وقوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم : «ليُشفى به سقيمنا». والسقيم : هو المريض ، وهو عام أيضاً ، وهكذا جاء في رواية البخاري أيضاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول للمريض : «باسم الله ،...».

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب رقية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب استحباب الرقية من العين ،... رقم (٥٤).

ـ وأما قولها : (أو كانت به قرحة ،...) فهو تفريع من الشكاية . أي إذا اشتكى مرضاً ، أو كان مصاباً بدمَّلٍ ، أو كان مصاباً بجرح .

ـ وأما طريقة الرقية في ذلك ؛ فهي أن يأخذ من ريقه على أصبعه السبابة ، ثم يضعها على التراب ، فيعلق بها منه شيء ، ثم يمسح به على الموضع العليل أو الجريح ، ويقول هذا القول حال المسح . كما جاء في رواية أبي داود وابن ماجه[1]، والله تعالى أعلم .

ـ كما يدل هذا النص على جواز الرّقي من كل الأمراض والخراج والقروح ، وأن ذلك كان أمراً فاشياً بينهم ، معمولاً به عندهم ، كما قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى[2].

ـ قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى[3] مبيناً تأثيرَ التراب على المريض : لا ريب أن من التربة ما تكون فيه خاصية ؛ ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة ، ويشفي بها أسقاماً كثيرة ،...

وقال رحمه الله تعالى : وإذا كان هذا في هذه التربات ، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها ، وقد خالطت ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقارنت رقيته باسم ربه ، وتفويض الأمر إليه ؟ اهـ.

وقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يستعمل تراب المدينة من وادي بطحان ، للاستشفاء أيضاً .

---

(١) انظر : سنن أبي داود : كتاب الطب : باب كيف الرقى ، رقم (٣٨٩٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الطب : باب ما عوَّذ به النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وعوِّذ به ، رقم (٣٥٢١).

(٢) المفهم للقرطبي (٥ : ٥٧٩) ونقله الحافظ في فتح الباري (١٠ : ٢٠٨).

(٣) زاد المعاد (٤ : ١٨٧) والطب النبوي (١٤٥ ـ ١٤٦).

فعن ثابتِ بن قيسٍ بن شمّاس رضي الله عنه ، وقد عاده رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو مريض ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اكشف الباسَ ، ربّ الناس ، عن ثابتِ بن قيس بن شماس» ثم أخذ تراباً من بُطحان ، فجعله في قدح ، ثم نفث عليه بماء ، وصبَّه عليه . رواه أبو داود ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، والبخاري في تاريخه ، وابن حبان في صحيحه ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة[1].

ويقال : إن الموضع الذي أخذ منه التراب : هو تربةُ صُعَيْب ، وهي من بطحان ، وتقع على يمين طريق (قربان) النازل في منطقة الماجشونية أو الماشونية ، والله تعالى أعلم .

وقد وردت أخبار عن أماكن عدة من المدينة ؛ في استعمال ترابها للاستشفاء ، كما وردت أحاديث كثيرة عن غبار المدينة ، عزفت عن ذكرها ، والله تعالى أعلم .

فتوى الإمام مالك رحمه الله تعالى فيمن طعن بتراب المدينة :

ولما كانت المدينة تنفي خبَثَها ، وينصع طيبُها ، وأن تربتَها أطيبُ تربة ؛ لذا من عاب تربتَها ؛ فقد طعن في نفسه ، واستحق التعزير . لأن تربةَ المدينة هي تربةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ولهذا حكم الإمام مالك بن أنس ـ إمامُ دار الهجرة رحمه الله[2] فيمن

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الطب : باب في الرقى ، رقم (٣٨٨٥) وعمل اليوم والليلة (٥٥٧ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨) والتاريخ الكبير (٨ : ٣٧٧) والمعجم الكبير (٢ : ٦٣) والمعرفة والتاريخ (١ : ٣٢٢ـ٣٢٣) ومعرفة الصحابة (٢ : ٢٢٢) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٤٣٢ـ٤٣٣).

(٢) المغانم المطابة (٢١٨) ووفاء الوفاء (١ : ٦٨ ـ ٦٩) وأخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم (٢٨).

قال : تربة المدينة رديئة ؛ أن يضرب ثلاثين دِرَّةً ، وأَمر بحبسه ، وكان له قدر .

وقال رحمه الله تعالى : ما أحوجه إلى ضرب عنقه . تربةٌ دُفِن فيها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم يزعم أنها غيرُ طَيِّبَة ! والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

المبحث الرابع
أودية المدينة المنورة

في المدينة المنورة عدد من الأودية المباركة ، منها ما هو بداخلها ، ومنها ما هو يأتي إليها من خارجها ويمر بها ، لكني سأقتصر على ذكر بعضها .

وادي العقيق :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى لهذا الوادي المبارك مناقب متعددة ، فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه وادي مبارك ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أُمِر أن يُهِلَّ منه ، وأن يُصلِّيَ فيه ، كما أَخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه يحبه .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو بوادي العقيق ـ يقول : «أتاني الليلةَ آتٍ من ربي ، فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك ، وقُلْ : عُمْرةٌ في حجة». رواه البخاري[1].

والآتي : هو جبريل عليه السلام .

والوادي المبارك : هو وادي العقيق .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه أُتِيَ وهو في مُعَرَّسِه من ذي الحُلَيْفَةِ ، في بطن الوادي ، فقيل له : إنك ببطحاءَ مباركة . متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «العقيق وادٍ مبارك». وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب =

وقد ورد نَحوُ هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أتاني الليلة آتٍ» وكذا قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أنه أُتي...» يعني : في المنام . ورؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي ، كما هو معلوم ، والله تعالى أعلم .

وقوله : (في مُعَرَّسه...) هو موضع نزوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم في ذي الحليفة ، وإن كان الغالب على التعريس النزولَ آخر الليل .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : كنتُ أَرمي الوحشَ ، وأصيدُها ، وأُهدي لحمَها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ففقدني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : «سلمة ، أين تكون ؟» فقلت : بَعُدَ عليَّ الصيدُ يا رسول الله فإنما أصيد بصدر قناةَ من نحو ثيب . فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أَمَا لو كنتَ تصيدُ بالعقيق لشيَّعْتُك إذا ذهبتَ ، وتَلَقَّيْتُك إذا جئتَ ، فإني أحب العقيق». رواه الطبراني في الكبير وابن شبة ، وقال الهيثمي : إسناده حسن[1].

وثيب : جبل صغير في صدر وادي قناة ، شرقي المدينة ، وهو يبعد عنها بريد أو نحوه .

ففي هذه الأحاديث أمور :

ـ كون وادي العقيق هو واد مبارك ، والبركة شاملة له كله .

= التعريس بذي الحليفة ، والصلاة بها ،... رقم (١٣٣ ـ ١٣٤).

(١) المعجم الكبير (٧ : ٦) وتاريخ المدينة (١ : ١٤٧ ، ١٤٨) ومجمع الزوائد (٤ : ١٤) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٦) حيث عزاه أيضاً لأبي نعيم .

ـ وكون الأرض يختلف بعضُها عن بعض . فكما أن أُحداً يُحب النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويحبُّه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والروضةَ من الجنة ،... كذلك فإن بعضها مبارك دون بعضها ، والله تعالى أعلم .

وهذه البركةُ ملازمةٌ لهذا الوادي المبارك ، ثابتة له . ولهذا رغب بعضُ الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبعضُ التابعين رحمهم الله تعالى في سكناه . حتى ماتوا فيه ، ومن الصحابة الذين سكنوا فيه : بعضُ العشرة المبشرين بالجنة ؛ كسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، رضي الله عنهما ، وماتا فيه ، ثم نُقلا إلى المدينة ، ودُفنا في البقيع ، وسكن أبو هريرة رضي الله عنه في العقيق أيضاً ، والله تعالى أعلم .

وادي بطحان : وأغلبه الآن مغطى داخل المدينة .

ومن فضائل هذا الوادي المبارك : أن جعله الله تعالى على بِرْكَةٍ ، أو ترعة في الجنة ، كما أن ترابَه شفاء .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «بُطحانُ على بِرْكَةٍ من بِرَكِ الجنة». رواه البزار وابن شبة والبخاري في تاريخه والديلمي في مسند الفردوس والحاكم أبو أحمد في فوائده[1]. وبمجموع طرقه فهو حسن ، والله تعالى أعلم .

---

(١) كشف الأستار (٢ : ٥٨) وتاريخ المدينة (١ : ١٦٧ ـ ١٦٨) والتاريخ الكبير (٢ : ٥١ ـ ٥٢) والجرح والتعديل (٢ : ٣٢٢) والثقات لابن حبان (٦ : ٧٥) ومسند الفردوس (٢ : ٢٧) وتسديد القوس (٢ : ٣٧) ومجمع الزوائد (٤ : ١٤) وفيض القدير (٣ : ٢٠٢) والتيسير شرح الجامع الصغير (١ : ٤٣٣) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٦). وانظر الأصل (٣ : ١٩٦ ـ ١٩٨) لبيان التعقيب .

والبِرْكة : هي الحوض ، فيكون وادي بطحان يصب في حوض من أحواض الجنة ، والله تعالى أعلم .

وقد مر حديثُ ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ، في عيادة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له ، والذي فيه : ثم أخذ تراباً من بطحان ، فجعله في قدح ، ثم نفث عليه بماء ، وصبَّه عليه . كما رواه أبو داود والنسائي والبخاري في تاريخه وابن حبان والطبراني ، في آخرين ، والله تعالى أعلم .



المبحث الخامس
جبال المدينة المنورة

في المدينة المنورة عدد من الجبال المباركة ، والتي ورد فيها بعضُ الفضائل والمناقب ، سواء لإخبار النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أنها تُحبه ، وهو يحبُّها ، أو أنها اضطربت تحت قدميه صلى الله عليه وآله وسلَّم ومعه شيوخ الإسلام ، أو أخبر صلوات الله عليه وآله وسلَّم أنها من الجنة ، أو شهدت بعض الحوادث ،...إلخ. لكني سأقتصر على ذكر بعضها .

جبل أُحُد :

لهذا الجبل الكريم مناقب كثيرة ، وفضائل جمة ، ومزايا كريمة ،... فقد بين النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له عدداً من الفضائل ، حتى صار حجةً على كلِّ من يدعي محبةَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

هو يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم :

إن من أُولى مزايا هذا الجبل وفضائله ، وخصائصه التي يختص بها عن غيره : هو ما تواتر عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من إعلامه عنه : أنه يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ويحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . وأذكر بعض النصوص في ذلك .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلَّم إلى خيبرَ أخدمه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم راجعاً ؛ وبدا له أُحُدٌ . قال : «هذا جبل يُحبنا ونحبُّه»... الحديث ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي رواية عندهما[2] أيضاً ، عنه رضي الله تعالى عنه قال : نظر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أُحُد فقال : «إنَّ أُحداً جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه».

وعن أبي حُمَيْدٍ الساعديِّ رضي الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبوك ـ وساق الحديث بطوله ، وفيه ـ : ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني مُسرعٌ ، فمن شاء منكم فليسرعْ معي ، ومن شاء فليمكث» فخرجنا حتى أَشْرَفْنا على المدينة ، فقال : «هذه طابة ، وهذا أُحُدٌ ، وهو جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه». متفق عليه[3].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أُحُدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه». رواه البخاري تعليقاً ، ووصله أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة في فوائده ، ومن طريقه خرجه الحافظ الضياء في

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الخدمة في الغزو ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... رقم (٤٦٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب أحد جبل يحبنا ونحبه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب أحد جبل يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب خرص التمر . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١١). ورواه في كتاب الحج : باب أحد جبل يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٣).

المختارة[1] كما رواه الطبراني من وجه آخر .

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

ـ ونلاحظ أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قد قال ذلك ؛ في أزمنة مختلفة . في حال عودته صلى الله عليه وآله وسلَّم من غزوة خيبر ، وفي حال عودته صلى الله عليه وآله وسلَّم من غزوة تبوك ، ولعل ذلك كان في أوقات أخرى أيضاً ، والله تعالى أعلم .

ـ كما نلاحظ أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قدَّم محبةَ الجبل «يُحبُّنا ونحبُّه» لبيان مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفضله وعلو قدره ، حيث إن الجمادات تحن وتشتاق إليه ، فإذا كان هذا في الجماد ؛ فالإنسان أولى بذلك ، لأنه المدرِك المكلَّف ، والله تعالى أعلم .

ـ إذا كان الإنسان يحب بعض الجمادات ـ وهذا مألوف منه ، وغير مستغرب ـ فإن الجماد غير مألوف منه هذا الحب ، بل مستغرب حدوثه منه ، لذا قدمه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لإظهار حصوله ، وتأكيد حدوثه ووجوده ، ثم بادله صلى الله عليه وآله وسلَّم الحبَّ بمثله ، والله تعالى أعلم .

والحبُّ الصادر من هذا الجبل على حقيقته وظاهره ـ والله تعالى أعلم ـ لأن له نظائر ، مثلُ شوق الجذع ،... والقدرة الإلهية صالحة لمثل ذلك ، وكون هذا الجبل من جبال الجنة ، وكذا اضطرب عندما صعد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وبعض الصحابة رضي الله عنهم ، ومخاطبة النبي الكريم

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفتح الباري (٣ : ٣٤٦) وعمدة القاري (٩ : ٦٧) والمعجم الكبير (٦ : ١٥٢ ـ ١٥٣) وهدي الساري (٣٦) وتغليق التعليق (٣ : ٣١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٢).

صلى الله عليه وآله وسلَّم له مخاطبةَ من يعقل ، مع وجود الإدراك عند الجمادات ،... كما بينت ذلك في (الإدراك عند الجمادات)، والله تعالى أعلم .

ارتجافه تحت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن علامات محبة هذا الجبل للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو من مزاياه وفضائله ـ أنه اضطرب عندما صعد عليه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وشيوخُ الإسلام أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . وإن كان هذا الجبل لم ينفرد بذلك ؛ فقد حصل نفس الأمر مِن قِبَلِ جَبَلَي حراء وثبير في مكة . كما بينت ذلك في الأصل .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله ، وقال : «اثبت أُحد ، فما عليك إلا نبيٌّ ، أو صِدِّيقٌ ، أو شهيدان».

وفي رواية : «فإنما عليك نبيٌّ ، وصِدِّيقٌ ، وشهيدان». رواهما البخاري[1].

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال : ارتج أُحدٌ ، وعليه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اثبت أُحد ، ما عليك إلا نبيٌّ ، وصِدِّيقٌ ، وشهيدان». رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان وغيرهم ، برجال الصحيح ، وصححه الحافظ في الفتح[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لو كنت متخذاً خليلاً ...» وباب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، و باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٣١) وفضائل الصحابة (١ : ٢١٧) والتاريخ الكبير (٤ : ٧٨) =

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وهذا الحديث فيه معجزةٌ للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل فيه معجزات .

ـ حيث أَخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم عن كون أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه بأنه صِدِّيق ، وهو كذلك .

ـ شهادته صلى الله عليه وآله وسلَّم لعمر وعثمان رضي الله عنهما : بأنهما شهيدان ، وقد قُتلا بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم بزمن ، وفيه بيان فضيلتهم ومنزلتهم رضي الله تعالى عنهم .

ـ معاملته صلى الله عليه وآله وسلَّم للجبل معاملةَ العاقل ، حيث رَكَلَه برجله الشريفة ، ثم خاطبه خطاب العاقل «اثبت أُحُد ،...».

ـ ثم إن رجفان هذا الجبل إنما كان طرباً ، واستعظاماً لما كان عليه من الشرف ، وبمن كان عليه من الأشراف ، ولهذا قال له صلى الله عليه وآله وسلَّم ما قال ، لأن من شأنه ألا يُزعج هؤلاء الأشراف الكرام ، فكان الأولى به ألا يكون سبباً في إيذائهم وإزعاجهم ، وهم هم ، والله تعالى أعلم .

فرجف بهم انتعاشاً ، واهتز بهم طرباً ،... فلما أُخبر بأوصافهم : سكن ، حتى لا يكون سبباً في إيذائهم ، وهم فوقه ، فيما إذا استمر بالاهتزاز ، وكيف وهم : نبيٌّ ، وصِدِّيقٌ ، وشهيد ، وهي أعلا درجات الصالحين المقربين من البشر ، والله تعالى أعلم[1].

= ومسند أبي يعلى (٦ : ٤٩١) ط دار القبلة ، والسنة (٢ : ٦٢٢) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٤١٦) وشرح السنة (١٤ : ١٠٧) ودلائل النبوة (٦ : ٣٥١) ومجمع الزوائد (٩ : ٥٥) وفتح الباري (٧ : ٣٨).

(١) وانظر : الأصل للمقارنة بين اهتزاز جبال أُحد وحراء وثبير ، بمن عليها من السادة =

جبل أحد من جبال الجنة :

لقد أخبر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن جبل أحد هو من جبال الجنة ، وأنه على ترعة من ترعها ، وأنه ركن من أركانها . وكيف لا يكون كذلك وهو يحب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ويحبه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والمرء مع من أحب .

فعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «أُحُدٌ على باب من أبواب الجنة».

وفي رواية عنه رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «إن أُحُداً جبلٌ يحبنا ونحبه ، وهو على ترعة من ترع الجنة». رواه عبد الرزاق وابن ماجه والجَنَدي والطبراني وابن عبد البر من طرق هو بها حسن[1].

وقد ورد نحو ذلك من حديث أبي عبس بن جبر ، وسهل بن سعد وعمرو بن عوف وأبي هريرة ، وغيرهم رضي الله عنهم . وهو حديث حسن أو صحيح بطرقه ، والله تعالى أعلم .

ولهذا تكرر صعود رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم عليه ، حيث ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم . كما في حديث مِحْجن بن الأَدْرَع ، وعمران بن حصين ، وأنس ، وسهل ،... وغيرهم رضي الله تعالى عنهم . وقد ذكرت ذلك كله في الأصل .

= الأشراف شيوخ الإسلام ، ورجفة الجبل بموسى عليه السلام ومن معه .

(١) سنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب فضل المدينة ، رقم (٣١١٥) وتاريخ المدينة (١ : ٨٤) ومصنف عبد الرزاق (٩ : ٢٦٩) وفضائل المدينة (٢٢) والتمهيد (٢٢ : ٣٣٠) ومجمع الزوائد (٤ : ١٣ ـ ١٤) وانظر الأصل لبيان بقية الروايات .

كراهية أن تعرى المدينة :

ومن محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لهذه المدينة المباركة المنورة : فقد كره صلوات الله عليه وآله وسلَّم أن تعرى أطرافُها من سكانها ، كما رغب صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يكونوا متفرقين في السكنى ، ولا يتجمعون في مكان واحد ، ولو كان ذلك بجواره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو جوار مسجده العامر .

وهذه من أهم نظريات تخطيط المدن ، حيث تتسع ساحة المدينة ، ولا يتكدسون في منطقة واحدة ، لأن التجمع في مكان واحد : فيه أضرار كثيرة ، صحية ونفسية وبيئية واجتماعية ،... تطغى على فائدة القرب ، والله تعالى أعلم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : أراد بنو سَلِمَة أن يتحولوا إلى قرب المسجد ، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تُعرى المدينة ، وقال : «يا بني سَلِمَة ؛ ألا تحتسبون آثارَكم ؟». فأقاموا . رواه البخاري[1].

فقوله : كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تعرى المدينة . أي يتركونها خالية ، يقال : أعراه إذا أخلاه ، والعراءُ : الأرض الخالية ، وقيل : الواسعة ، وقيل : المكان الذي لا يُستتر فيه شيء .

فنبه النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم بذلك السبب في منعهم من القرب من المسجد ، لتبقى جهات المدينة عامرةً بسكانها ، ويستفيدون بكثرة الخطا من بيوتهم إلى المسجد : كثرةَ الأجر ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب كراهية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تعرى المدينة ، وفي غيرهما .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : خلت البقاعُ حول المسجد ، فأراد بنو سَلِمَة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال لهم : «بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قربَ المسجد ؟» قالوا : نعم يا رسول الله ؛ قد أردنا ذلك . فقال : «يا بني سَلِمَة ، ديارَكم ، تُكتبْ آثارُكم ، ديارَكم ، تُكتبْ آثارُكم». رواه مسلم[1].

وله روايات متعددة عنده ، وعند غيره أيضاً .

فلو انتقلوا وغيرُهم إلى جوار المسجد لضاقت بهم المدينة ، ولفرغ أطرافُها ، وفي هذا خطورة شديدة من نواح متعددة ، حتى من الناحية الأمنية ، والله تعالى أعلم .

الجبال الأخرى :

لقد ذكرت في الأصل أنه يوجد في المدينة المنورة عدد من الجبال الأخرى ، وذكرت ما ورد فيها من فضل ، كنزوله صلى الله عليه وآله وسلَّم عندها ، أو تعبده صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، أو صعوده صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ، أو صلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ، وما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو فيها ،... أمثال ثنيتي الوداع ، وجبل سلع ، وكهف بني حرام ، وجبل الراية (ذباب) فانظره إن شئتَ ، إن أردت الزيادة ، والله تعالى الموفق والمعين .

☆☆☆☆☆

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب فضل الخطا إلى المساجد ، رقم (٢٨٠ ، ٢٨١).

المبحث السادس
مقابر المدينة المنورة

في المدينة المنورة عددٌ من المقابر ، لكن أشهرها وأعمرها : مقبرة بقيع الغرقد . والمعروفة بـ (البقيع) التي تغنى فيها المحبون .

لذا سأذكر ما فيه ، ثم أشير إلى ما في غيره من الفضائل أيضاً . إن شاء الله تعالى .

فضائل البقيع :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يكرر زيارته لأهل البقيع ـ وغالباً في الليل ـ ليسلِّم عليهم ، ويدعو ويستغفر لهم ، إضافة لزيارته صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم بالنهار ، وحضوره مشاهدَ من يُتوفّى من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وانتظاره الدفنَ ، يضاف إلى ذلك : شفاعتُه وشهادتُه صلوات الله عليه وآله وسلَّم لمن يموت في المدينة ، ويدفن فيها ، وأهلُ البقيع : هم أول من يُحشر من المقابر ، ويحشرون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبرفقته ، إضافة لما ورد من بعث الألوف المؤلفة منه ؛ يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذاب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر .

إضافة إلى دفن أكثر من عشرة آلاف من الصحابة وآل البيت... رضي الله عنهم ، ومن التابعين وتابعيهم بإحسان ومن العلماء العاملين ومن عباد الله الصالحين رحمهم الله تعالى إلى زماننا ، وإلى ما شاء الله تعالى . لكن أذكر بعض الفضائل من غير استيعاب ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل .

أول من دفن فيه من الصحابة رضي الله عنهم :

لقد ذهب المهاجرون رضي الله تعالى عنهم إلى أن أول من دُفن من الصحابة رضي الله عنهم في البقيع هو : عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، ولهذا جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سلفاً ، يدفن إليه من مات من أهله ، لأنه أخوه من الرضاعة . وقد ذكرت الروايات في الأصل .

بينما ذهب الأنصار رضي الله عنهم إلى أن أول من دُفن إنما هو : أسعد بن زرارة رضي الله عنه .

وعلى أيٍّ فقد تلاحقت قبور المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ، حتى قيل : دُفن فيه عشرةُ آلاف صحابي رضي الله عنهم ، والله تعالى أعلم .

فعن المطلب بن عبد الله بن حنطب رحمه الله تعالى قال : لما مات عثمان بن مظعون : أُخرج بجنازته فدفن ، أَمر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم رجلاً أن يأتيه بِحَجر ، فلم يستطع حملَه ، فقام إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحسر عن ذراعيه ـ [قال المطلب : قال الذي يخبرني ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : كأني أنظر إلى بياض ذراعَيْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حين حسر عنهما] ـ ثم حملها ، فوضعها عند رأسه ، وقال : «أتعلَّمُ بها قبرَ أخي ، وأدفن إليه من مات من أهلي». رواه أبو داود وابن شبة والبيهقي بسند حسن[1].

ووهم من ظن أنه مرسل ، لقوله في الحديث : (قال الذي يخبرني ذلك

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب في جمع الموتى في قبر ، والقبر يعلم ، رقم (٣٢٠٦) والسنن الكبرى (٣ : ٤١٢) وتاريخ المدينة (١ : ١٠٢).

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : كأني أنظر ،...).

وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند ابن ماجه بسند حسن أيضاً[1].

وعن الأسود بن سَريع رضي الله تعالى عنه قال : لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه ؛ أشفق المسلمون عليه ، فلما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «الحَقْ بسلفنا الصالح عثمانَ بنِ مظعون...». رواه الطبراني ورجاله ثقات[2].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ نحوه ، وفي آخره ـ فلما ماتت زينب ابنةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ ورضي الله عنها ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «الحقي بسلفنا الصالح الخيِّر ؛ عثمان بن مظعون». الحديث رواه أحمد والطيالسي والطبراني والحاكم وابن سعد وأبو نعيم وابن شبة ، وقال الذهبي : سنده صالح ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف[3].اهـ ، وأصل الحديث في البخاري .

وأما أشهر من دُفن في البقيع من الصحابة رضي الله عنهم ؛ فقد ذكرت

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في العلامة في القبر ، رقم (١٥٦١) ومصباح الزجاجة (٢ : ٤٠).

(٢) المعجم الكبير (١ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٠٢).

(٣) مسند أحمد (١ : ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، ٣٣٥) ونسخة أحمد شاكر (٤ : ٤) وَ (٥ : ٤١ ـ ٤٢) ومسند الطيالسي (٣٥١) والطبقات الكبرى (٣ : ٣٩٨ ـ ٣٩٩) وتاريخ المدينة (١ : ١٠٢ ـ ١٠٣) والمستدرك (٣ : ١٩٠) والمعجم الكبير (٩ : ٢٤ ـ ٢٥) (١٢ : ٢١٧) وحلية الأولياء (١ : ١٠٥) ومجمع الزوائد (٣ : ١٧) (٩ : ٣٠٢).

ذلك في الأصل ، فارجع إليه إن شئت .

زيارات النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم المتكررة لأهل البقيع :

لقد كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم يُكثر زيارةَ أهل البقيع ، ويسلِّمُ عليهم ، ويستغفرُ لهم ، إذ قل أسبوع إلا ويأتيهم فيسلِّم ويدعو ويستغفر ، عدا ما يكون من الدفن والتشييع .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كلما كان ليلتُها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، غداً مؤجَّلون ، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». رواه مسلم[1].

فقولها رضي الله عنها : (كلما كان ليلتها ... يخرج) دليل على تكرار ذلك واستمراره ، لأن هذه اللفظة من صيغ العموم ، فتقتضي التجدد والاستمرار ، كما أن جملة فعل المضارع (يخرج من آخر الليل) تقتضي التجدد والاستمرار والتكرار أيضاً ، والله تعالى أعلم .

ويضاف إلى ذلك أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم كان يقسم للسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ليلتين ، ليلتها الأصلية ، وليلة السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها . وإذا كانت رضي الله عنها تخبر أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يخرج في ليلتها ، فيحتمل ذلك مرتين في كل

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب مايقال عند دخول المقابر ، والدعاء لأهلها ، رقم (١٠٢).

أسبوع ، والله تعالى أعلم .

كما يدل هذا الحديث على جواز زيارة القبور في الليل .

أما الأحاديث التي وردت في زيارته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو حضوره صلوات الله عليه وآله وسلَّم الجنائز في البقيع ، أو جلوسه عند القبر ،... فهي كثيرة جداً ، ذكرت بعضَها في الأصل ، فانظرها فيه .

أمر الله تعالى نبيه الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم بزيارة البقيع ليستغفر لهم :

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يأتي أهل البقيع ، ويستغفر لهم ، وكان هذا في آخر حياته صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، ولعل ذلك كان في حال وداعه صلوات الله عليه وآله وسلَّم للأحياء والأموات ، وإن كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يأتيهم ويسلِّم عليهم ويستغفر لهم ، ويدعو لهم ، قبل ذلك ، والله تعالى أعلم .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : ألا أخبركم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ قلنا : بلى . قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها عندي ؛ انقلب ، فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرفَ إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدتُ ، فأخذ رداءَه رُويداً ، وانتعل رُويداً ، وفتح الباب ، فخرج ثم أجافه رويداً ، فجعلتُ دِرْعي في رأسي واختمرتُ ، وتَقَنَّعْتُ إزاري ، ثم انطلقت على إثره ، حتى جاء البقيع فقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ،... الحديث بطوله ، وفي آخره قال : «فإن جبريل أتاني حين رأيتِ ، فناداني ، فأخفاه منك ، فأجبته ،

فأخفيتُه منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابَك ، وظننتُ أن قد رقدتِ ، فكرهتُ أن أُوقظكِ ، وخشيتُ أن تستوحشي .

فقال : إن ربَّك يأمُرُك أن تأتي أهلَ البقيع فتستغفر لهم».

قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟

قال : قولي : «السلامُ على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحمُ الله المستقدِمين منا والمستأخِرين ، وإنَّا إن شاء الله بكم للاحقون». رواه مسلم[1].

وفي رواية عنها رضي الله عنها بأخصر ، وفي آخرها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إني بُعثت إلى أهل البقيع لأصلي عليهم». رواه مالك والنسائي وأحمد وابن شبة . وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

وجاء نحوُه من حديث أبي مُوَيْهِبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورضي الله تعالى عنه ، وفي آخره قوله : فبدئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه حين أصبح . رواه أحمد والطبراني ـ بإسنادين ، أحدهما ثقات ـ والدارمي والدولابي وابن سعد ، والبزار والبخاري في تاريخه وابن إسحٰق ،... وصححه الحاكم وأقره الذهبي[3].

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٣).

(٢) الموطأ : كتاب الجنائز : باب جامع الجنائز ، رقم (٥٥) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين (٤ : ٩٣) ومسند أحمد (٦ : ٩٢) وتاريخ المدينة (١ : ٨٩ ـ ٩٠ ، ٩١) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦٣) والمستدرك (١ : ٤٨٨).

(٣) مسند أحمد (٣ : ٤٨٨ ـ ٤٨٩ ، ٤٨٩) وتاريخ المدينة (١ : ٨٦ ـ ٨٧ ، ٨٧) وسنن الدارمي (١ : ٣٨ رقم ٧٩) والكنى للبخاري (٧٣ ـ ٧٤) وللدولابي (٥٧ ـ ٥٨ ، ٥٨) والطبقات =

إن قول السيدة عائشة رضي الله عنها : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ وجوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم لها على سؤالها ، بقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «قولي : السلامُ على... الحديث». بعد إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بأمر الله عز وجل له أن يأتي أهلَ البقيع فيستغفر لهم : **دلالة على جواز زيارة النساء للقبور** ، كما فيه دلالة على نسخ النهي الوارد في ذلك من قبل .

وهذا يتعارض مع النهي عن زيارة النساء للقبور .

والجمع بين هذه النصوص كما يلي :

لكن قبل الجواب عن ذلك أحب أن أبين : أن النصوص في هذا الباب قد تضاربت ـ من حيث الظاهر ـ حيث جاءت على ثلاثة أنحاء .

الأول : في النهي للنساء . والثاني : في إباحته للنساء . والثالث : في بيان النهي والنسخ معاً . لذا فإني أذكر الجمع بين هذه النصوص ، حسب ما يظهر لي ، والله تعالى الموفق والمعين .

أولاً : لما قدم النبي صلوات الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ نهى جميعَ المسلمين ؛ من رجال ونساء عن زيارة القبور ، لأن الناس حديثو عهد بشرك وعبادة أصنام ، ولأن الكفر الذي حصل في البشرية كان بسبب القبور .

ثانياً : ثم شدَّد صلوات الله عليه وآله وسلَّم على النساء ، لأنهنَّ أرقُّ

= الكبرى (٢ : ٢٠٤) والسيرة النبوية لابن هشام (٤ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧) وتركة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٥١ ـ ٥٢) والمعجم الكبير (٢٢ : ٣٤٦ ـ ٣٤٨) وكشف الأستار (١ : ٤٠٨) والمستدرك (٣ : ٥٥ ـ ٥٦ ، ٥٦) ومجمع الزوائد (٩ : ٢٤) وعزاه في الكنز : للبغوي وابن مندة وابن عساكر .

أفئدةً ، وأدعا للفتنة . لذا جاء اللعن في حقِّهنَّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لعن الله زوّارات [وفي رواية زائرات] القبور ،...». والراجح فيه صحته ، فقد ورد من حديث أبي هريرة وحسان بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم[1].

ثالثاً : استمر تحريم زيارة القبور للجميع ، حتى عام الفتح ، فلما أذن الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بزيارة قبر أُمِّه ، أذن صلى الله عليه وآله وسلَّم بزيارة القبور للجميع ، ونسخ ما كان قد صدر من النهي ، وذلك لمّا رأى صلى الله عليه وآله وسلَّم تمكُّنَ الإيمان من نفوس الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، الذي يحول دون عودتهم إلى عبادة الأوثان والأصنام ، إضافةً لما في زيارة القبور من تذكرة للزائر بالقبر وبالآخرة ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

ويوضح ذلك استئذانه صلى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه عز وجل في زيارة قبر أمه فأذن الله سبحانه وتعالى له . وترخيصه صلى الله عليه وآله وسلَّم في عدد من المنهيات ، ومنها زيارة القبور .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧) (٢ : ٣٣٧ ، ٣٥٦) (٣ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣) ومسند الطيالسي (٣١١ ، ٣٥٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٣٤٥) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب في زيارة النساء القبور ، رقم (٣٢٣٦) وسنن الترمذي : كتاب الجنائز : باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ، رقم (١٠٥٦) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب التغليظ في اتخاذ السُّرج على القبور (٤ : ٩٤ ـ ٩٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور ، رقم (١٥٧٤ ـ ١٥٧٦) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٣١٤) والمعجم الكبير (٤ : ٤٩) والمستدرك (١ : ٣٧٤) وصحيح ابن حبان (٧ : ٤٥٢ ، ٤٥٤) والسنن الكبرى (٤ : ٧٨) والآحاد والمثاني (٤ : ١٠١) وشرح السنة (٢ : ٤١٦ ـ ٤١٧).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قبر أُمِّه ، فبكى وأبكى مَن حوله ،... ـ الحديث ، وفي آخره ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «...واستأذنته في أن أزور قبرَها ؛ فأَذن لي ، فزوروا القبور ، فإنها تُذَكِّرُ الموت»[1]. رواه مسلم. وهو مروي عن غيره أيضاً .

رابعاً : لقد تواتر عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قوله[2]: «...نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها...». حيث ورد من حديث بُرَيْدَةَ ، وأبي هريرة ، وعلي ، وأم عطية ، وابن عباس ، وعائشة ، وأبي سعيد ، وأم سلمة ، وزيد بن الخطاب ، وثوبان ، وأنس ، وابن مسعود ، وواسع بن حِبان ، وأبي ذر ، وزيد بن ثابت ،... رضي الله تعالى عنهم .

وهذا النص إنما هو في آخر حياته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما هو مبين من خلال المنهيات التي أضيفت إلى النهي عن زيارة القبور ، كالنهي عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ، والنهي عن الانتباذ إلا في السقاء ، ثم الترخيص في ذلك .

ويدل على ذلك :

عن بريدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب استئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه عز وجل في زيارة قبر أمه ، رقم (١٠٨).

(٢) انظر : نظم المتناثر (٨٠ ـ ٨) وإتحاف ذوي الفضائل (١٩٧) وقطف الأزهار (١٢٥ ـ ١٢٦) مع التعليق ، والمستدرك (٣٧٤ ـ ٣٧٧) وجامع الأصول (١١ : ١٥٢ ـ ١٥٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٥٨ ـ ٦٠).

وانظر صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٨).

عليه وآله وسلَّم : «نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها . ونهيتُكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ، فأمسكوا ما بدا لكم . ونهيتُكم عن النبيذ إلا في السقاء ، فاشربوا في الأسقية كلِّها ، ولا تشربوا مسكراً». رواه مسلم[1].

كما أن هذا اللفظ عام في النهي والأمر ،... وهو شامل للرجال والنساء معاً ، كما هو معلوم من خطاب الشرع ، إذ غالب خطابات الشارع أن يأتي بصيغة المُذَكَّر ، وهو يشمل المُؤنَّث ، لما للرجال من القَوامة .

وقد جاءت الخطابات للمُكلَّفين على أربعة أنحاء :

١ـ خاص بالذكور ولا يشمل الإناث ، وذلك في الأحكام المتعلقة بالرجال فقط ، ولا تشمل الإناث . كالجهاد مثلاً .

٢ـ خاص بالنساء فقط ، وذلك في الأحكام المتعلقة فيهن ، مثل : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ...﴾[2].

٣ـ خطاب يُذكر فيه الذكور والإناث معاً ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾[3]. إلخ الآيات .

٤ـ خطاب بصيغة المُذكَّر ، لكنه شامل للنساء ، وهذا في أغلب الخطابات ، وعامة الأحكام التي تشمل الإثنين ، مثل : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأضاحي : باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام ، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء ، رقم (٣٧) كما رواه في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٦).

(٢) سورة الأحزاب (٣٠ ، ٣٢).

(٣) سورة الأحزاب (٣٥).

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] وَ ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2] وهذا هو الغالب .

ففي هذا الحديث ؛ جاء النهي للمذكر «نهيتُكم» ولكنه شامل للإثنين معاً ، ثم جاء الإذن للمذكَّر «فزوروها» وهو شامل للإثنين أيضاً ، لأن الصيغة واحدة ، إضافة إلى التعليل الذي جاء في الحديث من رواية أبي هريرة وغيره رضي الله عنهم ، ثم ليس الرجل بأحوجَ إلى تذكر الآخرة ، أو الموت ، من المرأة ، فالمرأة بحاجة هي الأخرى إلى ذلك ، بل لعله أكثر ، والله تعالى أعلم .

خامساً : بعد الإذن منه صلوات الله عليه وآله وسلَّم كثر تردد الرجال على زيارة القبور . والنصوصُ في زيارة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم والصحابةِ الكرام رضي الله عنهم للقبور : أكثرُ من أن تحصى ، وطلبُ الصحابة رضي الله عنهم منه صلوات الله عليه وآله وسلَّم ماذا يقولون إذا زاروا القبور ، وتعليمُه صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم ما يقولون ،...: كثير هو الآخر .

سادساً : وأما بالنسبة للنساء :

ففي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها المذكور قريباً البيان .

ـ إذ لا يعقل أن تكون السيدة عائشة رضي الله عنها تسأل عن شيء تعلم أنه حرامٌ نتيجةَ النهي السابق ، فلولا أنها علمت الإذنَ بعد النهي لما سألت .

---

(١) سورة البقرة (٤٣ ، ١١٠) وسورة النور (٥٦) وسورة المزمل (٢٠).

(٢) سورة البقرة (١٨٣).

ـ كما أنه لا يعقل أنها تجهل الحكم ، وهي القريبة من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلو لم يكن عندها الأمر بالثَلَج لما قالت : (كيف أقول لهم...) ؟ فلما سألت دلَّ على أنه كان بعد الإذن .

ـ ثم لو كانت ـ على سبيل الافتراض ـ تجهل الحكمَ ، أو كان سؤالُها قبل الإذن ، أو كان الحكمُ لا يشمل النساء ،... لما سكت النبي الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولَبيَّن لها أن زيارتها للقبور لا تجوز وأنه ليس لها ذلك ، ولبيَّن لها الحكم ، حتى لو كانت مارَّةً ، وبدون قصد الزيارة لبيَّن لها ذلك ، ولبيَّن لها أن سؤالها لا يجوز ، فلما قال لها صلى الله عليه وآله وسلَّم : «قولي...» فهذا دليل على الجواز ، وأن ذلك كان بعد الإذن . إذ لا مجاملة في الشرع كما هو معلوم .

ـ أن قوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم لها : «قولي السلام على أهل الديار...» : دليل على شمول الإذن للنساء أيضاً ، كما هو شامل للرجال من قبل ، وأن قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم في حديث الإذن : «فزوروها» شامل للنساء أيضاً ، كما هو للرجال ، والله تعالى أعلم .

ـ يضاف إلى ذلك ؛ أن هذا الحديث كان في آخر حياة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إذ هو في الليلة التي أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من صبيحتها مريضاً مرض الوفاة كما هو صريحُ حديث أبي مُوَيهبة رضي الله عنه ، وكما جاء في غير رواية مسلم لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، وفيه قالت : فقال : «وارأساه». فقلت : بل أنا وارأساه ، فقال : «ما ضرك لو مت ـ وأنا حي ـ لغسلتك...».

الحديث[1].

فهذا الحديث يعتبر ناسخاً لكل حديث سبقه، والله تعالى أعلم.

ـ ومما يدل على شمول الإذن للنساء أيضاً:

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بإمرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري» قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ـ ولم تعرفه ـ فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم، فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم، فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى». متفق عليه[2]، وله روايات أخرى.

فلم ينكر النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها جلوسَها ولا زيارتَها، إنما أنكر عليها جَزَعها، فقال لها: «اتقي الله واصبري» ـ وفي رواية «اصبري واحتسبي» ـ ويدل على ذلك: أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم انصرف عنها، ولم يكلِّمْها، فلما قيل لها ـ بعد انصرافه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ: إنه رسول الله، فزعت فجاءت مسرعة؛ لتعتذر، وقالت: والله ماعرفتك، لذا قال لها صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ مبيِّناً انتفاعها بصبرها عند

(١) انظر فتح الباري (١٠ : ١٢٥) لبيان طرق روايات حديث السيدة عائشةرضي الله عنها، وأنه كان بعد عودته صلى الله عليه وآله وسلَّم من البقيع، فبُدئ بمرضه الذي تُوفي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه، وانظر الأصل لبيان روايات حديث أبي مُوَيهبة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب زيارة القبور. وصحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، رقم (١٥).

بدء المصيبة ، لا بعد إخبارها به ـ : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

فلو كانت الزيارة محرَّمة ـ بعد الإذن ـ لبيَّن لها صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك ، ولَمَا سكت . فلمَّا سكت صلى الله عليه وآله وسلَّم عنها ، وتركها : دلَّ على مشروعية الزيارة ، وأنها كانت بعد الإذن ، الذي أعقب النهي ، والله تعالى أعلم .

كما أنه لا يمكن أن تكون تلك الواقعة قبل الإذن . إذ لو كانت قبل الإذن لَمَا سكت صلوات الله عليه وآله وسلَّم عنها ، ولبيَّن لها أنه حرام ، إن كان خفي ذلك عليها ، إذ لا مجاملة في أحكام الشرع ، خاصةً منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما هو معلوم ، والله تعالى أعلم .

فظاهر الحديث : يدل على جواز الزيارة ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما أنكر عليها جَزَعَها ، ولم ينكر عليها زيارتها ، والله تعالى أعلم .

ومما يدل على ذلك أيضاً : إخبارُ السيدة عائشة رضي الله عنها ، بعد زيارتها لقبر أخيها ، أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أذن بعد أن كان قد نهى .

فعن عبد الله بن أبي مُلَيْكَة رحمه الله تعالى ، أن عائشة رضي الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها : يا أم المؤمنين ؛ من أين أَقبلْتِ ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقلت لها : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم ، كان نهى ثم أَمر بزيارتها . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، ورواه ابن ماجه والبزار مختصراً ، وقال الهيثمي عن سند البزار : رجاله ثقات . وقال البوصيري عن سند ابن ماجه : إسنادٌ صحيح ، رجاله ثقات[1].

(١) المستدرك (١ : ٣٧٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في زيارة القبور ، =

فقول ابن أبي مُلَيْكَة رحمه الله تعالى لها رضي الله عنها : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن زيارة القبور ؟ يعني للنساء ، لأنه يعلم جواز زيارة الرجال ، مما استفيض وانتشر من زيارتهم لها ، والله تعالى أعلم .

وقولها رضي الله عنها : نعم ، كان نهى ، ثم أَمر بزيارتها . دليل على أن الإذن شاملٌ للنساء ، كما هو شامل للرجال ، ويجوز للنساء كما يجوز للرجال ، والله تعالى أعلم .

وهذا هو مذهب أكثر العلماء(١) رحمهم الله تعالى ، فيما إذا أُمنتْ الفتنة ، والله تعالى أعلم .

قلت : لكن لابد من التفريق بين أصل الزيارة ، وبين ما يفعله بعض النساء أثناء الزيارة ، فإذا كانت العظة والعبرة وتذكار الآخرة والقبر والجنة والنار ، والسلام والدعاء للميت والاستغفار له ،... فهذا جائز ، وأما إذا ظهر الجزع ولطم الخد وشق الجيب وضرب الصدر وقص الشعر والنياحة ،... ونحو ذلك ، فهذا حرام(٢)، والله تعالى أعلم .

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله في المغني(٣): اختلفت الرواية عن أحمد [بن حنبل] في زيارة النساء القبور ، فروي عنه كراهته ،... ـ ثم ذكر بعض ما

= رقم (١٥٧٠) والسنن الكبرى (٤ : ٧٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٥٨) ومصباح الزجاجة (٢ : ٤٢) وكشف الأستار (١ : ٤٠٧).

(١) انظر : فتح الباري (٣ : ١٤٨ ـ ١٥١). وانظر شرح السنة (٢ : ٤١٧).

(٢) انظر المجموع (٥ : ٢٦٧) وعامة شروح المنهاج .

(٣) المغني (٣ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤) وانظر نهاية المحتاج (٣ : ٣٦).

ذكرتُ ـ ثم قال : والرواية الثانية : لايكره ، لعموم قوله عليه السلام : «كنت نهيتُكم عن زيارة القبور ، فزوروها...». وهذا يدل على سبق النهي ونسخه ، فيدخل في عمومه الرجالُ والنساءُ ،... ثم ذكر زيارة السيدة عائشة رضي الله عنها لأخيها رضي الله عنه ، ثم قال : ولأن النساء داخلات في الرخصة في زيارتها ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

أهل البقيع أول المقابر حشراً :

ومن فضائل أهل البقيع : أنهم أولُ المقابر حشراً ، ويكونون مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فهم في الدنيا جيرانه صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وفي الحشر يكونون في زمرته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإن شاء الله تعالى يكونون معه في الجنة بشفاعته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أنا أولُ من تنشق عنه الأرضُ ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي أهلَ البقيع ، فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهلَ مكة ، فأُحشر بين الحرمين». رواه عبد الله بن أحمد والقطيعي والترمذي وحسنه ، والطبراني ، وابن حبان والحاكم وصححاه ، وابن عدي ، وأبو نعيم ، والفاكهي [قلت : وفي إسنادهم عاصم بن عمر بن حفص ، قال الذهبي : ضعفوه ، وقال ابن عدي : أحاديثه حسان ، ومع ضعفه يكتب حديثه] لذا حسنه الإمام السيوطي ، وقد صحح له الترمذي في جامعه[1] وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي

(١) فضائل الصحابة (١ : ١٥٠ ، ٢٣١ ، ٣٥١) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في =

الله عنه بنحوه . وانظر الأصل ، والله تعالى أعلم .

يبعث من البقيع سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب :

ومما يعد في فضائل البقيع : أن الله سبحانه وتعالى سيبعث منه يوم القيامة إن شاء الله تعالى سبعين ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر . وليس هذا بمستغرب ، طالما دُفن فيه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عشرة آلاف ، ثم كم من التابعين وتابعيهم بإحسان ، وكم من الصالحين والعلماء والعُبّاد ،... رحمهم الله تعالى منذ العصر الأول إلى قيام الساعة . من دُفن أو سيدفن فيه .

فعن أم قيس بنتِ محصن رضي الله تعالى عنها ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : «أترينَ هذه المقبرةَ ؟ (لبقيع الغرقد) يَبعث الله منها سبعين ألفاً يوم القيامة ، على صورة القمر ليلة البدر ، يدخلون الجنةَ بغير حساب» فقام عكاشةُ بن محصن فقال : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : «وأنت» فقام آخر ، فقال : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : «سبقك بها عكاشة». رواه الطيالسي وابن شبة ـ من طريقين ـ والطبراني في الكبير ، ومحمد بن سنجر في مسنده ، وابن حبان في ثقاته ، والحاكم وسكت عنه ، وكذا الذهبي .

ورواه الديلمي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه ابن شبة

= مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رقم (٣٦٩٢) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٢٤) والمستدرك (٣ : ٦٨) (٢ : ٤٦٥ ـ ٤٦٦) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٤) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٠٥) والكامل (٥ : ١٨٧٠ ، ١٨٧٢) والجامع الصغير (١ : ٤١٢ ـ ٤١٣) وتحفة الأشراف (٥ : ٤٥٧) وانظر : الثقات لابن شاهين (١٥١) والنهاية لابن كثير (١ : ٢٠٦) ووفاء الوفاء (٣ : ٨٨٨).

عن ابن المنكدر مرسلاً ، وعن غيره[1].

قلت : وقد جاء هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة (عن أبي هريرة وسهل بن سعد وابن عباس ، وعند مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنهم)[2] كما ورد من غير طريق هؤلاء ، لكن من غير تعيين بالبقيع . لذا كان الحديث بها حسناً ، والله تعالى أعلم .

فإن صح الحديث ؛ فهذا تخصيص بمن يُدفن في البقيع ؛ من هذه الأمة ، وهؤلاء غير السبعين ألفاً الذين يتقدَّمون هذه الأمة يوم حشرها لأنهم قد ثبت وصفهم بغير ما في هذا الحديث[3]، كما هو مبين في روايات من ذكرت من الصحابة رضي الله عنهم ، والله تعالى أعلم .

وفي هذا مزية عظيمة لأهل هذه المدينة المباركة المنورة أيضاً ، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح[4]: جعلنا الله تعالى منهم ، إنه سميع قريب مجيب .

---

(١) مسند الطيالسي (٢٢٧) ومنحة المعبود (٢ : ٢٠٦) وتاريخ المدينة (١ : ٩١ ـ ٩٣) والثقات لابن حبان (١ : ٢٦٩) والمعجم الكبير (٢٥ : ١٨١ ـ ١٨٢) والمستدرك (٤ : ٦٨) وأخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم (١٥٠) ومسند الفردوس (٥ : ٢٦٠) وفتح الباري (١١ : ٤١٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم (٣٦٧ ـ ٣٧٤).

(٣) انظر الأصل (٣ : ٢٩١ ـ ٢٩٥) لبيان الدلالة على أن ما في حديث أم قيس رضي الله عنها إنما هو زيادة على ما في أحاديث الآخرين ، والله تعالى أعلم .

(٤) انظر : فتح الباري (١١ : ٤١٣) وانظر المقاصد الحسنة (٢٣٨).

المقابر الأخرى :

كما يوجد في المدينة المنورة مقابر أخرى ، وإن كانت غير متعينة في هذا الزمان ، ففيها عدة مقابر مسوَّرة ، ففي غرب مسجد القبلتين ، وفي غرب مسجد الفتح ، وفي طريق العيون مقبرتان ، واحدة في وسط الطريق ، وأخرى بعدها غربيه ، وعند مسجد قباء ، ومقبرة شهداء أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، غرب مقام سيد الشهداء سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه ، وهي أول الطريق من جهة الغرب ، خلافاً لما يتوهمه كثير من الناس . وقد ذكرت في الأصل ما ورد في بعضها ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

الخاتمة ، أحسن الله تعالى ختامنا جميعاً

الحب المتبادل

لما قدم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة المنورة ، أحبَّه كلُّ شيءٍ فيها ،... أحبه جمادُها ،... وأشجارُها ،... وحيوانُها ، وإنسانُها ،... بل أحبته المدينة بكل شيء فيها .

وقد عبرت عن هذا الحب منها بمظاهر متعددة ، حسب حالة كل مَخلوق من هذه المخلوقات ؛ من شوقٍ إليه ، أو حزنٍ عليه ، أو خوفٍ عليه ، أو تعظيمٍ له ، أو توقيرٍ ، أو استجابةٍ ، أو امتثالٍ ،...إلخ.

ويصعب استيعاب تلك المظاهر في كل جزئية من تلك الجزئيات ، لذا سأقتصر على بعض تلك المظاهر للتدليل .

أما حب الجماد له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

١ـ فقد اهتز جبلُ أُحُدٍ ، لما صعد عليه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومعه شيوخ الإسلام : أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ، فاهتز بهم طرباً وانتعاشاً ، وفرحاً بصعودهم عليه ، حتى قال له صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ مخاطباً له خطابَ العاقل ـ : «أثبت أحد ، فما عليك إلا نبيٌّ ، وصدِّيقٌ ، وشهيدان». كما في أحاديث أنس وسهيل وعثمان ، رضي الله تعالى عنهم ، عند البخاري وغيره ، وقد مر ذكرها سابقاً .

فما كان له أن يُؤذيَهم ، وإن عبَّر عن حبه وفرحه وانتعاشه ، بما يُفهم من حاله ، فلما أُخبر بأوصافهم سكن .

هذا الجبلُ الجمادُ الصلد صار حجةً على المدَّعين ، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «هذا جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه» كما في حديثي أنس وأبي حُميد الساعدي رضي الله تعالى عنهما ، المتفق عليهما ، وقد مر ذكرهما .

فقد قدَّم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ذكرَ محبةِ الجبلِ ، لأنه غير معهود ، ولا معلوم ، وهو يمثل في محبته كلَّ جماد في المدينة .

٢ـ لقد اهتز المنبرُ الشريفُ تحت النبيِّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو يقرأ فوقه آيةً من القرآن الكريم ، فأخذته الهيبةُ والجلالُ والخشيةُ ، فلما سكت صلى الله عليه وآله وسلَّم سكن ، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وغيرِه ، وقد مر ذكرها أيضاً .

٣ـ لقد سبَّحت الحصباءُ بين يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسمع الحاضرون تسبيحَها ، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه[١].

٤ـ كما كان الطعام يسبِّحُ ؛ وهو يُؤكل بين يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويَسمع الحاضرون تسبيحَه ، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عند البخاري[٢]. وهناك نصوص كثيرة ، ذكرتها في غير هذا الكتاب .

وأما حب الحيوان له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

فقد عبَّر عن حبه وتقديره للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥٥٥ ـ ٥٥٦) وللبيهقي (٦ : ٦٤ ـ ٦٥) وللتيمي (٤٧ ، ٢١٥) والسنة لابن أبي عاصم (٢ : ٥٤٣) وكشف الأستار (٣ : ١٣٥ ـ ١٣٦) ومجمع الزوائد (٥ : ١٧٩) (٨ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩) وانظر الشمائل لابن كثير (٢٥٦ ـ ٢٥٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام .

وسلَّم بصور مختلفة، ومظاهر متعددة، ذكرت كثيراً منها في غير هذا الكتاب، ومن تلك المظاهر:

١ ـ سجودُ الجمل بين يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ سجودَ تحيةٍ وتعظيم وتبجيل ـ وقد تواتر ذلك[1] حيث رواه الكثيرون من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. أقتصر على ذكر حديث واحد.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان أهلُ بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنون عليه، وأنه استصعب عليهم، فمنعهم ظهرَه، وأن الأنصارَ جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: يا رسول الله؛ إنه كان لنا جمل نَسْني عليه، وإنه اسْتَصْعَبَ علينا، ومنعَنَا ظهرَه، وقد عطش الزرعُ والنخلُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائطَ، والجملُ في ناحيته، فمشى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم نَحوَه، فقالت الأنصارُ: يا رسول الله؛ قد صار مثلَ الكَلْب الكَلِب، وإنا نخاف عليك صولتَه، فقال: «ليس عليَّ منه بأس».

فلما نظر الجملُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أقبل نَحوَه، حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بناصيتِه، أذلَّ ما كانت قطُّ، حتى أدخله في العمل.

فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ هذه بهيمةٌ لا تعقل تسجدُ لك ونحن نعقل، فنحن أحقُّ أن نسجد لك، فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجدَ لبشر،

---

(١) انظر: الأزهار المتناثرة (٣٦) ونظم المتناثر (١٣٧ ـ ١٣٨) وقطف الأزهار (٢٦٦) وإتحاف ذوي الفضائل (١٤١ ـ ١٤٢).

ولو صلح لبشر أن يسجدَ لبشر لأمرتُ المرأَةَ أن تسجدَ لزوجها ، لعظم حقِّه عليها...». رواه أحمد والبزار برجال الصحيح ، غير حفص ابن أخي أنس ، وهو ثقة ، وروى النسائيُّ آخرَه ، وقال المنذري : إسنادٌ جيدٌ ، رواته ثقات مشهورون . وقال ابن كثير : إسنادٌ جيدٌ . وصححه السيوطي في تخريج أحاديث الشفا[1]، والله تعالى أعلم .

٢ـ ومن مظاهر محَبة الحيوان في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم تأدبُ الوحشِ (الذي كان في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها) مع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وعدمُ إزعاجه وإيذائه له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بلعبه واشتداده .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وَحشٌ ، فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لعب وأشتد ، وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد دخل : ربض فلم يترمرم ، مادام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في البيت ، كراهية أن يؤذيَه . رواه أحمد ـ من طريقين ـ وأبو يعلى والبزار ، والطبراني ، وأبو نعيم والبيهقي ، والدارقطني برجال الصحيح . وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عن سند أحمد : هذا الإسناد على شرط الصحيح ،

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٥٨ ـ ١٥٩) وكشف الأستار (٣ : ١٥١ ـ ١٥٢) وعشرة النساء (٢٢٥) والسنن الكبرى (٥ : ٣٦٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١ ـ ٤٩٢) والمختارة (٥ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦) ومجمع الزوائد (٩ : ٤) والترغيب والترهيب (٤ : ١٢٣) والشمائل لابن كثير (٢٦٢ ـ ٢٦٣) والنظم المتناثر (١٣٨) وانظر : محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد (٥٠ ـ ٥٢).

ولم يخرجوه ، وهو حديث مشهور[1].اهـ.

فهو يحترمُ ويقدِّرُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ويبجّلُه ،... ولا يزعجه بحركته . فماذا يقول الذين يؤذون ؟

٣ـ ومن مظاهر محبةِ الحيوان في المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : غيرتُه أن يدخلَ جوفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مالٌ مشبوه ، أو طعامٌ مشبوه ،... لأن في ذلك إيذاءً له صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن رجل من الأنصار رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في جنازة ، فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو على القبر ـ يوصي الحافر : «أَوْسِع من قِبَل رِجْليه أَوْسع من قِبَل رأسِه» فلما رجع ، استقبله داعي امرأة ، فجاء ، وجيء بالطعام ، فوضَع يدَه ، ثم وضع القومُ ، فأكلوا ، فنظر آباؤنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ يلوك لقمةً في فمه ، ثم قال : «أجد لحمَ شاةٍ أُخذت بغير إذن أهلها» فأرسلت المرأةُ قالت : يا رسول الله ؛ إني أَرسلتُ إلى البقيع ؛ ليُشترَى لي شاةٌ ، فلم أجد ، فأرسلتُ إلى جارٍ لي قد اشترى شاةً ، أَن أَرسِلْ إليَّ بها بثمنها ، فلم يوجد ، فأَرسلتُ إلى امرأته ، فأرسلتْ إليَّ بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أطعميه الأسارى». رواه أحمد وأبو داود والدارقطني والبيهقي بأسانيد صحيحة[2].

---

(١) مسند أحمد (٦ : ١١٢ ـ ١١٣ ، ١٥٠ ، ٢٠٩) ومسند أبي يعلى (٧ : ٤١٨) (٨ : ١٢١) وكشف الأستار (٣ : ١٥٠) وجزء الحسن بن عرفة (٨٤ رقم ٧٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١) وللبيهقي (٦ : ٣١) والشمائل لابن كثير (٢٨٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣ ـ ٤).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤) وسنن أبي داود : كتاب البيوع : باب في اجتناب الشبهات ، =

وقد ورد عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

٤ـ ومثل ذلك في قصة الشاة المسمومة . وهي ثابتة في الصحيحين وغيرهما ، عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وفيها قوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم : «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتْني أنها مسمومة»[1].

وهكذا شأن المحب يغارُ على محبوبه ، كما يخاف عليه من الأذى ، فكيف بما هو أعظم ؟

وأما حب النبات له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

فيمثله حنينُ الجذع الذي كان يخطب صلى الله عليه وآله وسلَّم عنده ، فإذا طال وقوفُه أو تعب صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ يضع يدَه عليه ، فلما صُنع له المنبر ، ووُضِع في مكانه ، وخرج صلى الله عليه وآله وسلَّم من بيته ، وجاوز الجذعَ ، وصعد المنبر ؛ حنَّ الجذعُ شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحزناً على فراقه ، حتى تشقق ، وأبكى الحاضرين ، فنزل صلى الله عليه وآله وسلَّم عن المنبر ، وأتاه ، فوضع يدَه الشريفةَ عليه ، ثم مسحه ، ثم ضمَّه والتزمه ، ثم خيَّره صلى الله عليه وآله وسلَّم : بين أن يزرعه في حائطه [بستانه] الذي كان فيه ، فيُثمر من جديد ، وبين أن يزرعَه في الجنةِ ، تشرب عروقُه من مياهها ، ويأكل ثمرتَه المؤمنون فيها ؟ فاختار الجذع الحنَّان المشوق أن يكون شجرةً في الجنة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أفعلُ إن شاء الله ، أفعلُ إن شاء الله ، أفعلُ إن شاء الله» وأخبر

= رقم (٣٣٣٢) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦) ودلائل النبوة (٦ : ٣١٠).

(١) انظر محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد (٤٢ ـ ٤٤) لبيان طرق الحديث .

صلى الله عليه وآله وسلَّم عنه بقوله : «لو لم ألتزمْه لبقي يَحِنُّ إلى قيام الساعة ، شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم» والحديث فيه متواتر[1]. كما مرَّ بيانه .

وقد صار هذا الجذعُ حجةً على كل المسلمين عموماً ، وعلى كلٍّ من يدّعي المحبةَ خصوصاً ، والله تعالى أعلم .

وأما حب الإنسان له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

فمظاهرُ محبةِ ساكنِ هذه المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كثيرة جداً ، منها الحبُّ ، والفداءُ ، والدفاعُ ، والخشيةُ عليه ، والشوقُ إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

لكنها جاءت على ضربين ، منها ما هو على الإفراد ، ومنها ما هو على المجموع .

أما القسم الأول : فهو كثير جدّاً ، لكنني أشير إلى بعض النصوص للتذكير :

فمن ذلك : قولُ أبي طلحة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم أُحُد وهو مُجَوِّبٌ عليه بحجفة له [أي هو مُتَرِّسٌ عليه بالترس]: يا نبي الله ؛ بأبي أنت وأمي ، لا تُشرف ، لا يُصبْك سهمٌ من سهام القوم ، نَحري دونَ

(١) وانظر إضافة إلى (فضائل المدينة المنورة) وَ (شوق الجمادات واستجابتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم) وَ (الإدراك عند الجمادات): الأزهار المتناثرة (٣٦) وقطف الأزهار (٢٦٨ ـ ٢٧٠) ونظم المتناثر (١٣٤ ـ ١٣٥) ولقط اللآلئ المتناثرة (٢٨ ـ ٣٠) والشفا للقاضي عياض (١ : ٤٢٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٥٦٣) وفتح الباري (٦ : ٥٩٢) والخصائص الكبرى (٢ : ٧٥ ـ ٧٦) وحجة الله على العالمين (٢ : ١٢ ـ ١٤).

نحرِك ،... كما في حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه[1].

ومنه : تترسُ أبي دجانة رضي الله عنه ؛ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم أُحُدٍ أيضاً ، حتى صار ظهره كالقنفذ من السهام .

ومن ذلك : تعظيمُ أبي دجانة رضي الله عنه سيفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فلم يَقتل به هنداً ؛ زوجَ أبي سفيان ، عندما عرفها أنها امرأة ، تكريماً لسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . وكلاهما في غزوة أحد .

ومن ذلك : قولُ أم حُذيفة رضي الله تعالى عنهما ؛ لما أبطأ ولدُها حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما عن رؤيةِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى مرت ليالٍ ، فنالت منه . كما في حديثه رضي الله عنه ، عند أحمد والترمذي وحسنه ، والنسائي في آخرين[2].

ومن ذلك : رفضُ أبي أيوب رضي الله تعالى عنه أن يعلوَ سقفَ الحجرة التي فيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فبات ليلتَه في زاوية من زوايا البيت ، مع زوجته رضي الله تعالى عنهما ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : لا أعلو سقيفةً أنت تحتَها . كما في صحيح مسلم[3].

وهناك قصص وأمور كثيرة جدّاً يطولُ ذكرها .

وأما على المجموع ؛ فهو كثير جداً أيضاً ، لكنني أشير إلى بعض النصوص

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة النساء مع الرجال ، رقم (١٣٦).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٩١ ـ ٣٩٢) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، رقم (٣٧٨١) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٩٥).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إباحة أكل الثوم ،... رقم (١٧١).

للتذكير .

فمن ذلك : قولُ سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه يوم بدر : يا رسول الله ،... لقد تخلَّف عنك أقوامٌ ما نحن بأشد حبّاً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ،... كما في كتب السيرة .

ومن ذلك : قولُ جابر رضي الله تعالى عنه في قصة وفاء دين أبيه رضي الله تعالى عنه : والله ، إن مجلسَ بني سَلِمَة لينظرون إليه ، هو أحبُّ إليهم من عيونهم ، مايقربونه مخافةَ أن يُؤذوه ،... كما رواه أحمد والدارمي برجال الصحيح ، وحسنه الحافظ[1].

ومن ذلك : قولُ أنس رضي الله تعالى عنه : لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... الحديث ، رواه أحمد ، والترمذي وصححه ، والبخاري في الأدب المفرد ، في آخرين[2].

ومن ذلك : قولُهم رضي الله عنهم يوم الفتح ـ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم[3]، وقد سمعوا قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «من دخل دارَه فهو آمن ،...». الحديث .

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٩٧ ـ ٣٩٨) وسنن الدارمي (١ : ٢٨ ـ ٢٩) ومجمع الزوائد (٤ : ١٣٥ ـ ١٣٧) وفتح الباري (٧ : ٣٩٨).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٣٢ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١) وسنن الترمذي : كتاب الأدب : باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، رقم (٢٧٥٤) والشمائل له (٢٧٦) والأدب المفرد (٣١٦) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤١٧ ـ ٤١٨) وشرح السنة (١٢ : ٢٩٤) والشمائل له (١ : ٣٠٢) وأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٦٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب فتح مكة ، رقم (٨٤ ، ٨٦).

قالت الأنصار بعضهم لبعض : أما الرجلُ فأدركته رغبةٌ في قريته ، ورأفةٌ بعشيرته . قال أبو هريرة : فجاء الوحي ـ الحديث بطوله وفيه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «يا معشر الأنصار» قالوا : لبيك يا رسول الله ، قال : «قلتم : أما الرجل فأدركته رغبةٌ في قريته ؟» قالوا : قد كان ذاك . قال : «كلا ، إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم ، والمماتُ مماتكم» فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بالله وبرسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «إن الله ورسولَه يصدِّقانكم ويعذرانكم».

لقد جاء الوحيُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما قد قالوا ، فلما أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم بأنه هاجر إليهم ، وأنه ملازِم لهم ، لا يَحيا إلا عندَهم ، ولا يموتُ إلا عندَهم : بَكَوْا ، واعتذروا ؛ بأنهم ما قالوا ذلك إلا حرصاً عليه صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وعلى مصاحبتِه ،... وبقائِه صلى الله عليه وآله وسلَّم عندَهم ، فعذَرَهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وصدَّقهم .

وهكذا شأنُ المحبِّ أن يكون حريصاً على محبوبه ، وقربِه ، وعلى عدمِ ابتعاده عنه ، والله تعالى أعلم .

وقد أحبته صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة كلها :

لا أحلى من يوم التلاق بين المحبين ، كما لا أمر من يوم الفراق ، وهكذا كان اللقاء والوداع ، فقد استقبلت المدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المحبوب الغالي ؛ معبرةً عن حبها بإضاءتها عن فرحتِها يوم لقائه

صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبظلمتِها عن حُزْنِها يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ أضاءَ من المدينة كلُّ شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أظلم من المدينة كلُّ شيء ، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبَنا . رواه أحمد ، والترمذي وابن حبان والحاكم ، وصححوه ، وأقره الذهبي ، وابن ماجه والدارمي والبغوي وأبو يعلى ، في آخرين[1].

فرحت به عند قدومِه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأَضاءَ كلُّ شيء فيها من شدةِ فرحها ، ولم يُر يومٌ أَضْوأ من ذلك اليوم ، ولا أجمل ،... وحزنتْ عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم يومَ انتقاله إلى الرفيق الأعلى فأظلمت ، وأظلمَ كلُّ شيء فيها ، وهكذا شأن المحب ، لقاء ووداعاً ، والله تعالى أعلم .

مبادلة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة وأهلها الحب بمثله :

لقد بادلهم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الحبَّ

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٨) والشمائل له (٣٣٣ ـ ٣٣٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٦٣١) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥١٦) ومسند عبد بن حُميد (٣٨٦ ـ ٣٨٧) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٧٤) وسنن الدارمي (١ : ٤١) والمستدرك (٣ : ١٢ ، ٥٧) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٦٠١) والموارد (٥٣٠) ومسند أبي يعلى (٦ : ٥١ ، ١١٠) وشرح السنة (١٤ : ٤٩ ـ ٥٠) والشمائل له (٢ : ٧٥٦ ـ ٧٥٧) وانظر إتحاف الخيرة المهرة (٩ : ١٢٤ ـ ١٢٥).

بمثله ، بل بأكثرَ ،... وبادلهم الودادَ بأزيد ، وبادلهم الشوق بمثله ، بل بأعمق ، وبادلهم التفاني والتضحية بمثلها ، بل بأغزر . فأعطاهم صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثرَ مما أَعطوه ، ومنحهم أضعافَ ما منحوه ، وقدَّم لهم أضعافَ ما قدَّموه ، وأكرمَهم أضعافَ ما أكرموه ، وحرص عليهم وعلى وجودِهِ صلوات الله عليه وآله وسلَّم عندهم ؛ أكثرَ من حرصهم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فقد **أحب صلى الله عليه وآله وسلَّم الجهادَ** عندهم .

فقال صلوات الله عليه وآله وسلَّم عن جبل أُحد : «أُحُدٌ جبلٌ يحبُّنا ، ونحبُّه» فكما أحبَّه أُحَدٌ ، أَحبَّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد مر ذكرُ الحديث ، وهو متفق عليه .

وقال صلوات الله عليه وآله وسلَّم لسلمةَ بن الأكوع رضي الله عنه ـ عن وادي العقيق ـ : «أما لو كنت تصيد بالعقيق لشيَّعتُك إذا ذهبتَ ، وتَلَقَّيْتُكَ إذا جئتَ ، فإني أحب العقيق» كما في حديثه رضي الله تعالى عنه عند الطبراني وابن شبة ، بسند حسن . وقد مر ذكره كاملاً .

وأما حبه صلى الله عليه وآله وسلَّم للجذع :

فقد ضمه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والتزمه ـ وهنيئاً له تلك الضَّمَّة ، والالتزام ـ وتلك علامةُ الحبِّ ، ثم خيَّره صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ بين أن يزرعَه في حائطه الذي كان فيه ، وبين أن يزرعَه في الجنة ،... (وزراعته صلى الله عليه وآله وسلَّم له في الجنة وهو في الدنيا تدل على مدى منزلته عند الله تعالى) فلما اختار الجذعُ الحنَّانُ الجنةَ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم

له : «أفعل إن شاء الله...». الحديث . وقد مر بعضُ رواياته فيما سبق .

ـ ومن ذلك : دعاؤه صلوات الله عليه وآله وسلَّم لثمار المدينة ومكيالها بالبركة ، ووضع أول الثَّمرِ على عينه الشريفة صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد مر ذلك كله من قبل أيضاً .

وأما حبه صلى الله عليه وآله وسلَّم للإنسان :

فقد تعددت الرواياتُ والنصوصُ في محبته صلوات الله عليه وآله وسلَّم الزائدةِ والأكيدة لهم .

فقد بيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم أنهم أحبُّ الناس إليه ، أو من أحبِّ الناس إليه ، فقد أحبَّ رجالَهم ونساءَهم وأطفالَهم وأحفادهم ومواليَهم ،... وحلف لهم بذلك ، وليس بحاجة إلى اليمين .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : جاءت امرأةٌ من الأنصارِ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومعها صبيٌّ لها ، فكلمها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : «والذي نفسي بيده ، إنكم أحبُّ الناس إليَّ». مرتين ، وعند مسلم : ثلاث مرات . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم رأى صبياناً ونساءً مُقبلين من عُرس ، فقام نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مُمْثِلاً ، فقال : «اللهم أنتم مِنْ أَحَبِّ الناس إليّ ، اللهم أنتم من أحبِّ الناس إليَّ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أنتم أحب الناس إلي» وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار ، رقم (١٧٥).

يعني الأنصارَ . وعند البخاري : قالها ثلاث مرات . متفق عليه[1] أيضاً .

ـ ومن محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم ، أن جعلهم موضعَ سِرِّه وأمانتِه ، فهم كَرِشُه وعَيْبَتُه ، كما في حديث أنس رضي الله عنه ، المتفق عليه[2].

ـ كما جعلهم صلى الله عليه وآله وسلَّم شعارَه فقال : «الأنصار شعارٌ ، والناس دثارٌ» كما في حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، المتفق عليه[3].

ـ كما جعل صلى الله عليه وآله وسلَّم الحياةَ حياتهم ، والمماتَ مماتهم ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عند مسلم[4].

ـ كما جعل صلى الله عليه وآله وسلَّم آيةَ الإيمان حبَّهم ، وآيةَ النفاق بغضَهم ، كما في حديث أنس رضي الله عنه ، المتفق عليه[5].

ـ فلا يبغضهم إلا منافق ، ولا يُحبهم إلا مؤمن ، كما في حديث البراء رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه ، وحديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ،... رقم (١٣٩).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب فتح مكة ، رقم (٨٤ ، ٨٦).

(٥) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب علامة الإيمان حب الأنصار ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن حب الأنصار وعليٍّ رضي الله عنهم من الإيمان ، رقم (١٢٨).

عنهما عند مسلم[1].

ـ ولولا الهجرة لكان صلوات الله عليه وآله وسلَّم واحداً منهم ، كما في حديث عبد الله بن زيد ، المتفق عليه ، وحديث أبي هريرة رضي الله عنهما ، عند البخاري[2].

ـ لذا لو سلك الناسُ وادياً ، أو شِعْباً ، لسلك صلوات الله عليه وآله وسلَّم واديَ الأنصار وشِعْبَهم ، كما في حديث أنس وعبد الله بن زيد رضي الله عنهما ، المتفق عليهما ، وحديثِ أبي هريرة رضي الله عنه ، عند البخاري[3].

ـ ولهذا أوصى صلى الله عليه وآله وسلَّم بهم خيراً ، وأكثر من الدعاء لهم ، ولأزواجهم ، ولأبنائهم ولذراريهم ، ولمواليهم ،... كما في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم[4].

وأما حبه صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : فله مظاهر كثيرة ، منها :

ـ فمن محبته صلوات الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ؛ أن دعا لها بأضعاف

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب حب الأنصار من الإيمان . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢٨ ـ ١٣١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التمني : باب مايجوز من اللو ، وكتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار». وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التمني : الباب السابق ، وكتاب مناقب الأنصار : الباب السابق ، وكتاب المغازي : باب غزوة الطائف . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٣٣ ـ ١٣٥ ، ١٣٩).

(٤) انظر : فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم (٢٨٨ ـ ٢٩١) فقد ذكرت ما ورد في الصحيحين من أحاديث ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم رضي الله عنهم .

ما دعا به إبراهيم عليه السلام لمكة . كما مر ذكره .

ـ ومن محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة عموماً ـ بكل ما فيها ـ : أن دعا بتحبيبها أكثر من محبتهم لمكة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ وُعِكَ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما ،... الحديث وفي آخره ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبِّنا مكةَ أو أشد ، وصحِّحْها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها ، وانقلْ حُمَّاها فاجعلها بالجحفة». متفق عليه[1].

ـ ومن محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ؛ أنه إذا كان مسافراً ثم قَدِم نحوها فرآها أسرع من محبته لها .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا قدم من سفر ، فنظر إلى جُدُرات المدينة ؛ أَوْضَعَ راحلتَه ، وإن كان على دابَّةٍ حَرَّكها ، من حبِّها . رواه البخاري[2].

ـ ومن شدة محبته صلوات الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ؛ أن كره الموتَ في مكة ، مع أنها بلدُه الذي وُلد وترعرع فيه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٨٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا عبد الله بن محمد ، وهو عقب باب المدينة تنفي الخبث .

الله عليه وآله وسلَّم إذا دخل مكة قال : «اللهم لا تجعل منايانا بها حتى تخرجنا منها». رواه أحمد والطبراني والبزار والبيهقي برجال الصحيح[1].

ـ ومن فرط محبته صلوات الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وأهلها ؛ حرصه الشديد على البقاء في المدينة ، والحياة فيها ، والموت فيها .

لهذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم ـ بعد حنين ـ: «يا معشر الأنصار ؛ أما ترضون أن يرجع الناسُ بالشاة والبعير [بالدنيا ، بالأموال] وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ فوالله لَمَا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به» قالوا : بلى يا رسول الله قد رضينا . كما في حديثي أنس وعبد الله بن زيد رضي الله عنهما ، المتفق عليهما[2].

لذا رجع الناس بالمال ، بالغَنَم ، بالأموال ، بالدنيا ، ورجع الأنصار ـ ومعهم المهاجرون ـ رضي الله تعالى عنهم برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إلى بيوتهم بالمدينة ، وما دروا أنها موطن تربته ، فحرسوه صلى الله عليه وآله وسلَّم بعيونهم ،... ورمقوه بقلوبهم ،... وفدَوه بأرواحهم ،... وقدّموا أغلى ما عندهم ،... وفي نهاية المطاف ؛ ضمَّته صلى الله عليه وآله

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٥ ، ١٢٥) ونسخة أحمد شاكر (٧ : ٩) (٨ : ٢٢٣) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٥) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٥٦) والسنن الكبرى (٩ : ١٩) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٥٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان ، وكتاب فرض الخمس : باب ماكان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس وغيره . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٢ ـ ١٣٥ ، ١٣٩).

وسلَّم أقدسُ بُقعةٍ في الوجودِ عندهم .

فهل بعد هذا الحرص من حرص ؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وهل بعد هذا الإكرام من إكرام ؟ وهل بعد هذه الكرامة من كرامة ؟ وهل بعد هذا الإيثار من إيثار ؟ وهل بعد هذا العطاء من عطاء ؟ لا ، لا .

لقد آثرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم على غيرهم ، وخصَّهم دون من سواهم ، وأكرمهم دون من عداهم ،... ومنحهم ما لم يعط أحداً من الخلق ،... وقابل الأريحية منهم بأجمل منها ، والتحيةَ بأحسنَ منها ، والمحبةَ بأشَدَّ منها ، والحرص بأقوى منه ، والوفاء بأغلى منه ، والعطاء بأعلى منه .

فاتضح أن تربته صلوات الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه الكريمين رضي الله تعالى عنهما من تربتها ، لذا كانت مضجعَهم مدى الدهر ، لأنها أصلهم ، ورجعوا إليها ، كما أشار الله جل شأنه إلى ذلك بقوله : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1] ففضلت بذلك على سائر الأرض وما عليها ، وشمخت بذلك على سائر المدن وما فيها ، وإن بقيتْ متواضعةً رحيمةً ، فنالوا بذلك الشرفَ من أعلاه ، والمنزلةَ الرفيعةَ من قمتها ، والمكانةَ السامية من فوقها ، فنالوا خيرَيْ الدنيا والآخرة . رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل .

أسأل الله تعالى أن يأخذ بقلوبنا وأسماعنا وألسنتنا إلى طاعته ، وأن يملك لنا أنفسنا وألسنتنا وجوارحنا عما يخالف طاعته ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ، وأن يحضرنا بالعصمة والتوفيق ، وينطق ألسنتنا بالحق الذي لا تخلطه الشبه ،

(١) سورة طه (٥٥).

ولا تميل به الأهواء ، ولا تخونه الغفلات .

اللهم ارزقني الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، واجعله خالصاً لوجهك الكريم ، وحققني فيما أدعو إليه ، واغفر لي ولوالدي ولوالد والدي ولمشايخي وزوجي وأولادي وأحفادي ومن يلوذ بي ، وأكرمنا جميعاً برضاك ، والحشر في زمرة حبيبك المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلَّم يا كريم .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

مصادر الكتاب

ـ القرآن الكريم .

ـ أ ـ

ـ الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج ، للشيخ عبدالله بن الصديق الغماري ، ت سمير طه المجذوب ، ط عالم الكتب ، بيروت .

ـ إتحاف الخيرة المهرة ، للإمام البوصيري . ت عبد الرحمن السعد والسيد محمود ، مكتبة الرشد .

ـ إتحاف المهرة ، للحافظ ابن حجر ، نشر وزارة الأوقاف ، بالمدينة المنورة .

ـ إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة ، للشيخ عبد العزيز الغماري ، ط مع الأزهار المتناثرة ، القاهرة .

ـ الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم ، ت الدكتور باسم فيصل الجوابرة ، نشر دار الراية ، الرياض .

ـ الأحكام السلطانية ، للإمام الماوردي ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .

ـ أحكام القرآن ، للقاضي أبي بكر ابن العربي ، ت البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .

ـ الأحكام الوسطى ، للإمام الإشبيلي ، ت حمدي السلفي ، والسيد صبحي السامرائي ، نشر مكتبة الرشد ؛ بالرياض .

ـ إحياء علوم الدين ، بحاشية إتحاف السادة المتقين .

ـ أخبار أصبهان ، للحافظ أبي نعيم ، نشر الدار العلمية ، الهند .

ـ أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم = الدرة الثمينة ، للحافظ محمد بن محمود النجار ، ت صالح محمد جمال ، مكة المكرمة .

ـ أخبار مكة ، للفاكهي . ت د. عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .

ـ اختلاف الحديث ، للإمام الشافعي ، ت عامر أحمد حيدر ، بيروت .
ـ أخلاق النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأبي الشيخ ، ت د. السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي .
ـ آداب الشافعي ومناقبه ، للحافظ ابن أبي حاتم ، ت الشيخ عبد الغني عبد الخالق .
ـ الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، تقديم وترتيب كمال يوسف الحوت ، ط عالم الكتب ، بيروت .
ـ الإدراك عند الجمادات ، خليل إبراهيم ملا خاطر .
ـ الأذكار ، للإمام النووي ، ت محمد رياض خورشيد ، مكتبة الغزالي ، وأخرى .
ـ الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للإمام السيوطي ، نشر مطبعة دار التأليف ، القاهرة .
ـ الاستذكار ، للحافظ ابن عبد البر ، ت د. عبد المعطي القلعجي ، نشر دار قتيبة ، ودار الوعي .
ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري ، ط دار الفكر ، بيروت .
ـ الأسماء والصفات ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ زاهد الكوثري ، ط القاهرة .
ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، ت البجاوي ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة .
ـ إعلام الساجد بأحكام المساجد ، للإمام الزركشي ، ت أبي الوفا مصطفى المراغي ، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ط ثانية .
ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض ، ت د. يحيى إسماعيل ، دار الوفاء
ـ الأم ، للإمام الشافعي ، ط دار الشعب ، القاهرة .
ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه ، خليل إبراهيم ملا خاطر .
ـ الأموال ، لابن زنجويه ، ت د.شاكر ديب الفياض ، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض .

ـ أهوال القبور ، لابن رجب ، طبعتان .
ـ الأوائل ، للإمام ابن أبي عاصم ، ت محمد ناصر العجمي ، دار الخلفاء ، الكويت .
ـ الأوائل ، للإمام الطبراني ، ت محمد السعيد بسيوني ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، ورجعتُ إلى الطبعة الأخرى .
ـ الإيمان ، للإمام ابن منده ، ت الدكتور علي ناصر الفقيهي ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

– ب –

ـ البحر الزخار = مسند البزار ، للإمام البزار ، ت الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ، نشر مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم .
ـ البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، نشر دار المعارف ، بيروت ، ومكتبة النصر بالرياض .
ـ بذل الماعون في فضل الطاعون ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ت أحمد عصام الكاتب ، نشر دار العاصمة ، الرياض .
ـ البعث والنشور ، للإمام البيهقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للحافظ الهيثمي ، ت الدكتور حسين الباكري ، نشر مركز السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

– ت –

ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ط الخانجي ، مصر .
ـ تاريخ ابن أبي خيثمة ، مخطوط .
ـ التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، ط الهند .
ـ تاريخ المدينة ، لابن شبة . ت د. فهيم شلتوت ، نشر السيد حبيب محمود ، المدينة المنورة .
ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، ط الدار القيمة .

ـ تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج ، للإمام ابن الملقن ، ت عبد الله اللحياني ، نشر دار حراء ، مكة المكرمة .
ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للإمام القرطبي ، ت د. أحمد حجازي السقا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، دار الفكر ، بيروت .
ـ تركة النبي صلى الله عليه وسلم ، لحماد بن إسماعيل ، ت د. أكرم ضياء الدين العمري .
ـ تسديد القوس ، = مسند الفردوس ، للديلمي ، ت السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية .
ـ التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، للإمام المطري ، نشر السيد أسعد طرابزوني ، المدينة المنورة .
ـ تعظيم قدر الصلاة ، للإمام المروزي ، ت الدكتور عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة .
ـ تغليق التعليق ، للحافظ ابن حجر ، ت سعيد عبد الرحمن القزقي ، المكتب الإسلامي ودار عمار .
ـ تفسير البغوي = معالم التنزيل ، ت خالد العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت .
ـ تفسير الطبري = جامع البيان ، ت أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة .
ـ تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت .
ـ تفسير النسائي ، ت سيد الجليمي ، وصبري الشافعي ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، ت السيد عبد الله هاشم يماني ، المدينة المنورة .
ـ تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .

ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ، المغرب .
ـ تنوير الحوالك ، للحافظ السيوطي ، مكتبة المشهد الحسيني ، القاهرة .
ـ تهذيب تاريخ دمشق ، لابن بدران ، دار المسيرة ، بيروت .
ـ التوحيد ، لابن خزيمة ، ط القديمة .
ـ التيسير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض .

– ث –

ـ الثقات ، لابن حبان ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ الثقات = تاريخ أسماء الثقات ، لابن شاهين ، الدار السلفية ، الكويت .

– ج –

ـ جامع الأحاديث ، للحافظ السيوطي ، ترتيب الشيخ أحمد عبد الجواد ، المدينة المنورة ، ط دمشق .
ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لابن الأثير الجزري ، ت الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، نشر الملاح .
ـ الجامع الصغير ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ الجامع الكبير ، للسيوطي ، مخطوط .
ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي ، نسختان ،
ـ الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ جزء الحسن بن عرفة ، ت عبد الرحمن الفريوائي ، الكويت .
ـ جزء فيه أحاديث نافع بن أبي نعيم ، للحافظ أبي بكر المقرئ ، ت أبو الفضل الحويني ، دار الصحابة للتراث ، طنطا .
ـ جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لابن القيم ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة .
ـ جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت ، للصنعاني ، تصحيح الشيخ حسن مشاط ، ط ثانية ، كراتشي .

ـ جوامع السيرة ، لابن حزم . ت د. إحسان عباس ، د ناصر الأسد ، نشر دار إحياء السنة ، باكستان .

– ح –

ـ حجة الله على العالمين ، للشيخ يوسف النبهاني ، دار الجندي ، القاهرة .

ـ الحجج المبينة في المفاضلة بين مكة والمدينة ، للحافظ السيوطي ، ت عبدالله درويش ، ط دمشق .

ـ حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، نشر مكتبة الخانجي ، ومطبعة السعادة ، مصر .

ـ حياة الأنبياء ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ محمد الخانجي ، مطبعة التضامن الأخوي ، مصر

– خ –

ـ الخصائص الكبرى ، للحافظ السيوطي ، تصوير دار الكتب العلمية عن الطبعة الهندية .

ـ خلق أفعال العباد ، للإمام البخاري ، ت د. عبد الرحمن عميرة ، دار عكاظ ، جدة .

– د –

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر .

ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ دلائل النبوة ، للإمام التيمي ، ت محمود الحداد ، دار طيبة ، الرياض .

ـ دلائل النبوة ، للحافظ أبي نعيم ، ت الدكتور محمد رواس قلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .

– ر –

ـ رياض الصالحين ، للإمام النووي ، ت عبد العزيز رباح ، وأحمد الدقاق ، دار المأمون ، دمشق .

- ز -

ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، ت الشيخ شعيب والشيخ عبد القادر ، مؤسسة الرسالة .

ـ الزرقاني على المواهب = شرح المواهب اللدنية ، دار المعرفة ، بيروت .

ـ الزهد ، لابن أبي عاصم ، ت د. عبد العلي الأزهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ الزهد ، لهناد بن السري ، ت عبد الرحمن الفريوائي ، دار الخلفاء ، الكويت .

ـ الزهد ، لوكيع بن الجراح ، ت د. عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة .

ـ الزهد والرقائق ، للإمام عبد الله بن المبارك ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .

- س -

ـ سبل الهدى والرشاد ، للإمام الصالحي ، ت الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ السنة ، للحافظ ابن أبي عاصم ، ت روضات الجنات ، للخوانساري .

ـ السنن ، للإمام الشافعي ، ت خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، تصوير المكتبة الإسلامية ، بيروت ، مع نسخة حمص ونسخة عارضة الأحوذي ونسخة تحفة الأحوذي .

ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

ـ سنن الدارمي ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار إحياء السنة النبوية .

ـ السنن الصغرى ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي ، ط القاهرة .

ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية .
ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .
ـ سنن النسائي (المجتبى) بحاشيتي السيوطي والسندي .
ـ سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، مؤسسة الرسالة .
ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف ، وكذا بشرح الخشني .

– ش –

ـ الشافي شرح مسند الشافعي ، مخطوط ، وقد أعددتُ بعضَه للطبع .
ـ شرح الأبي على صحيح مسلم ، مع شرح السنوسي .
ـ شرح ثلاثيات الإمام أحمد ، للسفاريني الحنبلي ، ط المكتب الإسلامي .
ـ شرح الزرقاني على الموطأ ، ط عبد الحميد حنفي ، مصر .
ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ شرح السنوسي على صحيح مسلم ، مع شرح الأبي .
ـ شرح الشفا لملا علي القاري بهامش نسيم الرياض .
ـ شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، ط مطبعة حجازي ، القاهرة .
ـ شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور ، للحافظ السيوطي ، ط مطابع الرشيد ، المدينة المنورة .
ـ شرح العزيزي على الجامع الصغير= السراج المنير ، ط مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
ـ شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت الشيخ شعيب ، مؤسسة الرسالة .
ـ شرح معاني الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت محمد زهدي النجار ، تصوير بيروت .
ـ شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، ت د. محمد سعيد أوغلو ، تركيا .

ـ شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الشفاء ، للقاضي عياض ، ت علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي ،
ـ الشمائل ، للإمام البغوي = الأنوار في شمائل النبيِّ المختار .
ـ الشمائل المحمدية ، لابن كثير ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، ت الشيخ محمد عوامة ، بيروت .
ـ شوق الجمادات واستجاباتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).

– ص –

ـ صحيح البخاري ، بشرح فتح الباري ، ط السلفية ، ونسخة اسطنبول .
ـ صحيح ابن حبان ، ت . الشيخ شعيب أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ صحيح ابن خزيمة ، ت د. محمد مصطفى الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي
ـ صحيح مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ الصِّلات والبشر في الصلاة على خير البشر صلى الله عليه وسلم ، للفيروز أبادي .

– ط –

ـ الطب النبوي والعلم الحديث ، للدكتور محمود ناظم النسيمي ، نشر الشركة المتحدة للتوزيع .
ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت د. إحسان عباس ، ط دار صادر ، بيروت .

– ع –

ـ عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، للقاضي أبي بكر بن العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ العاقبة ، للإمام الإشبيلي ، ت الشيخ خضر محمد خضر ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت .

ـ عشرة النساء ، للإمام النسائي ، ت عمرو علي عمر ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ علل الترمذي الكبير ، ت حمزة ديب مصطفى ، دار الأقصى ، عمان .
ـ علل الحديث ، لابن أبي حاتم ، تصوير مكتبة المثنى ، بغداد .
ـ العلوم والإيمان ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للإمام العيني ، الطبعة المنيرية .
ـ عمل اليوم والليلة ، لابن السني ، ت الدكتور عبد الرحمن كوثر عاشق إلهي
ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ، الرباط .
ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لشمس الحق العظيم آبادي ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
ـ عيون الأثر في معرفة المغازي والشمائل والسير ، لابن سيد الناس . دار المعرفة ، بيروت .

– ف –

ـ فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، المكتبة السلفية ، القاهرة .
ـ الفتح الرباني ، للبنا الساعاتي ، مصر .
ـ الفتح الكبير ، للنبهاني ، ط مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ فتح الملهم شرح صحيح مسلم ، للشيخ شبير أحمد العثماني ، نشر مكتبة الحجاز ، كراتشي ، باكستان .
ـ الفصول في اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لابن كثير الدمشقي ت د. محمد عيد الخطراوي ، والأستاذ محي الدين مستو .
ـ فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ت وصي الله محمد عباس ، نشر مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

ـ فضائل المدينة المنورة ، للإمام الجندي ، ت محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير ، دار الفكر ، دمشق .
ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم مُلّا خاطر . دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
ـ فضل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للقاضي إسماعيل ، ت الشيخ محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي .
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، ط القاهرة .

– ق –

ـ القرى لقاصد أم القرى ، للحافظ محب الدين الطبري ، ت مصطفى السقا ، دار الفكر ، ط ثالثة .
ـ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، للحافظ السيوطي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للحافظ السخاوي ، دار الكتاب العربي .

– ك –

ـ الكامل ، لابن عدي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات ، لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ كتاب الروح ، لابن قيم الجوزية .
ـ كتاب العظمة ، لأبي الشيخ ، ت رضا الله المباركفوري ، نشر دار العاصمة .
ـ الكشاف ، للإمام الزمخشري ، دار المعرفة .
ـ كشف الأستار بزوائد البزار ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط مؤسسة الرسالة .
ـ كشف الخفاء ، للعجلوني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ـ كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، للحافظ السيوطي ، ت عبد الرحمن فريوائي ، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
ـ الكنى ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ الكنى والأسماء ، للدولابي ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ كنز العمال ، للعلامة علي المتقي الهندي ، نشر مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .

– ل –

ـ لقط الآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للزبيدي ، ط دار الكتب العلمية .

– م –

ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، نشر دار الكتاب ، بيروت .
ـ المجموع ، للإمام النووي ، ت وتكملة محمد نجيب المطيعي ، ط الفجالة ، مصر .
ـ محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ المحلى ، للإمام ابن حزم الظاهري ، ت الشيخ أحمد شاكر ، المكتب التجاري ، بيروت .
ـ المختارة ، للحافظ الضياء المقدسي ، ت د. عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة .
ـ مختصر الترغيب والترهيب ، للحافظ ابن حجر ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .
ـ مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، دار الفكر ، دمشق .
ـ مختصر زوائد البزار ، للحافظ ابن حجر ، ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ المستدرك ، للإمام الحاكم النيسابوري ، تصوير أيمن دمج ، بيروت .

ـ مسند إسحٰق بن راهويه ، ت د. عبد الغفور البلوشي ، توزيع مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة .
ـ مسند الإمام أحمد ، تصوير المكتب الإسلامي ، ودار صادر ، ونسخة أحمد شاكر .
ـ مسند الإمام الشافعي ، ط بيروت .
ـ مسند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، للمروزي ، ت الشيخ شعيب .
ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط باكستان .
ـ مسند الروياني ، ت أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، ومكتبة دار الراية .
ـ مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، للدورقي ، ت عامر حسن صبري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .
ـ مسند الشاميين ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي .
ـ مسند الشهاب ، للإمام القضاعي ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة
ـ مسند ابن أبي شيبة ، ت عادل العزازي وأحمد المزيدي ، دار الوطن ، الرياض .
ـ مسند الطيالسي ، تصوير دار الكتاب اللبناني ، ودار التوفيق ، بيروت .
ـ مسند عبد بن حميد = المنتخب ، ت السيد صبحي السامرائي ، مكتبة السنة
ـ مسند عبد الله بن عمر ، للطرطوسي ، دار النفائس ، بيروت .
ـ مسند عبد الله بن المبارك ، ت السيد صبحي السامرائي ، مكتبة السنة .
ـ مسند علي بن الجعد ، ت د. عبد المهدي عبد الهادي ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
ـ مسند عمر بن عبد العزيز ، للباغندي ، ت الشيخ محمد عوامة ، دار ابن كثير .
ـ مسند أبي يعلى ، ت الأستاذ حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق .
ـ مصباح الزجاجة إلى زوائد ابن ماجه ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية ، بيروت .
ـ مصنف ابن أبي شيبة ، نشر الدار السلفية ، الهند .
ـ مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط بيروت .
ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، النسخة

المسندة ، ورجعت إلى تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .
ـ معالم السنن ، للإمام الخطابي ، ت الشيخ أحمد شاكر وحامد الفقي .
ـ المعجم الأوسط ، للإمام الطبراني ، ت طارق عوض الله وآخر ، دار الحرمين .
ـ معجم الشيوخ ، لابن جميع الصيداوي ، ت د. عمر عبد السلام التدمري ، ط مؤسسة الرسالة .
ـ المعجم الصغير = الروض الداني ، للإمام الطبراني ، ت محمد شكور إمرير .
ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، ط بغداد .
ـ معرفة السنن والآثار ، للإمام البيهقي ، ت د. عبد المعطي القلعجي ، دار الوعي .
ـ معرفة الصحابة ، للحافظ أبي نعيم ، ت الدكتور محمود راضي عثمان ، نشر مكتبة الدار ومكتبة الحرمين .
ـ المعرفة والتاريخ ، للإمام الفسوي ، ت د. أكرم العمري ، مؤسسة الرسالة .
ـ المغانم المطابة في معالم طابة ، للفيروز أبادي ، نشر دار اليمامة ، الرياض .
ـ المغني ، لابن قدامة المقدسي ، طبعتان ، الرياض الحديثة ، وَ ت الدكتورين التركي والحلو .
ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، للحافظ العراقي ، بحاشية إحياء علوم الدين .
ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، للإمام القرطبي ، ت محيي الدين مستو وآخرين ، نشر دار ابن كثير ، ودار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت .
ـ المقاصد الحسنة ، للحافظ السخاوي ، ت الشيخ عبد الله بن الصِّديق ، مكتبة الخانجي ، ومكتبة المثنى .
ـ مقدمة الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ المقصد العلي ، للحافظ الهيثمي ، ت د. الشريف نايف دعيس . جدة .
ـ المنتقى شرح الموطأ ، للإمام الباجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة .
ـ المنتقى ، للحافظ ابن الجارود ، ت السيد عبد الله هاشم يماني ، المدينة المنورة .
ـ منحة المعبود بترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، للشيخ الساعاتي ، ط القاهرة .

ـ موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ عبد الرزاق حمزة ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ الموطأ ، للإمام مالك ، رواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، ت الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية .
ـ الموطأ ، للإمام مالك ، رواية الإمام يحيى بن يحيى الليثي ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

– ن –

ـ نسيم الرياض = شرح الشفا ، للعلامة الخفاجي ، تصوير دار الفكر ، بيروت .
ـ النظم المتناثر في الحديث المتواتر ، السيد محمد بن جعفر الكتاني ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ النكت الظراف ، للحافظ ابن حجر ، بحاشية تحفة الأشراف ، دار القيمة .
ـ النهاية = الفتن والملاحم ، للإمام ابن كثير الدمشقي ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري ، مؤسسة النور ، الرياض .
ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، للإمام الرملي ، تصوير بيروت .
ـ نيل الأوطار ، للشيخ الشوكاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

– هـ –

ـ هدي الساري ، للحافظ ابن حجر ، نشر المكتبة السلفية ، القاهرة .

– و –

ـ الوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لابن الجوزي ، ت مصطفى عبد الواحد ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
ـ وفاء الوفاء ، للإمام السمهودي ، ت الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

☆☆☆☆☆

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثالثة	٥
تمهيد **فضائل المدينة المنورة على الإجمال**	١١
الباب الأول **تحريم المدينة ، وبركتها ، ومكانتها**	٢٣
تحريم المدينة ، وبركتها ، ومكانتها	٢٥
المبحث الأول **تحريم المدينة المنورة**	٢٧
١ـ هي حرم	٢٧
٢ـ حرَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم	٢٨
٣ـ حرَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كما حرَّم إبراهيم عليه السلام مكة	٢٩
٤ـ هي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم	٣١
٥ـ الذي حرَّمها هو الله تعالى	٣٢
٦ـ المدينة حرم آمن	٣٣
٧ـ حرمتها كحرمة مكة	٣٤
٨ـ متى صارت المدينة حراماً ؟	٣٦
٩ـ متى ظهر تحريم المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم	٣٩

الموضوع	الصفحة
ـ لو بغى أناس هل يقاتلون	٦٥
تحريم التقاط اللقطة	٦٦
ـ الآراء الفقهية في ذلك	٦٦
النهي عن قتل الحيات بالمدينة	٦٧
ـ صيغة التحريج	٦٩
المدينة مشبكة بالملائكة تحرسها	٦٩
منع دخول الدجال والطاعون	٧٠
حراستها إذا غاب عنها أهلُها	٧١
لا يدخلها الطاعونُ	٧٢
لا يدخلها الدجالُ	٧٤
لا يدخلها رعب الدجال	٧٦
تحريم الإحداث، وإيواء المحدِث فيها	٧٦
نقل الحمى الشديدة منها إلى منطقة الجحفة	٧٨
النهي عن هدم آطام المدينة	٨١
لا يضرب خراج على سوقها	٨٢
المبحث الرابع **أسماء المدينة المنورة**	٨٣
كثرة أسمائها	٨٣
من أسمائها: المدينة، آكلة القرى	٨٣
من أسمائها: طابة	٨٤

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني **آبار المدينة المنورة**	**٣٥٩**

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس **جبال المدينة المنورة**	٣٨٣

الموضوع	الصفحة

☆☆☆☆☆

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ- المدرسة المدنية :

١- الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢- عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة الحادية عشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣- شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤- سيرة الرسول ﷺ - العهد المكي - كما وردت في كتب السنة .

٥- الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦- فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧- الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . الطبعة الثانية ، وقد ترجم لبعض اللغات .

٨- الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩- مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠- الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١- الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢- فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣- فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤- مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . (بين يديك).

١٥ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، نشر دار القبلة .

١٨ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . الطبعة الثانية .

١٩ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).

٢٠ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثالثة . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٢١ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).

٢٢ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . طبعة ثانية .

٢٣ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).

٢٤ـ الرحمة المهداة ﷺ ، نشر دار القبلة .

٢٥ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).

٢٦ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ والمدينة المنورة)، نشر دار القبلة . طبعة ثالثة .

٢٧ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

٢٨ـ رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، نشر دار القبلة .

٢٩ـ واجب الأمة نحو نبيّ الرحمة ﷺ ، نشر دار القبلة .

٣٠ـ مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب (تحت الطبع).

٣١ـ دلائل النبوة في غزوة الخندق (تحت الطبع).

٣٢ـ مكانة الصحابة ، وأثرهم في حفظ السنة ، وواجب الأمة نحوهم (تحت الطبع).

٣٣ـ بنات رسول الله ﷺ أربع ، لا كما زعم الشانئ الحقود (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٣٤ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).

٣٥ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .

٣٦ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .

٣٧ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .

٣٨ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

٣٩ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).

٤٠ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٤١ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٤٢ ، ٤٣ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).

٤٤ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .

٤٥ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .

٤٦ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).

٤٧ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٨ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .

٤٩ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٥٠ـ شرح أربعين حديثاً مما في الصحيحين (تحت الطبع).

٥١ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٥٢ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق ، نشر دار القبلة .

٥٣ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٥٤ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة (تحت الطبع).

٥٥ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٦ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥٧ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة . طبعة ثانية .

٥٨ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٩ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٦٠ـ الحديث المتواتر .

٦١ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٦٢ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٦٣ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٦٤ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٦٥ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٦ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

٦٧ـ خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع ، نشر دار القبلة ، جدة .

٦٨ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين (تحت الطبع).

٦٩ـ الإمام البخاري والرواية عن أئمة آل البيت (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٧٠ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٧١ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٧٢ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ الحديث الموضوعي :

٧٣ـ من صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية .

٧٤ـ الجهاد في ضوء السنة النبوية .

٧٥ـ تحريم الخمر والمسكرات في ضوء السنة النبوية .

٧٦ـ تنبيه الذات بهادم اللذات (الموت والقبر في ضوء السنة النبوية).

٧٧ـ علاج الإسلام لمشكلة البطالة في ضوء السنة النبوية .

٧٨ـ صلة الأرحام في ضوء السنة النبوية .

٧٩ـ الرفق بالحيوان في ضوء السنة النبوية .

ز ـ بين الإنسان والجماد :

٨٠ـ الإدراك عند الجمادات .

٨١ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٨٢ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٨٣ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ح ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٨٤ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٨٥ـ حقوق الزوجين .

٨٦ـ المرأة في القرآن .

٨٧ـ الإحسان في القرآن .

٨٨ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٨٩ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٩٠ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٩١ـ خمس محاضرات في مناهج المفسرين (تحت الطبع).

٩٢ـ عناية الإسلام بالبيئة .

٩٣ـ بناء الأسرة الكريمة .

ط ـ الفتن وأشراط الساعة :

٩٤ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة (تحت الطبع).

٩٥ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٩٦ـ أشراط الساعة . (تحت الطبع).

٩٧ـ مختصر أشراط الساعة، نشر دار القبلة.

٩٨ـ أخبار الدجال.

٩٩ـ الردة قديمها وحديثها.

١٠٠ـ الردة قديمها وحديثها (المحاضرة).

١٠١ـ المسيح عليه السلام، قطعية رفعه، وتواتر نزوله.

١٠٢ـ الترابي والمفاهيم الخاطئة (تحت الطبع).

☆☆☆☆☆